

A. 1408

المركب



ج ١٣٠
ع ١٣٠

أمة لن تموت

■ الجميلة لم تعذ عذراء؟
■ الإسلام والتعاذ من الاحتواء

رولكس من الأنسية والتحمل

الصحراء، أو التي تعرف بالأرض غير المضيافة، هي من أصعب بيئات العالم متواء للعين أو للعمل.

منذ أقدم العصور، عاش العرب في تلك الأصقاع واعتمدوا على الإقامة والعمل فيها وحولوها للأرض المضيافة التي أصبحت بفضلكرمهم وشجاعتهم، أول منطقة صحراوية أهلة بالسكان في العالم أجمع، والتي استضاف العالم بإنشائه من خيراتها.

في تلك البقاع القاحلة، التي تحولت بفضل جهودهم الدائبة وفي أقسام كثيرة منها إلى حدائق غناء، كان التزام والمثابرة والإصرار أهم الصفات التي ساعدتهم على العيش في تلك الظروف الصعبة.

في الأزمان الماضية كان العرب يعرفون الوقت بواسطة علم الفلك، أي بواسطة النجوم والقمر والقمر. أما اليوم، ومع التطور التكنولوجي فقد قدمت لهم رولكس أفضل آلة توقيت يمكن الاعتماد عليها في حرارة الصحاري اللامعة أثناء النهار، أو البرودة العاتقة أثناء الليل، ساعة لا يدخلها الفسار والزوال إطلاقاً وذلك بفضل غلبة الأوبنستر وقتن الشاملة المثبت بإحكام على هيكل الساعة المبلد المتنوع من كتلة معدن واحدة سواء من الذهب عيار ١٨ قيراطاً أو من الفولاذ الذي لا يصدأ.

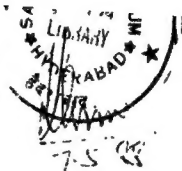


ROLEX



رولكس

رولكس فاي ديت، فاشة للرجال، من الذهب الأصفر عيار ١٨ قيراطاً مسرقة مبالاس.



Y



الجمعية العامة
لجامعة الدول العربية
١٩٨٨ م



- الأقليات اليهودية وظهور الرأسمالية في العالم .

- ٤٥ د. عبد الوهاب المسيري
- « إسرائيل » كتهديد نووي .
٥٠ أمين هويدي
- فرنسا وجذور الحركة
الصهيونية غير اليهودية .
٥٧ رياض معصم

■ حديث الشهر :

وعلى أرض فلسطين السلام .

د. محمد الرميحي ٨

■ الأيديولوجيا الناعمة ، موجة

جديدة في الغرب !

د. عبد الله عبد الدائم ١٨

■ أرقام : المهاجرون .

- محمود المراغي ١٢٠

■ تايوان الجميلة لم تعد علماء .

- سليمان مظهر ٦٨

■ « اليونسكو » عطاء

الثقافة والعلم والتربية .

- صلاح حزين ١٣٢

■ الإسلام والتوازن الاجتماعي .

د. عبد الرحمن زكي ابراهيم ٢٤

■ للمناقشة : التعددية

والمعارضة في الإسلام .

- فهمي هويدي ٣٠

■ أربعون عاماً من

النضال لاستعادة الأرض : ٣٥

- من الاقتلاع إلى الصراع

من أجل البقاء .

د. شفيق الغبرا ٣٦

- الجليل الفلسطيني الجديد تحت الاحتلال .

- توفيق أبو بكر ٤٢



« اليونسكو » عطاء الثقافة والعلم والتربية ص ١٣٢



وجهاً لوجه :
الجنرال مافيه
مراغوشكي ص ٩٧



نايوان الحميلة لم تعد عذراء ص ٦٨

٥٥ - - - - -

- علمان عريان في سماء الطب
- ٦٤ - د علي سارك
- ثلاثة مشاريع أوروبية لعرو العشاء
- ٩٠ - سعد شعمان
- معارك الاستراف بين البيئة والإنسان
- ١١٤ - د سمير رصوان
- الحديد في العلم والطب
- ١٢٧ - إعداد يوسف رعلواي
- سلامة الشريعة في سلامة البيئة
- ١٣٠ - كهر بائية الحسم والأمراض النفسية
- ١٤٦ - د أمل المحرومي

١ - - - - -

- البشارة (قصيدة)
- ٢٨ - د حليمة الوقيان
- قراءة نقدية لكتاب
- السيد من حفل السباح
- ١٠٤ - أبو المعاطي أبو الحاح
- يد رجل مثله (قصة)
- ١١١ - محمود الريماوي
- المدرسة الانتطاعية في الفن امرأة
- عصر أم حوار مع المستقبل ؟
- ١٥٢ - رباب العائد العظم
- الحمام (قصة مترجمة)
- ١٥٨ - حسن يوسف

العربي - العدد ٣٥٤ - مايو ١٩٨٨م

■ جألّ العربية :

- صفحة لفة : ألفاظ معربة .

١٧٦ د. حسن عباس

- صفحة شعر : العتقاء للشاعر

١٧٨ إيليا أبي ماضي

■ منتدى حربي

■ قضية : نحن لا نزرع الشك !

١٢٢ فوزي عبد القادر الفيشاوي

■ تاريخ وتراث وأشعر

■ وجهاً لوجه :

الجنرال دافيد دراغونسكي .

٩٧ سليمان الشيخ

■ مكتبة العربي :

■ كتاب الشهر :

- نظرات في الحركة الصهيونية

والفكرية الفلسطينية .

١٨٣ د. ابراهيم أبو ربيع

■ من المكتبة العربية :

- السريالية في مصر .

١٩٠ جميل حتمل

■ مكتبة العربي (مختارات) ١٩٤

■ أبواب ثابتة :

■ عزيزي القاريء ٧

■ الكلمات المتقاطعة ١٨١

■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٦

■ حل مسابقة العدد (٣٥١) ١٩٨

■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٠

■ حوار القراء ٢٠٢



■ صورة الغلاف

الانتفاضة الفلسطينية الراحمة حلقة جديدة من سلسلة انتفاضات فلسطينية لم تنته منذ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ .

[طالع الملف الفلسطيني

ص ٣٥ - ٦٣]

■ البيت العربي

■ مجلة الأسرة والمجتمع

■ نشاط الطفل التمثيلي .

- محمد بسام ملص ... ١٦٢

■ كيف نتعامل مع الطفل

يطيء التعلم !

- عبد الكريم أبو شويرب ١٦٦

■ هو . هي ١٧٠

■ طبيب الأسرة : أخطر ما

تسببته من الطعام .. الألياف

- د. حسن فريد أبو غزالة

١٧٢

■ مساحة ود : خاطرة .

- محمود عبد الوهاب .. ١٧٥

عزيمى القاري

في إطار الاهتمام بالقضية الفلسطينية وبمناسبة مرور أربعين عاما على النكبة .. وبعد ان طرأ عليها عنصر جديد منذ أشهر تمثل في انتفاضة الشعب الفلسطيني بقيادة « أطفال الحجارة » .. وجدنا - عزيزي القاري - أن تقدم لك ملقا خاصا عن فلسطين ، يستعرض حلقة جديدة في سلسلة طويلة من النضال ... وقد شارك في تحرير الملف الدكتور شفيق الغبرا فتحدث عن فلسطين من الاقتلاع الى الصراع من أجل البقاء ، وتوفيق أبو بكر عن الجليل الفلسطيني الجديد تحت الاحتلال ، ود . عبد الوهاب المسيري عن الأقليات اليهودية وظهور الرأسمالية في العالم ، وأمين هويدي عن اسرائيل كتهديد نووي ، ورياض ممس عن فرنسا وجذور الصهيونية غير اليهودية .

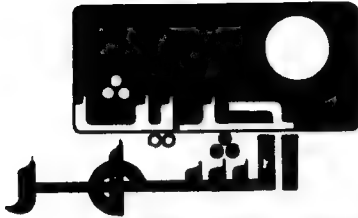
لم يشغلنا الملف عن تقديم العديد من المقالات في مختلف المجالات الثقافية التي عودتك العربي أن تضعها بين يديك .. فالدكتور عبدالله عبدالدايم يتحدث عن الايديولوجيا الناعمة ، وهي الموجة الجديدة في الغرب .. كما يقدم لك الدكتور عبدالرحمن زكي ابراهيم مقالا عن الاسلام والتوازن الاجتماعي ، كما يكتب فهمي هويدي عن التعددية والمعارضة في الاسلام ، وفي المجالات العلمية والطبية يتحدث د . علي مبارك عن علمين عربيين في سماء الطب ، ود . أمل المخزومي عن كهربائية الجسم والامراض النفسية .. كما يستعرض د . سمير رضوان معارك الاستنزاف بين البيئة والانسان .. ويقدم لك المهندس سعد شعبان الجديد عن المشاريع الأوروبية لغزو الفضاء ..

ولأن « العربي » هي عيونك على العالم فقد انطلقت الى تايوان .. لتقدم لك الجميلة التي لم تعد عذراء ... والى باريس لتحدثك عن اليونسكو وعلماء الثقافة والعلوم والتربية .. والى موسكو لتجري وجها لوجه مع الجنرال دواغونسكي الحاصل مرتين على لقب بطل الاتحاد السوفيتي .

وهكذا تختار لك « العربي » باستمرار كل جديد ، فهي تهدف الى أن تضيف الى معرفتك واطلاعتك كل مفيد في مختلف الميادين الثقافية .. وهي بذلك تضع في اعتبارها أنك من يقف وراءها باستمرار ويشد عضدها .

« قالعربي » دائما في خدمة قرائها على طريق الإسهام بمادتها التحريرية في إغناء الثقافة العربية . □

المحرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

وعاى 'رحس' فسلستين 'النداس زينة'

الحديث عن (الانتفاضة) حديث طويل ، وقد تشعب في الكثير المطبوعات العربية وغير العربية ، حتى أصبح من حق القارئ العادي يتساءل : وما الجديد في الانتفاضة كي نفرد له حديث هذا الشهر العربي ؟

قد يكون هذا التساؤل طبعيا ، لذلك وجب تحديد دوافع الحديث منذ البداية ، حتى يتعرف القارئ على خط الإبحار الذي نريد عرضنا هذا .

فدوافع الحديث أربع نقاط أساسية هي :

- أن ما يحدث هو استمرار لثورة .

- وأن ما يحدث قد كشف على أرض الواقع زيف ادعاء طويل من :

الصهيانة كاد بعضنا أن يصدقه !





- وأن ما يحدث هو طريق عبقرى في المقاومة .
- وأن التوقعات والواجبات المستقبلية هي أهم ما يجب أن نساهم فيه
في هذه المرحلة من الثورة .

ثورة مستتمة :

ومن الاختصار الى التفصيل :

بادئ ذي بدء ، لقد وقعنا جميعا - في وسائل الاعلام العربية - في اشكالية ليست سهلة ، عندما وصفنا ما يقع هناك في فلسطين على أنه (انتفاضة) ، انها في حقيقة الأمر ثورة ، أو قل استمرار لثورة ضد الاحتلال ، قد تنأجج هذه الثورة وتخلق لها طرقا ووسائل اعلان عن نفسها ، وقد نخبو ونختفي قليلا تبحث عن وسائل جديدة ، لكنها ثورة متراكمة تعبر عن رفض أهلنا في الأرض المحتلة ، ومعهم كل العرب الشرفاء ، أن تظل فلسطين تحت هذا الاحتلال العنصري المدمر ، ثورة لها علاقة بكل ما جاء قبلها من نضالات وثورات منذ مطلع هذا القرن موصولة بكل ما سوف يجرى بعدها من نضالات وثورات حتى تحقيق التحرير الكامل ، ثورة تقول إن للشعب العربي حضارة فيها من روح المقاومة الكثير .

ما يحدث
في الأراضي
المحتلة
هو
استمرار
لثورة

مأهو الشبح الذي يطارد الامرائيليين؟

فهي في أعماق الانسان الفلسطيني العادي ، وهي كذلك في أعماق الانسان العربي العادي . من هنا فإن ما جرى في الأشهر القليلة الأخيرة ويجري على الساحة الفلسطينية يجب أن نسميه باسمه : ان ما يحدث هو « استمرار للثورة »

ولقد كشفت هذه المرحلة من الثورة التي سماها البعض (بثورة الحجارة) عن أمرين : أولهما هو عبقرية المواطن الفلسطيني البسيط الذي كان الغضب يأكل من أعصابه يوميا على امتداد السنوات الطوال السابقة فقد كشف عن عبقرية تمثلت في المقاومة الايجابية في الشوارع والحواري والأزقة بطريقة يصعب - حتى الآن - أن يواجهها المجتمع « الاسرائيلي / المعسكر » هذه العبقرية تمثلت بقذف ذلك المجتمع - المعسكر - بالحجارة أمام أعين العالم ، هذه العبقرية تمثلت في بساطة الوسيلة ، « فاسرائيل » لديها حتى الآن من الوسائل ما يمكن أن تواجه به الكثير من مظاهر المقاومة - وخاصة المسلحة - لكنها لم تكتشف بعد وسيلة تقضي بها على هذه العبقرية ، الأهم من ذلك كله ان اكتشاف هذا الطريق سوف يؤدي الى اكتشاف طرق أخرى جديدة لا تستطيع المؤسسة العسكرية والسياسية « الاسرائيلية » احتواؤها مثل ما عجزت عن احتواء ثورة الحجارة .

شبح الصليبيين :

الامر الثاني الذي كشفت عنه ثورة الحجارة هو السقوط على أرض الواقع لمقولات وممارسات صهيونية كثيرة . هذا السقوط لم يكن مفاجئا للعرب ولا حتى للعالم الثالث ، لكنه كان قائما (نظريا) فأصبح مشاهدا ملموسا لا يمكن لأحد انكاره . فما هو هذا السقوط ؟

دعوني أشير إلى مصدر « إسرائيلي » في هذا الموضوع - حتى لا يبدو الحديث وكأنه طمأنة للنفس - هذا المصدر « الاسرائيلي » هو عبارة عن كتاب نشره في العام الماضي الكاتب (بنيامين بيت حلامي) وعنوانه « الاتصالات الاسرائيلية : من تسليحه اسرائيل؟ ولماذا؟ » وأهمية هذا المصدر انه نشر قبل التحرك الجديد (ثورة الحجارة) لاهلنا في فلسطين . يقول الكاتب في إحدى فقرات الكتاب :

(إن هناك شبحا يطارد المجتمع « الاسرائيلي » وقادته ، هذا الشبح هو شبح الصليبيين الذين أنشأوا لهم مملكة في القدس في القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم ليطردوا بعد ذلك بمائتي سنة . . وأشباه أخرى حديثة



تطارد « الاسرائيلي » كمصير المستوطنين في الجزائر وروديسيا وجنوب افريقيا .. مشكلة المشروع الصهيوني الحادة هي كيف يتجنب مصير دولة الصليبيين ؟) .

ويرى الكاتب أن القادة « الاسرائيليين » قد تفتق ذهنهم تاريخيا عن حلين لتجنب ذلك المصير :

الحل الأول هو التحالف مع قوة خارجية عظيمة ، والحل الثاني هو تطوير أسلحة ذرية فتاكة لردع أي محاولة تحرك عسكري تقليدي ضدهم من الجيران !

يضيف الكاتب (ان التحالف مع قوة خارجية عظيمة لا يمكن الوثوق بها الى الأبد . لكن القوة النووية والردع العسكري يمكن أن يخيفا الآخرين) .

لنتذكر أن هذا الكلام قد قيل قبل (ثورة الحجارة) ومن هنا يأتي قولنا عن عبقرية الطريق التي تبنتها هذه الثورة ، فهذه الوسيلة قد أسقطت كلا من الحلين (التاريخيين) : التحالف مع قوة عظيمة ، وتخزين ترسانة سلاح .

« فإسرائيل » تستطيع أن تقصف المفاعل النووي العراقي مثلا وتبرر ذلك أمام العالم ، بدواع أمنية عديدة ، وقد لا يقبل البعض ذلك التبرير لكنها فعلت ذلك .

وتستطيع أن تهاجم سوريا عسكريا تحت شعارات مختلفة ومختلقة ، أو أن يقوم « الجيش الاسرائيلي » بضرب أهداف قريبة أو بعيدة كما حدث تكرارا في لبنان وخيماوات الفلسطينيين أو في أقطار عربية أخرى مثل تونس والأردن ومصر في أوقات سابقة ، أو افتعال حرب مباشرة مع العرب .

كل ذلك يمكن ان تفعله « اسرائيل » . وقد لاحظ أحد المراقبين أن « اسرائيل » تأتي بعد الولايات المتحدة في قائمة أكثر المتورطين في عدد الحروب .. منذ الحرب العالمية الثانية .

هذه القوة العسكرية هي التي أوجدت سمعة ضخمة « لإسرائيل » لدى الدكتاتوريات الصغيرة في كثير من أنحاء المعمورة . فهذا (المجتمع المعسكر) يصرف حوالي ٣٠٪ من مجموع إنتاجه القومي على السلاح وما يتفرع منه من أنشطة .

ولكن هذا (المجتمع المعسكر) كما قلنا لم يستطع أن يضع باعتباره ثورة داخلية يمكن أن يقوم بها المواطنون الفلسطينيون العزل إلا من إيمانهم

مشكلة

المشروع

الصهيوني

الحادة

هي كيف

يتجنب

مصير

دولة

الصليبيين

بوطنهم ، فسلكت هذه الثورة طريقا لا تستطيع معها (الآلة العسكرية) أن تفعل شيئا .
بهذه الملاحظة يمكن أن نتعرف على ورطة « اسرائيل » اليوم التي كشفت على أرض الواقع زيف ادعاءاتها بأنها تملك قوة مطلقة .
لقد كانت دائما تدفع القوى المناهضة لوجودها الى ساحات تملك هي العصا الغليظة فيها والقوة الكبرى ، فظهرت لها ساحة لا تملك اليوم تجاهها أي سلاح فعال !

الشرعية الدولية:

ديفيد بن جوريون - الذي يعتبر من الأبناء المؤسسين (لاسرائيل) - قال في يناير ١٩٥٧ (من وجهة نظر بقاتنا وأمتنا ، فإن صداقة بلد أوروبي واحد أكثر قيمة من وجهات نظر كل سكان آسيا) .
فعلاقة (اسرائيل) بالغرب والدعم الذي تجده هناك قضية أساسية لبقائها ، وهي فكرة نابعة من « التحالف مع قوة عظمى » وفكرة متفرعة أيضا من محاربة (اسرائيل) لأشكال تصفية الاستعمار المختلفة ، لأننا لا نجد نظاما ضد شعبه أو استعمارا قديما أو جديدا إلا وأصابع « اسرائيل » تدعمه بقوة .

لكن الأهم في مقولة بن جوريون هو ما يضعه هذا الكيان من أهمية لرأي المجتمع الدولي تجاهه وبخاصة الغربي منه .
ثورة الحجارة الأخيرة كادت أن تسقط هذا الشعار الرئيسي أو تخلخله ، وهو الحفاظ على علاقة طيبة مع الرأي العام الغربي . ديفيد كيه - المدير العام السابق لوزارة الخارجية « الاسرائيلية » ونائب مدير سابق لجهاز المخابرات الاسرائيلي (الموساد) قال : لم تصبح « اسرائيل » هدفا للحجارة في شوارع غزة وفي الضفة الغربية فقط بل وفي اعمدة الصحف البريطانية والأمريكية أيضا .

إنه يقول هذا الكلام لا ليدافع عن أحد ، بقدر ما ينقد (الطرق التي اتخذتها اسرائيل للحفاظ على الأمن والنظام ، بأنها غير لطيفة وقاسية) .
وفي مجلة التايمز البريطانية يتخاطب رئيس الحاخامات البريطاني جاكوبوفيتش مع علي مغرم الغامدي سكرتير عام المركز الاسلامي في مطلع فبراير المنصرم حول ما يقوم به (هذا المجتمع المعسكر ضد المواطنين الفلسطينيين العزل التي ذكرت الناس بالفظائع التي ارتكبتها النازيون) .

المرآة
التي
تظهر
الواقع



شورة الحجارة استطاعت وحدها الدق على الجدار الغربي الصلد

صحيح أن رئيس المحاكمات دافع - من خلال اختياره لبعض الحوادث وإغفال بعضها - عن موقف «اسرائيل» إلا أن الحوار بعد ذاته لفت نظر الجمهور البريطاني إلى صور لم يكن يراها في السابق ، وهو حوار ينشر في مجلة «التايمز» التي لها ثقلها في تشكيل الرأي العام البريطاني .

إن «اسرائيل» لا تعنى كثيرا بالموقف السياسي للعالم الثالث حيالها ، والوقائع متحدنا عن ذلك ، فاليوم لا توجد أكثر من ٧٥ دولة تعترف بـ «اسرائيل» ولكن كثيرا منها من دول الشمال الغني المؤثرة ، في حين أن ما يقارب المائة والخمسة عشرة دولة تعترف «بمنظمة التحرير الفلسطينية» ، لكن معظمها من العالم الثالث ، واسرائيل لا تقيم وزنا لقرارات الأمم المتحدة أو حتى مجلس الأمن ، فقرار مثل مساواة الصهيونية بالعنصرية لم يؤثر في «اسرائيل» . ومنذ ١٩٦٧ أقامت الأمم المتحدة مؤسسات عديدة للتعامل مع القضية الفلسطينية ومع قضايا المواطنين في الأرض المحتلة وعقدت كثيرا من المؤتمرات ، وقدمت هذه المؤسسات الكثير من المبادرات التي تحولت إلى قرارات فيها بعد ، ووقفت «اسرائيل» وحدها ترفض هذه القرارات في وجه المجتمع الدولي ، وفي بعض الأوقات فإن صوتا آخر هو صوت الولايات المتحدة كان يؤيد ويدعم الصوت «الإسرائيلي» .

لقد حاول مجلس الأمن - على سبيل المثال - إصدار حوالي مائتي قرار ضد «اسرائيل» ، بعضها رفض عن طريق (الفيتو) الأمريكي وبعضها عطل بعد أن صدر .

هذه القرارات في النتيجة تمثل الرأي العام العالمي ، خاصة في دول العالم الثالث والدول المحبة للسلام والعدل التي قد لا تكون لها قوة تنفيذ ، لكن هذه القرارات هي كتابة على الحائط كي يراها المجتمع الدولي دليلا على حق العرب وباطل «اسرائيل» . إنها بداية دخول «اسرائيل» نفق المرحلة الحرجة ، لكن الأهم من ذلك موقف الرأي العام الغربي وبخاصة في الولايات المتحدة التي بدأت ثورة الحجارة تدق على جداره الصلد .

ثورة الحجارة : المناخ والشارة .

تعددت التفسيرات التي قدمت حتى الآن لما يحدث في الأرض المحتلة ، بعضها كان سريعا والآخر عاطفيا ، وبعضها الآخر لم يخل من غرض ، وأفضل التصورات القرية إلى العقل والمنطق أن قاعدة التحرك الأخير الصلب هو التراكم الذي حدث خلال الأربعين عاما الماضية من

حروب وتحالفات وتنظيمات ومناورات فشل بعضها ونجح بعضها الآخر ، وسقط على الدرب آلاف الشهداء ، فكانت حصيلة هذا النضال الفلسطيني والعربي بكل عثراته تلك الأيادي العبقريّة التي حملت الحجر وقذفته في وجه الاحتلال ، يعصدها الأب والأم والجد على الأرض وفي المنفى .
وان ابتعدنا عن التعميم الى تحديد التفاصيل ، فإننا نجد شروطا علمية قد توافرت وواكبها مناخ صالح ، ثم حدثت شرارة ثم التحام وترابط الداخل بالخارج .

المناخ الصالح تعددت مدخلاته ، منها السلمي ومنها الإيماني ، لكنها جميعها شاركت في تكوين « المناخ الصالح » كالنار واللحم ، يتعاونان ليتنج عنها أكلة شهية ، ونحن موضوعيا لا نستغنى عن اللحم ، كما لا نستغنى عن النار .

لعل الموقف (الإسرائيلي) من القضية برمتها منذ أن بدأت قد زاد في عمق الجرح وازداد ألم الفلسطينيين والعرب ، لعل هذا الموقف بأشكاله المختلفة من اعتقال ومصادرة وحرمان وتجويع وقتل قد كان أحد أهم العوامل في إعداد المناخ الصالح ، ونتيجة مواقف التعتن الصهيوني الاستغزائية تلك لم يكسب الى صفة بعد أربعين عاما من الاحتلال أية شريحة أو بعضا من شريحة اجتماعية من أهلنا هناك ، زد على ذلك الوضع الانساني الذي تركت فيه القرى والمدن العربية في فلسطين ، والوضع اللانساني الذي أصبحت عليه المخيمات التي يعيش فيها الفلسطينيون في الأرض المحتلة ، حتى أصبح شعار المرحلة ان « الشاة المذبوحة لا تخشى السليخ » ولم يبق أي احتلال عرفه الانسان المتمدن منذ فترة طويلة بمثل هذه الممارسات .

عامل آخر من عوامل إعداد المناخ الصالح ، هو مآلاقاء وإلاقية الفلسطينيين في بعض ديار هجرتهم ، ولعل ما قامت به بعض منظماتهم من تصرفات قد اتسمت في وقت من الأوقات بقصر النظر أو عدم الفهم ، ولا يمكن استبعاد أن (اسرائيل) تدخلت في بعض تلك التصرفات عن طريق (الأعمال السرية) التي تحيدها ، بل تتفوق فيها لضرب إسفين بين الفلسطينيين وبيتهم الطبيعية ، ولعل لبنان من بين شواهد أخرى دليل كبير على ذلك ولا أود ذكر المزيد .

إلا ان حصيلة هذه النجاحات والأخطاء في البيئة الخارجية كان إيجابيا على الداخل ، فقامت المنظمات المختلفة خلال عشرين عاما من

حركة
التاريخ
لاستجمد
في مكان
وزمان



**ما هي
العبرية
التي عجزت
لـ"إسرائيل"
عن
مواجهتها
حتى الآن؟**

الاحتلال الأخير (١٩٦٧) بتشكيلات كانت عسكرية في البداية (فدائيين) لكنها بعد سنة ١٩٨٢ غيرت من بناء هياكلها كي لا تقتصر على العناصر القابلة والقادرة على العمل العسكري ، وهي بطبيعتها تحتاج الى استعداد فكري وكفاحي عالي المستوى ، بل تحولت الى العمل الجماهيري ، وبالحذ الأدنى من الالتزام . وهكذا كانت الأرض صالحة في السنوات الأخيرة لقيام جبهة وطنية عريضة في داخل الأرض المحتلة .

كما غيرت المنظمات من شروطها ، فبعد هذه المسيرة الطويلة تبين أن المسألة (الايديولوجية) الضيقة تعمل على العزل بدلا من الضم ، فبدأت حدود تلك الايديولوجيات على اختلافها تذوب خضوعا لمواقع المقاومة على الأرض . ولعل المؤتمر الفلسطيني الأخير في الجزائر كان محصلة حقيقية لهذا النضج التنظيمي ، وبعد ذلك المؤتمر أصبحت هناك جبهة وطنية شبه كاملة ، تذكرنا - حتى عن طريق المكان - بجبهة التحرير الجزائرية التي كانت وحدتها أحد أهم عوامل نجاحها في التحرير .

ثورة الحجارة أسقطت كلّ من الحكّين الإسرائيليين التقليديين؟

ومن عناصر المناخ الصالح ما ينطبق عليه القول المأثور (رب صارة ناعمة) ، فقد كان التشردم العربي الذي ظهر على الساحة في السوات الأولى من الثمانينيات مخيفا ومنذرا بنذر خطيرة ، وهكذا جاءت القمة العربية في عمان التي سميت قمة الوفاق والاتفاق ، وإن كان البعض يعتقد أن الموضوع الفلسطيني لم يأخذ الحيز المرجو فيها ، إلا أن نتائجها العامة التي أعادت الأمل للعرب قد أثرت بشكل إيجابي فيها حدث بعد أسابيع قليلة في الأرض المحتلة .

هذه بعض مكونات المناخ الصالح الذي نضجت من خلاله ثورة الحجارة ، أما الشرارة فقد كانت شهداء (قبية) أو شهداء الطائفة الشراعية الذين تمكنوا بجسارة وبطريقة مبتكرة أيضا من الوصول إلى مفصل من مفصلات (إسرائيل) العسكرية ، جاء بعده شهداء عجم جباليا عندما قتل سيارة « إسرائيلية » عمدا مع سبق الإصرار أربعة شهداء وهم يسيرون أبرياء في الشارع العام ، تلك هي الشرارة التي فجرت الوضع الذي كان يتراكم لفترة طويلة .

وبعد ذلك تم التلاحم بين الداخل والخارج ، وأفرزت الثورة هياكلها التي ما زالت على طريق التحرير الطويل تسير .

ثورة الحجارة : التوقعات والواجبات :

من المتوقع أن تزداد حركة الانشقاقات في (المجتمع العسكري الإسرائيلي) ويصبح الفرز واضحا بين اتجاهين : الاتجاه الأول يمين يطالب بأقصى ما يمكن اتخاذه ضد المقاومين الفلسطينيين ، هذا اليمين يتصف علميا بضعف الرؤية التاريخية بعيدة المدى ، فهو يعتقد أن الوضع العربي لا بد أن يتجمد عند نتائج حرب ١٩٦٧ ، وإن لم يفعل فيجب شن حرب ضده ، وكانت النجاحات الجزئية التي حققها باتجاه هذا التجميد مغرية له في الامعان بتجاهل حركة التاريخ ، وحركة التاريخ لا تتجمد في مكان أو زمان ، وقوانين الشعوب أقوى من إرادة مستوطن أو مستعمر . أما الاتجاه الثاني في المجتمع العسكري « الإسرائيلي » فسوف يبحث عن حلول وسطية تستطيع أن تحتوي هذه الثورة ، وقد يتفتق ذهنه عن أمور ليست في حسابنا هذه الساعة . هذا الاتجاه يجب وضعه تحت المجهر ، ورصد تحركاته ، والتفاعل مع مناوراته بخطط بديلة .



قد تخضع أمتنا لفترة تحت ظروف قاسية لكنها بالقطع لا تموت

وقد تلجأ (اسرائيل) - كما ورد كثيرا - الى اتخاذ طريق تفريق الصف الفلسطيني أو اختراق الحائط العربي باتجاه ضرب الثورة ، وذلك ما حدث جزئيا لاحباط ثورة ٣٦ - ١٩٣٩ وما بعدها عندما كانت «اسرائيل» تادر بالاعتداء على العرب كلما شعرت بأن حركة جادة للمقاومة بدأت تجمع قوتها ، وذلك بعض التوقعات .

إلا أنه من أول الواجبات تحديد ما نريده بوضوح شديد ، وفي تقديري أن ما يجب أن يطرح في هذه الفترة التاريخية هو وضع قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن كلها موضع التنفيذ بدءا من القرار ١٨١ ذائع الصيت حتى آخر قرار ، والدعوة السياسية لذلك كله من خلال مؤتمر دولي كامل الصلاحية ، أما الواجبات فهي على أكتافنا جميعا ، وهي كثيرة ، وكذلك هي فرض عين ، فالهدف العظيم يجب أن يرفد بطرق عظيمة ، ومن أول الواجبات الدعم المباشر بكل أشكاله مع الأخذ بعين الاعتبار النجاح في طرق إيصاله الثلاثة : حسن توريعة ، وتحديد لقطاعات الأكثر حاجة إليه ، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار رفع درجة مشاركة الجماهير في الداخل بما فيهم جماهير ١٩٤٨ ، والذين قد يكون تحركهم بشكل أوسع صلبة قاصمة لخطط «اسرائيل» .

ويأتي الموقف السياسي والاعلامي ليعضد كل ذلك ، فاستمرار الأهل في الداخل في تطوير مقاومتهم يحتاج الى رفق إعلامي وسياسي دائم ، تقوم صحف العرب وإذاعاتهم وتلفازاتهم بجزء كبير منه ، لكن الجهد الأقصى يجب ان يبذل ليوقف الرأي العام العالمي على مظالم الاحتلال ، وقد يكون من الأولويات الاعلامية فتح ملفات مجرمي الحرب الصهاينة وقائماتهم تطول .

وتلك بعض الواجبات فقط .

فالتحالف التنظيمي الراسخ على أرض الثورة ، والإرباك الذي سببته للقوى الصهيونية المحتلة ، يكشفان لنا حالة من الحيوية . واستعادة للثقة الكبرى المفقودة ، وهي حالة تجدد الأمة فيها نفسها ، وقد وعت ذاتها ، ووعت عدوها ، ووطدت نفسها على مواجهته ، وهي حالة جردت عدوها من أفضل أسلحته بابتكارها طرقا جديدة في الكفاح ، وهي حالة تؤكد لنا بكل الشواهد أن هذه الأمة وإن خضعت فترة ، إلا أنها أمة لن تموت . □

محمد الرزقي

«الاستيعاب» الناعمة موجة جديدة في الغرب

بقلم : الدكتور عبدالله عبدالدائم

تمحيص « الأيديولوجيات » وتنقيحها وإعادة النظر فيها ، بل ووضعها موضع التساؤل والشك ، مواقف ليست جديدة ، وإن لبست تبعاً للأحداث والملابسات حلالاً متجددة ، وتصويب « الأيديولوجيات » ، وتسديد مراميها في ضوء تقدم الحضارة الإنسانية وتطور مظاهرها وآثارها أمر مألوف كذلك ، لاسيما بعد ظهور الثورة الصناعية في تاريخ الإنسانية منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، لكن بروز موجة جديدة في الغرب تبشر « بالأيديولوجيا الناعمة » هو الجديد في الأمر . فما هي هذه « الأيديولوجيا » ؟

تم تأليف هذا الكتاب بدعوة من الحزب الشيوعي التشيكي قبل أحداث « ربيع براغ » الشهيرة عام ١٩٦٨ ، تلك الأحداث التي أطاحت بأصحاب الاتجاه السياسي الجديد في الحزب ، وأطاحت معهم بالحصاد الفكري « الأيديولوجي » الذي عبر عنه هذا الكتاب . ومحور هذا الكتاب هو تحليل النتائج التي تنجم عن الثورة العلمية التقنية ، وبين ما تمليه من تعديل في « الأيديولوجية » السائدة . وعلى منوال هذا الكتاب - بل تحت تأثيره المباشر - كتب « روجيه شارودي » عام ١٩٦٩ كتابه الشهير « منعطف الاشتراكية الكبير » .

إن أضخم مراجعة عرفتها « الأيديولوجيات » في العصر الحديث سواء انتسبت إلى اليمين أو اليسار ، هي تلك التي ولدتها الثورة العلمية التقنية المخففة في الطبيعة لا في الدرجة كما يقول ثقات المحللين من الثورة الصناعية التي سبقتها . ولعل أبرز نتائج تلك المراجعة التي أطلقتها هذه الثورة العلمية التقنية مانجده في ذلك الكتاب الذي وضعه فريق كبير من الباحثين في معهد الفلسفة التابع لأكاديمية العلوم التشيكية بإشراف « رادوفان ريشبا » الذي حملت ترجمته الفرنسية عنوان « الحضارة على مفترق الطرق » عام ١٩٦٨ . ولقد

فهرت العلاقات الانسانية ، ورسمت لها اطارا جديدا كل الجسدة ، كموازم الألكترون والذرة والفضاء والمحيطات والهندسة البيولوجية والنسل وسوى ذلك .

الفردوس الموعود

من هنا بدت جهود مراجعة « الأيديولوجيات » في ضوء ذلك كله أمورا طبيعية ، بل لازمة ، وأخذ الكثير من المنظرين يشرون مجتمع جديد ، أبعد عن الصناعة واستعبادها للانسان ، وأقرب الى حاجات الانسان الحقيقية ، وأدنى الى إرواء منازعه ورغباته وصيواته ، سواء كانت جسدية أو فكرية أو انفعالية . ومن أبرز من تنبأ بمثل هذا الفردوس الجديد «دانييل بيل» من جامعة «هارفارد» في كتابه «نحو مجتمع ما بعد الصناعة» (عام ١٩٧٣) ، وعالم الاقتصاد الفرنسي «جان فورايتيه» في العديد من كتبه ، لاسيا كتابه الشهير «أمل القرن العشرين الكبير» (الذي ترجم الى العربية منذ عقدين ونيف) ، وكتابه «تاريخ الغد» ، وكتابه «الأربعون ألف ساعة» ، بل حتى كتابه (مع ابنته) «من فرسة الى أخرى» الذي ظهر في آخر عام ١٩٨٧ .

على أن هذا الفردوس لم يتحقق ، ولا تشير الاتجاهات السائدة الى إمكان تحقيقه خلال حقبة معينة ، ولا تكشف عن بوادر تبشر بمخاضه وولادته ، بل إن كل شيء يشير الى أن عالمنا يشهد أزومات متزايدة في شق جوانب حياته ، وعلى رأسها الأزومات الاقتصادية ، كما أن كل شيء يشير الى أن هذه الأزومات أدخلت في التزايد عاما بعد عام وعقدا بعد عقد .

ولاشك أن بروز أزومات العصر الاقتصادي والاجتماعية والسياسية والثقافية ، وانتشارها وشمولها العالم المتقدم والعالم النامي على حد سواء ، جدرة بأن تجند أقدام الكتاب وأفكار المنظرين في سبيل البحث عن سبل الخروج منها . وقد فعل ذلك كثير من الكتاب والباحثين والعلماء في مختلف

وفي الجانب الآخر ، جانب « الأيديولوجية » الرأسمالية اليمينية ، ظهرت أيضا مؤلفات عديدة ، تحاول أن تعيد النظر في « الأيديولوجيات » الرأسمالية ، في ضوء التقدم العلمي التقني ، وما ولد من عالم متسارع في تغيره ، وما أدى إليه من خضوع مسيرة الانسان ومصيره لارادة الاقتصاديين و«التكنوقراطيين» ومديري الانتاج ، ومن أبرز الأمثلة على هذه المؤلفات كتابات «ماركوز» الشهيرة العديدة ، ويوجه خاص كتابات «آلفين توفلر» ، يدها بكتابه الشهير الذي أحدث دويا صارخا ، وتعي كتاب «صدمة المستقبل» (وقد ظهر عام ١٩٧٠) ، وانتهاه بكتابه الذي ظهر عام ١٩٨٣ ، وعنوانه «ارهاصات ومقدمات» .

ومن خلال تنقيح «ايدولوجيات» اليمين و«ايدولوجيات» اليسار ظهرت تيارات تحاول أن تقول بالتقارب المحتوم بين هاتين «الأيدولوجيتين» ، وبإزوال الفروق الحادة بينهما تدريجيا ، بحكم التقدم العلمي التقني كذلك ، وكأنها تنبأ بولادة «ايدولوجيات» واحدة ، لا بد أن يملها في نظرها تغير البنى الاقتصادية والاجتماعية تغيرا متماثلا في البلدان المختلفة ، بفعل انتشار آثار الثورة العلمية التقنية في كل مكان

« الأيديولوجيات » وحاجات الانسان

لقد كانت هذه المحاولات جميعها - محاولات التنقيح والتصحيح ومحاولات الجمع والتوفيق - تعبيرا عن جهود فكرية دائية ، مهما أن تجند « الأيديولوجيات » الملائمة للعصر ، وأن تنبأ « بالأيدولوجيات » المرجوة في المستقبل . وكان وراء تلك الجهود دوما الواقع الجديد المتغير الذي تحدثه في عالم العمل أدوات العمل وعلاقات العمل وحياة العمال التطورات السريعة التي تتم بسبب الثورة العلمية التقنية التي تجاوزت بالثورة الصناعية الى مجتمع ما بعد الصناعة ، والتي شاعت فيها الآثار الاجتماعية والانسانية الفريدة « للآتمتة » ، وللتمحرك الذاتي للألة ، والتي غزت عوالم جديدة ،

الأمصار ، ومن شتى ميادين المعرفة ، وأدى ذلك الى مراجعات «أيديولوجية» متباينة المنازع .

الأيديولوجيا الناعمة :

غير أن ثمة منزعا - هو قصدنا في هذه الكلمة - أخذ في الشيوع والذبيوع ، لاسيما خلال الثمانينيات ، يثير كثيرا من التساؤل والعجب ، بل والاستكار . وهو على الرغم من غرابته منزع شائع لدى كتاب ومفكرين عديدين في الغرب^(١) . بل يكاد يكون هو المنزع الشائع لدى كثرة كاثرة من الشبان هناك ، وهذا سادفنا الى الحديث عنه وتفنيده . لاسيما أنه منزع لا يخلو من إغراء ، وأن أشعته بدأت تسري الى عالمنا النامي نفسه ، وأن تربة الواقع العربي - كما سترى - مهية لغزوه . إنه المنزع الذي يواجه الأزمات مواجهة تبدو إيجابية ، لكنها في أصحها تعبر عن استسلام للواقع وخضوع له ، ذلك أنه يدهو الى ماسماه «هويج» و«باريس» في كتاب لها حديث (ظهر في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٧) باسم «الأيديولوجيات الناعمة» إن صحت الترجمة (Soft Ideologie) .

ومن العسير تلخيص أفكار أصحاب هذا الاتجاه (وهي أفكار مثبثة على نحو غير منظم في كتابات العديد من المفكرين في الولايات المتحدة وأوروبا) ، وحسبنا أن نقول - بلغة برقية - إنه اتجاه ينكر المشروعات النظرية الكبرى (أي الأيديولوجيات) التي تحاول بناء المجتمعات بناء جديدا ، ويرى أن عهد هذه المشروعات الاجتماعية عهد قد مضى وانقضى ، وفي مقابل ذلك يدهو الى «أيديولوجيات متواضعة» وفي حلوها الدنيا ، مهما أن توفر حدا أدنى من الوفاق الاجتماعي الشامل

في أي مجتمع . ومن هنا نرى أنه اتجاه يقبل بالواقع ، ويضع لقوة الأشياء ، ولا تحمل الأيام غير طباعها . ويرى أن أزمات هذا الواقع وصوباته (وهي أزمات لا ينكرها) لاسيلا الى مغالبتها ، بل لاسيلا الى مغالبتها بوجه خاص عن طريق «أيديولوجيات» كبرى هي في نظره عاجزة ، بل هي عنده أدهى وأمر ، إذ تزيد في الداء وفي تعقيد الأمور ، وتؤدي الى أخطر نتيجة فيما يرى ، يعني التسلط والتحكم والبربرية . وكل شيء عند أصحاب هذا الاتجاه أفضل من الرؤى «الرومانتيكية» والرسالات الفكرية الخاملة ، تلك الرؤى والرسالات التي عانت الانسانية منها الكثير . وفي مقابل تمجيد أصحاب الرؤى والرسالات والمناضلين في سبيلها ، يجد أصحاب هذه «الأيديولوجيا» (أو اللابيديولوجيا) الفرد الياثس القانع الرقيق الناعم في أن واحد ، وفي مقابل المجتمع الذي تسيطر عليه قيم «الذكورة» الصارمة يرسمون صورة مجتمع حر «أنثوي» رقيق .

الفرد قبل المجتمع !

ذلك أن الفرد وسعاده ومتعته وحرية أهم أهداف أصحاب هذه «الأيديولوجيا» ، إهم يدهون الى «الفردانية» في حالها النقية الصافية المجردة من كل مشروع رسالة ، فلقد انقضى في زهمهم عصر الصراعات والتمرد والثورات والأوهام والمشروعات الاجتماعية الطوباوية ، وجاء عصر اللامبالاة ، وعدم الاكتراس والحياد ،

بالإضافة الى عصر المتعة الفردية والتفتح الفردي الكامل . وه الأيديولوجيات «التقليدية» منبوذة عندها ، لأنها فاسدة منحرفة في قلبها وجوهرها ،

(١) من بين التشبيس بهذه «الأيديولوجيا» أتباع المدرسة الكاليفورنية في الولايات المتحدة ، وأتباع مدرسة «هراكنفورت» في ألمانيا (ادورنو وهوركايمر وهابرماس وبلوك الخ) بل وبعض الفرويديين الماركسيين أمثال رايش ومروم وبعض الدين أطلق عليهم اسم الفلاسفة الجدد في فرنسا ، وكتاب متعمقون أمثال «ايدجار موران والآن ميبك واندرية بروكوف وجيل ليوفتسكي وه غي سورمان» وه جان بودريار» وه ميشيل مافيسوني» وه موران ديسيو» وسواهم كثير .

في عالم الاتصال :

على أن أوضح ما في هذه « الأيديولوجيا » الناعمة إكبارها الخاص للاتصال ، ولوسائل الاتصال الحديثة ، والنظر إليها كأها الفلز الذي سيغير وجه الخليقة . ودخول وسائل الاتصال والمعلوماتية وسواها الى مجتمعاتنا واتساع نطاق استخدامها من أهم مايوحي لها بالأمل . ويزداد شأن هذه الوسائل بعد ولادة الجيل الثالث ثم الرابع من الحاسبات الالكترونية . والأمل معقود على هذه الوسائل من أجل خلق عالم انساني موحد يسوسه العقل . والعالم في سبيله إلى الانتقال من المجتمع الصناعي المستهلك للموارد الطبيعية الى المجتمع المعلوماتي المبدع للمنتجات المادية المطور للملكات الانسانية .

ويشط بنا القلم إن نحن حاولنا أن نفصل الحديث عن أهم سمات هذه « الأيديولوجيا الناعمة » ولعلنا ندرك من خلال هذا العرض الخاطف ومن خلال هذه اللقطات العاجلة لأهم معالمها ، أنها في غائمة المطاف دعوة الى الخروج من « الأيديولوجيات » والمشروعات الاجتماعية الكبرى ، وقبول بالواقع مهما تكن مساوئه واتفاق على الحد الأدنى من الإصلاح وتعجيل للفرد والحياة الفردية ، وجنوح الى السعادة والمتع الآنية ، ورفض للسياسة بالمعنى التقليدي لهذه الكلمة ، واصطناع لبعض المواقف الخلقية الانسانية التي تصدر عن الشفقة والتعاطف ، وإكبار لمجتمع المعلوماتية والاتصال وما يولده من لقاء ووفاق على مستوى كل مجتمع ، وعلى مستوى الانسانية ، وابتعاد عن كل مايشير العنف والسلطة ، وأخذ بالحلول المؤقتة والجزئية والناعمة . لعلنا ندرك من خلال ما عرضنا أن « الأيديولوجيا الناعمة » لا تتكرر أن ثمة أزمة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ، غير أن ذلك كله في نظرها لا يحول دون البحث عن ضروب صغيرة من السعادة ، ذلك أن البحث عن الخير المطلق كان ومايزال وهما ، وقد آن الأوان لكي نتحرر من الأوهام كلها .

ولأنها عائق دون النعمة الفردية

و« الأيديولوجيا » الجديدة هذه ترفض التأزم والمساوية وترقب الحلول المعجزة ، وهي حين تدعو الى النعمة والارواء المحسوس للأهواء تدعو الى ذلك دعوة آنية ، ولا تقبل التأجيل ، فلا حاجة عندها الى المرور أولا « بالمظهر » - مظهر المشروعات الاجتماعية الكبرى - من أجل تحقيق السعادة الفردية ، ولا حاجة من أجل العثور على السعادة لانتظار قيام الثورة الاجتماعية او زيادة الدخل القومي ، بل علينا أن نقطع السعادة والنعمة الآن وههنا .

« الأيديولوجيا » الناعمة والأخلاق :

ومع ذلك لا تهمل هذه « الأيديولوجيا » الناعمة القيم الخلقية ، بل تعني بها ، لكن عنايتها تتم من منظور خاص ، فالأخلاق عندها تستند الى الخوف أولا وقبل كل شيء ، ومطمعها الوحيد في عالم تفر بأنه ناقص وغير كامل هو الخيلولة دون الشر والسوء ، ذلك السوء الذي نجده أولا وقبل كل شيء في البربرية والعرقية والغاشية ونظائرها ، إنها تهتز لمساعدة الحبشة مثلا ، وكل ما يتصل بالاحسان والصدقة يفرحها ، وهي تشمر بالأم الإنسانية ، وتدرك أن العالم قاس ومرعب وظالم ، لكن حبسها ، وهي الناعمة الرقيقة ، أن تملن أن هذا العالم غير مقبول ، وأن تدعو مع ذلك الى الحياة فيه ومعه . والبطولة الخلقية غير غائبة عن نظرها ، غير أن قوامها هو ذلك الثالث : النجاح والرياضة والمال . قوامها تلك القدرة على المغامرة والكسب والنجاح ، أما النواحي وشكوى الزمان والتيرم من فراغ الحياة أو من مجتمع فاسد مفسد ، فتلك مواقف بالية ، ومن الجلي كذلك أن يحمل المرء المجتمع مسؤولية مآسيه ومصائبه ، وكل مايتصل بالصحة والجسد يحمل المرء لدى أبناء هذه « الأيديولوجيا » قيمة خلقية خاصة ، فالجسد هو في آن واحد مصدر للنعمة ورأس المال ينبغي (تسميره) وإخصابه .

«أيديولوجيا» النهاية

إنما يبدأ يدفع القائلين بهذه «الأيديولوجيا»، نفي حرصهم الشديد على الحرية الفردية، وعلى الديمقراطية، ذلك الحرص الذي يصل بهم إلى حد رفض «الأيديولوجيات» مادامت تعني دوماً في نظرهم حق أصحابها في التسلط والتحكم، وإعارة الظلم والظفیان باسم المجتمع المنشود، ومادامت الأفكار والمبادئ قد تتقلب أحياناً - كما حلز من ذلك ماركس نفسه إلى تنويع رائع للمبررية (على حد تعبيره)، غير أنه لا حاجة إلى القول أن سبيل التغلب على مزالق «الأيديولوجيات» هذه ليس سبيل رفضها، بل سبيل البحث الجاد الذي هو ضالة الإنسانية دوماً وأبداً، عن الدمج العضوي التكاملي بين حرية الفرد وحرية المجتمع بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية كما يقال.

«الأيديولوجيا الناعمة» والمجتمع العربي

وبعد، قد يقول قائل أين نحن من هذه «الأيديولوجيات» التي هي نتاج التائق الفكري المفرط الذي نجد في المجتمعات الغربية، وولادة طراز الحياة التي يعيشها أبناء تلك الجماعات. والحق أن الأروية التي ولدت مثل «الأيديولوجيا» الناعمة الماربة ليست غريبة كل الغريبة عن الأرضية التي يسرح فوقها مجتمعنا العربي وسائر المجتمعات النامية، فالأزمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية التي تعاني منها هذه المجتمعات النامية،

والتي هي في أسد جوانبها انمكاس للأزمة العالمية هي عندنا أيضاً، كما هي في الغرب أزمات ترمقنا شذراً، ورمقها شذراً، دون أن ندرك بوضوح سبيل الخلاص منها، ودون أن نقوى على توليد مشروعات مجتمعية قادرة على تجاوزها. ومن هنا فالترية صالحة عندنا كذلك لولادة مثل هذه المواقف التي وجدناها في تلك «الأيديولوجيا» الثالثة، نفي المواقف التي تغلف استسلامها وعجزها بمنزاع جديدة تدعو إليها، لا تحل من إفراء ويسر، ولا يعوزها التحليل التائق الحديث، غير أنها في أحماقها

وقد يعجب القاري لوجود مثل هذه «الأيديولوجيا»، بل قد يحسب أننا خلطنا في وصف قسماتها وصفاتها. والحق أنها «أيديولوجيا» دائمة - كما سبق أن ذكرنا - لدى الكثير من الكتاب والباحثين والمفكرين، ولدى عدد كبير من الشبان في المجتمعات الغربية، بل لعمل القاري يدرك أن السير في مثل هذا المزلق في الغرب أو في سواء أمر متوقع، بوصفه رد فعل عاجز، لكنه متجلبب بجلباب الحداثة والتجديد، على الأزمات الكبرى التي تصف بالمصر، والتي لا تبدو قريبة الزوال، ولا يتبين أبناء الإنسانية بوضوح حتى الآن أين مستقرها، وأيان موعد انتصارها، وما السبيل إلى مغالبتها. إن هذه «الأيديولوجيا» تذكرنا (ولكن بلغة أحدث وأصق) بالنزعات التي ظهرت وتظهر بين الحين والحين، والتي تدعو إلى التكوخ عن الحضارة العالمية والعود إلى حياة الطبيعة، فراراً من مآسي الحضارة. ولئن كان القضاء على مآسي الحضارة لا يكون إلا بالايغال فيها من أجل تقويمها من داخلها، فكذلك لا يتم التخلص من عجز «الأيديولوجيات» بانكار «الأيديولوجيات» جملة وتفصيلاً، بل يكون تطويرها وتجديدها، ومثل هذه «الأيديولوجيات» الداعية إلى زوال «الأيديولوجيات» لا تعدو في واقع الأمر أن تكون فراراً من الواقع ومن الجهد ومن التفكير الجاد في مصير الإنسانية، إنها كما يقول بعضهم ليست سوى وضع مسيرة الإنسانية بين حاصرتين (معتزتين) لا بد أن تزولا بعد حين، وهي بذلك لا تيرهن على نهاية «الأيديولوجيات» بمقدار ما تنصح عن كونها «أيديولوجيا» النهاية، نفي «الأيديولوجيا» التي تعلن نهاية السعي من أجل تغيير الإنسانية، وذلك الوجه الضاحك الذي نحاول أن نصطنع لن يفتع أحداً أمام تفاقم المشكلات العالمية والأزمات الحقة الكبرى التي ستواجهها الإنسانية فيما يبدو.

على أن من الانصاف أن نقول أن ثمة متطللاً

● « الأيديولوجيا » الناعمة موجة جديدة في الغرب

المالية وائتمكاساتها ، وأن ينجينا هذا المجتمع في الوقت نفسه مخاطر هذه التجربة . والمنظرون الطاعون لبناء مشروع المستقبل العربي لا يمكن أن يحملوا مثل هذا التواصل والتأخذ بين التجربة العالمية والتجربة العربية ، ولا يد أن يضعوا هذا المشروع في موضعه الصحيح ، وموقعه الصحيح ، من حياة العصر كلها ، ومن هنا كان البحث عن معالم « الأيديولوجيا » العربية المدركة للعصر والعالمية بواقع الوجود العربي وموقعه في العصر والمتطلعة نحو المستقبل فضلا عن اتصالها بالماضي أهم ما ينبغي أن تشحذ له ألقام المفكرين العرب في أيامنا هذه . وقد أرف الحين من أجل بناء « ايديولوجيا » حية تجنب المجتمع العربي مزالق العصر ، عن طريق وهي هذا العصر ، وهي الواقع العربي في آن واحد ، وتقوى على مقابلة أزمات حاضره وصياغة صورة مستقبلة . □

تبرير لانصراف طاقات أبناء المجتمع نحو مصائرهم الفردية ومتعمهم الذاتية ، ودفع لهم نحو اللامبالاة وعدم الاكتراث . ولن تنهم بالفلوإن قلنا إن بذور مثل هذه المواقف أصبحت منبثة لدى الكثير من أبناء الجيل الشاب بوجه خاص في سائر أرجاء المجتمع العربي ، بل لعلها أدركت جيل الكهول والشيخوخ . ولئن كان المجتمع الغربي قادرا بفعل تقدمه وآليات بنيانه الذاتي المتطور على امتصاص مثل هذه الانحماجات ، بله مقاومتها ، شأن مجتمعا العربي الناشئ قد يصاب في قلب حركة تقدمه كلها حين تفزوه مثل هذه المواقف اللامبالية ، وهو في ريعان حياته الجديدة .

من أجل « أيديولوجيا » عربية حية

الحق أن معالجة مشكلات مجتمعا العربي والبحث في مصيره لا بد أن يأخذا بعين الاعتبار حصاة التجربة

البحث في مصيره لا بد أن يأخذا بعين الاعتبار حصاة التجربة

الخيل أبدا اكتشافات الانسان

● يقول العالم الفرنسي « بوفون » ليس في مملكة الحيوان نوع يتداخل تاريخه مع تاريخ الانسان كالجواد ، فهو الحيوان الوحيد الذي لا يعرف إلا في الحالة الأليفة ، فالجواد أبدا اكتشافات الانسان .

وإننا عندما نعود بالفكر إلى فجر الحضارة الانسانية نجد أن من العسير أن نفصل بين حياة هذا الحيوان والعمران الانساني ، فمتذ أطلت الخيل على التاريخ البشري نجدها لا تحيا إلا في ظل الانسان ، وهي لم تكن فقط للانسان الملية التي تشاطره حروبه وأجاده ، وإنما الرفيق الأمين الذي يشاركه متاعب العيش ومباهجها .

أما العالم بلوتاك فيقول : إن ظهور الخيل وترويضها لخدمة الانسان كانا من العوامل الحاسمة في تسير التاريخ القديم ، فإن قيام الكثير من الممالك القديمة كان رهنا بمدى ارتباط شعوبها بالخيل السريعة الخفيفة ، أو بمدى تحسيبها لوسائل استخدامها . إن الجواد يدوني كل صفحة من صفحات التاريخ ، وفي كل لفته من أساطير الشعوب ، فكم من معركة قرر مصيرها وجوده وسرعه . وإن الكلمة التي أطلقها أحد غزاة العالم الجديد عندما قال : «إننا مدينون بنصرنا إلى الجواد بعد الله » تصح على الكثير من الفتوحات الانسانية في طريقها نحو التقدم .



الإسلام

والتوازن الاجتماعي

بقلم : الدكتور عبد الرحمن زكي ابراهيم

لم يكف النظام المالي الاسلامي بتمويل النفقات العامة للدولة ، بل استهدف المساهمة في إقرار التوازن الاجتماعي ، وحين وضع الاسلام مبدأ التوازن الاجتماعي شرح فكرته ، وأوضح أنه يتحقق بتوفير الغنى لسائر الأفراد .

الاجتماعي لا تفرض عليها إشباع الحاجات الضرورية للفرد فقط ، بل تفرض عليها أن تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة التي يجباها أفراد المجتمع الاسلامي ، والكفاية من المفاهيم المرنة التي يتسع مضمونها كلما ازدادت الحياة العامة في المجتمع الاسلامي يسرا ورخاء . وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن حد الكفاية في حديثه بأنه « توفير القوام من العيش » ، أي ما به تستقيم حياة الفرد ويصلح أمره ، ويكون ذلك بإشباع احتياجاته التي تجعله يعيش في مستوى المعيشة السائد ، دون وجود فجوة واسعة تفصل بينه وبين غيره .

وقد أدرج الاسلام التوازن الاجتماعي ضمن أهداف نظامه المالي ، انطلاقاً من حقيقتين ، إحداهما كونية والأخرى مذهبية ، فالحقيقة الكونية هي

إن التوازن الاجتماعي هو التوازن بين أفراد المجتمع في مستوى المعيشة ، لا في مستوى الدخل ، أي أن يجبا جميع الأفراد مستوى واحداً من المعيشة ، مع الاحتفاظ بدرجات داخل هذا المستوى الواحد ، تتفاوت بموجبها المعيشة . والتفاوت هنا تفاوت درجة ، وكلمة الدرجة تفيد وجود أصل الصفة محل الاشتراك ، والاختلاف إنما هو في مقدارها فقط ، فالغنى يجب أن يكون قاسماً مشتركاً بين الجميع ، والاختلاف من فرد لآخر إنما يكون في مقدار الغنى ، وليس في أصل الغنى وأساسه ، وإلا لما كان اختلاف درجة ، وإذ كان اختلافاً جلياً ، كانتاقتصاداتالصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي .

ومسئولية الدولة على أساس مبدأ التوازن

• استاذ الاقتصاد - كلية التجارة - جامعة الزقازيق ، مصر .

هذه الاختلافات بين الأفراد في مختلف الخصائص والصفات حقيقة مطلقة ، ليست ناتجة من أحداث عرضية في تاريخ الانسان ، أو على أساس ظروف اجتماعي معين ، فالتباين يختلفون في مواهبهم وإمكاناتهم الخاصة قبل أي تفاوت اجتماعي بينهم في التركيب الطبقي للمجتمع . ولا يمكن لنظام اجتماعي إلغاء هذا التفاوت في تشريع أو في عملية تغيير لنوع العلاقات الاجتماعية .

العمل المشروع مصدر الملكية

قد قرر الاسلام أن العمل سبب الملكية ، واتخذ من العمل على هذا الأساس أداة رئيسية في جهاز التوزيع الاسلامي ، لأن كل عامل يحظى بالثروات الطبيعية التي يحصل عليها بالعمل ، ويمتلكها وفقاً لقاعدة « أن العمل سبب الملكية » . ومن هذه القاعدة يمكن أن نستنتج أمرين هامين :

الأول - السماح بظهور الملكية الخاصة ، حيث يمتلك الانسان العامل الأموال التي أنتجها ، ذلك أن

تفاوت أفراد البشر في العقول والمقهور ، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة ، أما الحقيقة الأخرى فهي القاعدة المذهبية للتوزيع القائلة بأن العمل هو أساس الملكية وما لها من حقوق .

الاختلاف بين الأفراد

الاختلاف بين الأفراد في الخصائص والصفات النفسية والفكرية والجسدية سنة كونية ثابتة دائمة في كل مجتمع بشري على الإطلاق ، لا سبيل لإنسان أو نظام إلى تغييرها ، وهي أن الله سبحانه وتعالى أخضع الخليفة للتمايز في المواهب والامكانيات والمقدرة على الإبداع والاختراع ، وحلدة الذكاء ، وسرعة البديهة ، وهم يختلفون في قوة العضلات ، وفي ثبات الأعصاب ، إلى غير ذلك من مقومات الشخصية الانسانية التي ورعت بدرجات متفاوتة بين أفراد الجنس البشري .



بإعمارها ، وأنشأت عليها مجتمعا ، وأقامت العلاقات بين الأفراد على أساس أن العمل هو مصدر الملكية ، ولم يمارس أي فرد عليهم أي لون من ألوان الاستغلال نحو الآخر ، فسوف تجد بعد فترة من الزمن أن هؤلاء الأفراد يختلفون في ثرواتهم تبعاً لاختلافهم في الخصائص الفكرية والروحانية والحيوية ، وهذا التفاوت أمر يقره الاسلام ، لأنه وليد الحقيقتين اللتين يقرهما معا ، ولذلك تكفل الاسلام بتوفير الايرادات العامة ، لكي تمارس الدولة تطبيقها لمبدأ التوازن الاجتماعي ، وذلك بوسيلتين رئيسيتين هما :-

١ - فرض التزامات مالية ثابتة تؤخذ بصورة مستمرة الزكاة .

٢ - إيجاد قطاعات عامة ، وتوجيه الدولة الى استثمار تلك القطاعات

الزكاة أهم الفرائض المالية الثابتة ، والدولة هي التي تجمع الزكاة وأمرها غير متروك للأفراد ، ولم يكف الاسلام بحصولية الزكاة ، وإنما قرر أن في المال حقا سوى الزكاة ، ذلك أنه إذا لم تكف الزكاة لسد حاجات الفقراء ، فإن للسلطة العامة أن تأخذ من الأغنياء بعد الزكاة ما يمكنها من سد هذه الحاجات ، وهذا الحق لا يتقيد ولا يتحدد إلا بالكفاية ، فيؤخذ من مال الأغنياء القدر الذي يقوم بكفاية الفقراء .

والى جانب الالتزامات المالية والضريبية هناك القطاع العام الذي يعتبر حائلا دون احتكار الأقوياء للثروة كلها ، ورصيда للدولة ، يمددها بالأموال اللازمة لممارسة التوازن الاجتماعي ، واعطاء كل فرد حقه في العيش الكريم من ثروات الطبيعة ،

حيث يقر الاسلام حق الجماعة كلها في ثروات الطبيعة التي خلقت للجماعة كافة لا لفئة دون أخرى ، ولعل أروع نص تشريعي يؤكد حق الجماعة كلها في الانتفاع بثروات الطبيعة قوله تعالى في سورة الحشر : « مَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ

في الانسان ميلاً طبيعياً الى الاختصاص بنتائج عمله من الآخرين ، لكن نوعية الحقوق التي ترتب على هذا الاختصاص لا تتحدد وفقاً ليل طبيعي ، وإنما يحددها النظام الاجتماعي وفقاً لما يتبناه من أفكار ومبادئ . وقد تدخل الاسلام في تحديد حقوق الاختصاص ، فأنكر بعضها ، واعترف ببعضها الآخر وفقاً للقيم والمثل التي يتبناها ، فقد أنكر حق المالك في الاسراف والتبذير بماله ، وأنكر كذلك حقه في تنمية أمواله عن طريق الربا ، لكنه أجاز له تنمية هذه الأموال عن طريق التجارة ضمن حدود وشروط معينة .

الثاني : تحديد مجال الملكية الخاصة ، حيث يقتصر نطاق الملكية الخاصة على الأموال التي يمكن للعمل أن يتدخل في إيجادها أو تركيبتها دون الأموال التي ليس للعمل فيها أدنى تأثير ، وعلى ذلك فالثروة الخاصة هي كل مال يتكون أو يتكيف طبقاً للعمل البشري المتفق عليه ، أما الأموال التي لا يمتزج بها العمل البشري فلا تدخل في المجال المحدد للملكية الخاصة ، وإنما هي أموال مباحة لإباحة عامة أو مملوكة ملكية عامة .

التفاوت في الدخل والثروات

نتيجة للايمان بالحقيقتين السابقتين يظهر التفاوت بين الأفراد في الدخل والثروات ، فإذا افترضنا أن مجموعة من الأفراد استوطنت أرضاً ، وقامت



وفي الرأسمالية يستمد الفرد مبرر ملكيته للموارد الطبيعية على أساس مبدأ الحرية الاقتصادية ، فالذهب الرأسمالي يعتبر أن كل ثروة طبيعية يسيطر عليها الفرد تصبح ملكا له ، طالما أن ذلك لا يتعارض مع حرية التملك الممنوحة للآخرين ، وعليه فلن

تكون هناك قيود تحد من حرية الملكية الخاصة لكل فرد ، إلا صيانة حق الآخرين في حرية التملك ، وهنا فالحقوق الخاصة في الموارد الطبيعية تعتبر مظهرا من مظاهر حرية الانسان في ظل النظام الرأسمالي ،

بينما هي في ظل الاسلام مظهر من مظاهر جهد الانسان وعمله ، ولن يكون العمل مصدرا لتملك المال ما لم يكن بطبيعته من أعمال الانتفاع والاستثمار ، وليس من أعمال الاحتكار

والاستثمار ، فأعمال النوع الأول ذات صفة اقتصادية بطبيعتها ، أما أعمال النوع الثاني فهي تقوم على أساس القوة ، ولا تحقق انتفاعا ولا استثمارا مباشرا ، ولن تكون القوة مصدرا للمحقوق الخاصة أو ميراثا كالباقي لها .

فحسب الانسان أن يقلع عن اتخاذ القوة المادية -
مسلحة أو غير مسلحة - مصدرا للحقوق ، أما القوة
الاعتبارية ممثلة في الربا والاحتكار ونحوهما من
ضروب الاستغلال فلذلك مالم يكن ينكره الوعي
المتدني يومئذ ، لغرب العهد من أساليب القوة
السافرة ، ولعمجزة هن التدن والتحلل ، وتبين ما في
ذلك الأسلوب من جور وبجاعة للعدل والحق . □

ينكّم ، ، فإذا كان الوضع المحظور هو أن يكون المال دولة بين الأتباء ، فإن التطبيق العادل لتداوله بين الناس كافة هو توزيعه بينهم في ملكيات متوافقة الفوارق .

تشريعات تمنع تركّز الثروة

بالإضافة الى الوسيطتين السابقتين هناك مجموعة من التشريعات الاسلامية ، ذات صلة وثيقة بمبدأ التوازن الاجتماعي ، ويكفي أن نذكر هنا الى محاربة الاسلام لانتهاز النقود ، وتحريم الفائدة على رأس المال ، وتشريعه أحكام الإرث والوصية ، ونبيه عن الاحتكار ، وإلغائه الاستثمار الرأسمالي للثروات الطبقية ، الى غير ذلك من الأحكام .

ومن أحكام الاسلام تحريم كثر المال ، لأنه حق الأمة ، وحق فقرائها ، ينتق منه لدفع الحرمان ، والتأمين على العيش ، وتمهد الضمان بما يؤيد نوازح الحق والعدل والخير ، وتوفير الرعاية الصحية ، والدفاع عن الأمة في مواجهة عدوها ، وكل نفقة تعود على الأمة جماعة وأفرادا يرعاها العيش هي نفقة في سبيل الله . ولا يقر الاسلام الربا ، حيث أنه كسب غير مشروع ، يؤدي الى تركيز الثروة في أيدي الأغنياء ، ويؤدي الميراث والوصية بالملكية الى تجزئة في محيط من يرثون ومن لا يرثون من ذوي القربى وغيرهم ، وليس هنا مجال لتفصيل ذلك ، أما الاحتكار فقد نهى الاسلام عنه ، حيث أنه وسيلة لتركيز الثروة بطريقة جائرة ، لا تحقق تكافؤ الفرص للجميع .

● قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « من تهمة فلا تأتئنه ومن تأتئنه فلا تهمة » .

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « الاجتهاد خير بضاعة » .

● قال لقمان لابنه : « لا تعاشر الأحمق وإن كان ذا جمال فإنه كالسيف حزين محببه قبيح أثره » .

● لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه . (ابن الزبير)

البشارة

شعر : الدكتور خليفة الوقيان

في الصفوف
تشق خيلُ الله فخر القادسية
من جديد
ببهار بيت النار
تطفيء صولة العرسا ناره

الهيكَلُ المهدوم
والايوان
والبحي العنيد
وهم السكاري
والطفلة الشاريين دم الاسارى
ليل تمزقه حيول العتج
في الفجر الوليد

الارض ترجمكم حجارها
ويقتل حيتكم شوكة التحيل
في القدس في العشار
في ميسان في أنحاء غرة
في الجليل
يتعاقب الحجر النخيل
يحمّد الذمّ مهرجان البعث
في الليل الثقيل ..

هذا زمان تسقي به البشارة
ويحلّ القسم
للطفل المدحج بالحجارة
يختال سعد

الرجل الحليد

هذا زمانٌ تستيقظ به الحجاره

تتلى

تُبرعم ألف حلمٍ مُزمر

أحلى مثاره

هذا زمانٌ

ينهمس البردي فيه حُرْبَة

سيفاً

وتشتعل المياه

والضاد في حُسن الخليل

يغشها للقلب

ينزف دونهَا

تبقى شعاره



للمناقشة

بقلم : فهمي هويدي

التعددية والمعارضة في الإسلام

والتسديد . وكما قلنا قبل ذلك مرارا فإنه إذا كانت التعددية في المذاهب الفقهية قد أثرت العقل والواقع للإسلاميين عبر التاريخ فلماذا تتردد في الإفادة من ثراء آخر محقق نجته من وراء التعددية السياسية ؟

إن مصادرة الرأي الآخر بحجة اتقاء الفرقة هو دعوة لإهدار مصلحة محققة تحسبا لمفسدة محتملة ، وهو ما لا يقول به عقل أو نقل ، ناهيك عن أن إهدار تلك المصلحة يشكل ذلك العدوان على حق الله الذي أشرنا إليه الذي هو - في قضية الحرية تحديدا - يعد في الوقت نفسه إهدارا لأحد مقاصد الشريعة

إن إسائة استخدام الحق لا تعالج بمصادرة أصل الحق ، وإنما تواجه بتقويم الاساءة ، وتوفير الضمانات اللازمة لعدم وقوع تلك الاساءة . تلك بديهة لا تحتاج إلى التذكير بها ونحن بصدد الحديث عن التعددية السياسية ، خصوصا إزاء الدعوات التي تقاوم فكرة التعددية ملوحة بمخاطر الفرقة المنهي عنها شرعا . وربما جاز لنا أن نقول إن تلك الفرقة المنكورة هي التي تؤدي إلى تمزيق الصف وتفتيت الكيان الاسلامي ، وهي مرتبة لا يختلف أحد على رفضها ، لكن الذي نتحدث عنه هو ذلك التصدد الذي يثري ويصير ويتبع الفرصة لتسلط الآراء وإنشاج المواقف ، وإشراك الأمة في تقرير أمورها ومصائرنا ، عبر قنوات شرعية فاعلة .

نعترف بأن الأحزاب السياسية ليست هي الصيغة المثلى لتحقيق التعددية السياسية ، لكننا نقر في الوقت

التعددية السياسية ثمرة طبيعية للحرية ، والحرية هي الوجه الآخر للعبودية لله وحده ، بالتالي فإن مصادرة هذه الحرية بأية صورة من الصور هي بمثابة عدوان على حق الله سبحانه وتعالى ، سواء من حيث انها استلاب لحق المجموع في التعبير ، أو من حيث انها إخلال بعبودية الناس لله ، وفي إراداتهم ليتوجهوا بالامثال والعبودية لغير الله

فالشورى - قاعدة الاساس في النظام السياسي الإسلامي - لا تتحقق بالصورة المرجوة إلا في ظل هذه التعددية . والتعاون على البر والتقوى يقود إلى التعددية . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا ما أريد لها ألا يتحوला إلى فوضى فإن التعددية تضمن لها الفاعلية وصدق التأثير . والقاريء المدقق في الخطاب القرآني يلحظ أنه ضد « الأحادية » على طول الخط ، فهو دائم الإشارة إلى « أولي الأمر » بصيغة الجمع وليس بصيغة المفرد .

ومن هذا المطلق استقرت القاعدة الشرعية التي تقول « تصرف الفرد في المجموع ممنوع » . وفضلا عن ذلك فإن الخطاب القرآني دائم الحث على إعلان الرأي والجمهور به ، حتى اعتبر الفقهاء ذلك الإعلان واجبا وليس حقا فقط ، وهذا المقصر في ذلك الواجب آثما ، يحاسب على تقاضه ذلك أمام الله يوم الدين .

ولئن دعا القرآن المؤمنين لكي تنفر من كل فرقة طائفة ليتفقوا في الدين وليتبنوا قومهم ، فلذا نفر آخرون لينتوا بشئون الدنيا عبر مشاهج مختلفة للاصلاح ففي ذلك توسيع أكيد لمحيط الخبر

حينه بأنها الصيغة المتاحة المعتمدة في زماننا ، ولا يملك منتصف أن يقضى الطرف من مساويء النظام الحزبي التي تدفع بالمرء أحيانا إلى التصصب لحزبه ، سواء كان على حق أو كان على باطل .

لكن الانصاف يقتضي أيضا أن نوازن بين كمّ المصالح التي يحققها توفير ذلك النظام ، وبين مثل تلك المفسدة المحتملة التي يمكن تجنبها بترشيده الوعي السياسي .

ونظّل قضيتنا الأساسية هي التعددية السياسية ، وإتاحة الفرصة للرأي الآخر أن يعبر عن ذاته ، وأن يكون له حضوره الشرعي واعتباره في الساحة السياسية ، أما صيغة هذه التعددية وتفصيلاتها ، وكيفية ضمان عدم انحراف نظامها عن مقاصدها ، فنلك أمور تالية في ترتيب أهميتها .

ولربما سأل سائل عن موقف النصوص الشرعية من تلك التعددية التي ندعو إليها ووردنا على مثل ذلك التساؤل من شقين : أحدهما أن هناك تكاليف ومقاصد شرعية ، لا يمكن الالتزام بها أو تحقيقها إلا في ظل التعددية ، وهي التي أشرنا إليها قبل قليل ، أما الشق الثاني فيتمثل في غلو النصوص الشرعية عن حكم يحول دون المضي في تلك التعددية . ولئن قال أحد الفقهاء - كما ذكرنا في المقال السابق - إنها من جملة المصالح المرسلة التي لنا أن نطرق بابها لنجني ثمارها إلا أننا نضيف هنا أنها أيضا تعد من مقتضى السياسة الشرعية التي عرفها ابن عقيل بأنها « ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يشرعه الرسول ولا تزل به وحى » .

ولأن الأصل في الأشياء الإباحة ، ولأن الله لم يحصر طريق إحقاق الحق وإرساء العدل في فرع واحد وأبطل غيره ، ولأنه « إذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة العدل ، وأسفر صبحه بأي طريق كان ، فتمتة شرع الله ودينه ورضاه وأمره » فإن « أي طريق استخرج بها الحق ومعرفته العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها » ، وهو المعنى الذي أبرزه ابن القيم في « اصلام الموقعين » واستخدمنا كلماته

وعباراته بقليل من التصرف (ج ٤ - ص ٣٧٢) . وفي رصد رؤية الاسلام لقضية التعددية وعنايته بالرأي الآخر فإن الباحث لا يسمع إلا أن يسجل تقديره للمنهج الذي حولج به الموضوع في كتاب « المعارضة في الاسلام » مؤلفه الدكتور جابر قميحة ، الأستاذ بجامعة عين شمس في القاهرة . ذلك أن المؤلف وهو يقدم لبسته أفرد الفصل الأول لما أسماه « الضمانات والمركزات » ، وذكر أن الاسلام قدم ضمانتين أساسيتين تكفلان للرأي الآخر الحصانة والبقاء : الضمانة الأولى تتمثل في تأكيد على قيمة الحرية ، والضمانة الثانية تتمثل في اعتبار العدل محور الشريعة ومدارها . أما مباشرة الرأي الآخر أو المعارضة فإنها تركز على أمرين هما : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والشورى (ص ١٩ - ٦٠) .

على أرضية الحرية والعدل ، ومن خلال الأمر بالمعروف والشورى فإن الباب يفتح واسعا لممارسة المعارضة التي هي ترجمة عقلية لفكرة التعددية السياسية التي ندعو إليها .

وإذا استعرض المؤلف نماذج من تلك الممارسات في العصر الاسلامي الأول فإنه قدم لنا وقائع مما جرى في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام (غزوات بدر وأحد والأحزاب وصلح الحديبية) عندما كان للرأي الآخر دوره وحضوره ، ثم ما جرى في مرحلة الخلفاء الراشدين من ممارسات عمالة ، لكنه مر سريعا على تجربة الإمام علي بن أبي طالب مع الخوارج ، وإن سجل بعضا من ملامح هذه التجربة بحسبانها طورا جديدا في المعارضة ، حيث ذكر أنه كان قصارى جهده المعارضة الأولى عزل وال أو القصاص منه ، أو عزل الخليفة (كما جرى في عهد سيدنا عثمان بن عفان) ، أما المعارضة الخارجية ، فقد أخذت صورا وامتدادات أبعد من ذلك بكثير ، فهي وإن انطلقت من الحكم على أشخاص كعثمان وعلي ، والحكم على وقائع كالتحكيم ، فإن هذه الآراء الأولية تطورت إلى أيديولوجية مفصلة في الحكم والمجتمع والحلال والحرام » (ص ١٩٠) ، فلك فضلا عن أن تجربة

كما كانت تقبل قبل حريم له ، لأنهم حاربوا على تأويل ، وفي رد شهادتهم تعصب وتجدد للخلاف ، (القرضاوي - شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان - ص ٦٢) .

وعما يقوله الماوردي في هذا الصدد : « وإذا بغت طائفة على المسلمين وخالفوا رأي الجماعة وانفردوا بمذهب ابتدئوه - فإذا لم يخرجوا عن المظاهرة بطاعة الإمام ، ولا تحيزوا بدار اعتزلوا فيها ، وكانوا أفرادا متفرقين تناههم القدرة وتمتد إليهم تركوا ولم يحاربوا ، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب لهم وعليهم من الحقوق والحدود .

(ذكر الماوردي مقولة الإمام علي التي مررت بها ، ثم أضاف : فإن تظاهروا باعتقادهم وهم على اختلاطهم بأهل العدل أوضح لهم الإمام فساد ما اعتقدوا ليرجعوا (بالحوار بطبيعة الحال) ، وجائز للامام أن يعز من منهم من تظاهر بالفساد أدبا وزجرا ولم يتجاوزوه إلى قتل أو حد ، فإن اعتزلت الفئة الباغية أهل العدل ، وتحيزت بدار من مخالطة الجماعة ، فإن لم تمنع عن حق ، ولم تخرج عن طاعة لم يحاربوا ، وإن امتنوا حاربوا » - (الأحكام السلطانية ص ٤٧) .

(وللمرعي صاحب « المبسوط » تعقيب على كلام الإمام علي للخوارزمي ملفت للنظر ، يقول فيه : « إن ذلك الكلام . فيه دليل على أنهم مالم يعزموه على الخروج (التمرد المسلح) فالامام لا يتعرض لهم بالحبس والقتل ، وفيه دليل على أن التعريض بالشتم (للامام) لا يوجب التعزير . فإنه لم يعزهم وقد عرضوا بنسبته إلى الكفر ، وفيه دليل على أنهم يقتلون دفعا لقاتلهم حين يعزموه على القتال بالتجمع والتحيز دون أهل العدل » (ج ١٠ ص ١٢٥ - ١٢٦) .

هذه النصوص والضوابط الهامة تطرح بين أيدينا نماذج من اجتهادات فقهاء المسلمين للحدود والضوابط التي يسوغ للمعارضة أن تتحرك ضمنها في ظل الواقع الإسلامي . وأحسب أن تلك الحدود لو صاغها الباحثون صياغة عصرية لاستخلصنا منها 'أطارا' متقدما للغاية ماثرة ما نسمه 'الحقوق

المعارضة في عهد الإمام علي تعد نموذجا للمعارضة الحزبية المسلحة التي واجهت الحكم الإسلامي في مراحل المبكرة .

لقد أشار المؤلف إلى ملامح هذه التجربة ، لكنه لم يتوقف عندها طويلا على الرغم من خصوصيتها وخصوصيتها وأهميتها ، ذلك أنها مليئة بالدروس التي يتعين علينا أن ندقق في ملامحها ، لنستوعب الحدود التي يحتملها الواقع الإسلامي لمباشرة ما نسميه في زماننا المعارضة السياسية أو المسلحة .

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الفكر السياسي الإسلامي يعني الكثير من الاجتهادات على دروس تلك التجربة ، الأمر الذي يدعونا إلى أن نحاول استرجاع تلك الدروس وما استخلصه فقهاء المسلمين منها .

فهناك تيار بارز بين فقهاء المسلمين يضم عددا من أهل السلف والخلف استقر رأيه على أن الواقع الإسلامي يحتمل المعارضة السياسية التي يمكن أن تذهب بعيدا في النبل من القيادات الحاكمة ، سواء في سياساتها أو مدى إيمانها - (الخوارزمي كفروا الإمام علي فوق المنابر وتركهم وشأنهم) - لكن الذي ليس مقيدا عند هؤلاء المعارضة المسلحة التي تهدد كيان الدولة الإسلامية ، وتروع سكانها ، وتخرج وحدتها .

الدكتور يوسف القرضاوي من أبرز المعاصرين الفاعلين بذلك ، استنادا إلى قول الإمام علي لأحد الخوارج : لكن علينا ثلاث : لا تمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ، ولا تبدؤكم بقتال ، ولا تمنعكم الفتي . (الأيراد الذي يحصله المسلمون بغير غزو) .

بنى الفقهاء على هذه المقولة - أضاف القرضاوي - أن قوما لو أظهروا رأي الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة وسب الصحابة ، ولم يخرجوا عن قبضة الإمام (لم يحاربوه بالسلاح) - لم يتعرض لهم (منار السبيل ج ٢ ، ص ٤٠٢ و ٤٠٣) .

وقد روى الغزالي في « المستصفى » أن قضاة البصرة استأذنوا الإمام علي في أن يقبلوا شهادة أهلها من الخوارج وغيرهم - الذين حاربوه - فأمر بقبولها

بعض التحفظات على حدود التطبيق الاسلامي وقضية النظام السياسي ، أو دعوة الفصل بين الدين والسياسة نموذجاً لذلك من حيث ان بعض الذين يرددون هذه الدعوة مسلمون مؤمنون بالله ، ولا يمكن تصنيفهم بحسبهم عن محادون الله ورسوله ، أمثال هؤلاء هل يوجد لهم مكان في ساحة التعددية التي نرجوها للمواقع الاسلامي ؟

الأمر يحتاج إلى مناقشة واجتهاد ، وإذا أعترف بأنني لست من أهل الاجتهاد إلا أنني قد أزعج انساباً إلى « أهل المناقشة » ، بما يدخر قد يوفر لي قسمة اجتره من خلاها على الرد بالإيجاب عن السؤال !

وهو إيجاب ليس مطلقاً ، لكنه مشروط بأمرين اثنين أولهما : أن يظل الخلاف مع هذه التيارات في الفروع وليس في الأصول الإسلامية ، علماً بأن مسألة الحكم على ضرورتها وأهميتها هي من الفروع وليست من الأصول بحسبنا فعلاً وليست اعتقاداً .

وثاني الشرطين أن يكون الفصل في واجبات والتزامات كل طرف مشارك في التعددية السياسية والفكرية هو العهد المكتوب بين الجميع ، وإذا كانت تجربة الصحافة، التي أنشأها الرسول عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة من مكة إلى المدينة ، هي صيغة مبكرة لمثل ذلك العهد ، واتفق الباحثون لاحقاً على اعتبارها أول دستور مكتوب في الإسلام ، بل في التاريخ الإنساني ، فإننا نذهب إلى أن دستور الدولة هو العهد الذي تلزم به أمة الإسلام بكل مللها وفصائلها الفكرية والسياسية . وما هو متفق عليه في ذلك الدستور لا يجوز لأحد نقضه أو العمل على هدمه ، وإلا وقع تحت طائلة القانون .

نعم كانت الصحافة عهداً بين المسلمين وغير المسلمين ، لكننا نستفي الفكرة ونقيس عليها مذكرين بأنه لم يكن هناك وجود لفرق أخرى في ذلك الوقت المبكر من التاريخ الإسلامي .

في إطار تلك الحدود والضوابط فلست أرى ما يمنع أي تيار فكري أو سياسي من أن يثبت حضوره ، ويعارس دوره في أي مجتمع إسلامي معاصر . والله أعلم . □

السياسية أو التعددية الحزبية . ولو اجتهدوا في الاضافة إليها من واقع التطورات السياسية الراهنة لأثروا الفكر السياسي الاسلامي ثراء له قيمته الكبرى .

ولعل من الأمور التي تحتاج إلى اجتهاد في زماننا الضوابط الايديولوجية التي يجوز للمعارضة أن تتحرك في حدودها ، أعني أننا إذا قبلنا نظرياً بالمعارضة السياسية ، وقلنا إن المعارض ينبغي أن تكفل له كل الحقوق والضمانات طالما أنه لم يلجأ إلى العنف المسلح ، استناداً إلى كلام الإمام علي واجتهاد الفقهاء المتبني عليه فما هي الحدود الفكرية أو الايديولوجية التي يجوز للمعارضة أن تتشط في إظهارها ؟

فقد أشرنا في المقال السابق إلى فتوى ابن تيمية التي تجيز الأحزاب التي تدعو إلى الخير والحق ، وتمنع الأحزاب التي تقوم على عبادة الله ورسوله ، وهي الفتوى التي عقب عليها الدكتور محمد الموا قائلًا بجواز التعددية الحزبية ، « شريطة أن تلتزم هذه الأحزاب بقيم الإسلام وتعاليمه ، ثم ترك بعد ذلك لتدعو إلى ما تشاء من برامج سياسية واقتصادية واجتماعية » - (في النظام السياسي للدول الاسلامية - ص ٨٤) .

ونحن نفهم أن يفتح الباب واسعاً للتعددية التي تقوم على أرضية إسلامية ، كما نفهم أن تحظر الأحزاب التي تقوم على العداء للإسلام ، وإنكار تعاليمه ، لأن ذلك يعني التصريح بنقض أساس الدولة وإهدارها تسمية النظام العام للمجتمع ، وهو مما لا تسمح به أية دولة في حالتها المعاصرة ، مهما بلغت طبيعة الممارسة الديمقراطية فيها .

أقول إننا نفهم هذا وذاك ، لكن الذي يمكن أن يثير تساؤلاً هنا هو: ماذا عن التيارات الفكرية التي تقف بين النقطتين ؟ أعني تلك التي لا تنف على كامل أرضية الإسلام ، ولا تقف على كامل أرضية المبادئ لله من قبيل ما نسميه الأحزاب الليبرالية أو العلمانية أو الاشتراكية التي لا تتخذ بعض تياراتها المعتدلة موقفاً معادياً للإسلام على الجملة ، لكن ربما كانت لها

يونيو ١٩٨٨

العربي

افتتاح العدد العتادم من

كينيا

الوجه الآخر
لافريقيًا

محمود عبدالوهاب

كريتر

من هنا دخل الأنجلز
ومن هنا خرجوا

سليمان الشق

أطراف

- مجلة اسمها الاسلام!.... د. عبدالعزيز كامل
 - أربعة خيوط في نسج انتحار شاعر!... د. محمد جابر الأنصاري
 - يكاد المريب يقول خذوني!..... شريف الراس
 - النخبة العربية والاغتراب... د. هاني الراهب
 - أضواء جديدة على قضية قديمة!... عبدالرزاق الهادي
 - الجديد في علاج الأرق..... د. أمل المنزوي
 - الموت ظلمًا واغترابًا!
- يوسف القعيد

كتاب الشهر:

- مشاعر خجسته... د. محمد نوري
- لوحات من الحاضر... د. محمد نوري
- وجهها الوجه: أنجي أفلاطون ● نجاح عمار

واقرأ ايضًا
للكتاب

- د. محمد الرميحي
- د. محمد نبهان سويام
- د. علياء شكرى
- د. أنيس فهمي
- د. عبدالمعطي أبو النجا
- د. عبدالمجيد زراقل
- د. فهمي هويدي
- د. إبراهيم زعور

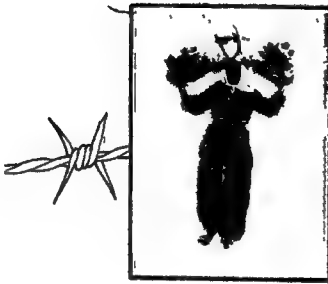


سنة جديدة في سنة الخيرية
سنة النضال

من قوة وصلابة ، ولم يروا ما في
« الاسرائيل » شعبي ، بل
بالتناقض والحقد مدة أربعين سنة ، وعمر ثورته الحديثة
في الوقت نفسه .

[illegible]

ومر ذلك التاريخ لم يتوقف الفتح الفلسطيني عن المطاردات، فمن مظاهرات الاحتجاج الأولى حتى أطولاضرباب في التاريخ (١٩٤٨م)، ومن الإشباكات مع أوائل المستوطنين للصهيانية ومن المظاهرات الأخيرة المجيدة، ومن الجبر الى الرصاص، ومن الكفاح الجماهيري الى الكفاح المسلح، يخاض الشعب الفلسطيني نهضاته ضد هذه الحركة العنصرية التي ولدت في رحم الاستعمار الأوروبي، وكان كل جيل فلسطيني يرفع أشكال نضاله الوطنية الفلسطينية، وكان الرغيم بما في الأوس من جيل إلى جيل، لأن الجبل الفلسطيني الجديد هو الجبل الذي صعد عليه النضال، ففتح ثورة تنطق بالفلسفة والخطاب المجدد للصراع، وعن هذه المسيرة المليئة بالبطولة الشريفة،



من الاقتلاع إلى الصراع من أجل الهدنة

٤٠ عامًا على نكبة الشعب الفلسطيني

بقلم : الدكتور شفيق الغبرا *

منذ أربعين عاما تحول الشعب الفلسطيني من حالة المواطنة والاستقرار إلى حالة اللجوء والشتات . وكلمح البصر سقطت آمال الاستقلال الوطني والمستقبل الحر ، لتطفئ عليها حياة المنافي والبحث عن الوطن السليب . أما كيف أخرج الشعب الفلسطيني من بلاده ، وكيف تعامل مع نتائج الاقتلاع والتشريد ، فهذا ما ستحاول هذه المقالة توضيحه .

التدريب بعد استشهاد قائدنا عبد القادر الحسيني في معركة القسطل ، وسقطت مدن يافا ، وحيفا ، وطبريا وطوقت عكا . وقد نتج من هذه المرحلة الاقتلاع ما يقارب ٣٠٠ ألف مواطن فلسطيني من مدينتهم وقراهم ، خرجوا بحالة لزع وجلع شديدين ، بعد رؤية ما حل بأبناء قرية دير ياسين . فقد تركت الجزيرة أنرا نفسها صمقا على مجتمع عربي أهزل من السلاح ، يتعصه الكثير من التنظيم بعد أن

من أوائل نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، أي قبل ٤٠ يوما من اعلان قيام دولة « اسرائيل » ودخول الجيوش العربية إلى فلسطين ، شنت القوات الصهيونية هجوما مسلحا كان جزءا من خطة هرفت بخطة داليت . وقد شملت منطقة الهجوم الساحل الفلسطيني والمناطق الأخرى الواقعة غرب القدس . وخلال نيسان (ابريل) ارتكبت مجزرة دير ياسين ، وهزمت القوات الفلسطينية القليلة العدد والضعيفة

© مدرس العلوم السياسية - جامعة الكويت

أمرته آنذاك بالفرار إلى يافا على يد ٢٨ جندي ،
وبما لا شك فيه أنه في تلك الفترة لم يكن
قائمة على تدمير أكثر من ١٠٠ ألف يهودي إسرائيلي
تسرياً إلى يافا وأبان الحرب العالمية الثانية والفرار إلى
مدنهم بالكلية .

وقد حدثت محاولات مهمة في المجتمع الفلسطيني
بعد تشكيل الجيوش العربية في ١٥ فبراير (شباط)
١٩٤٨ ، والتي دمعت ما مجموعه ٦٧,٠٠٠ مقاتل
تقريباً ٦٢ ألف مقاتل صهيوني . في سياق هذه الفترة
الأولى في ١١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، بدأ
الفلسطينيون بحرق أبنية المخطط وحرقه الامتلاكات
العربية العسكرية والسكنية . كما أنهم رافوا ما حل
باللاجئين الأوائل ، وشاهدوا بأنهم كيف صدت
القوات الإسرائيلية محاولات الكافرين منهم للمعرفة .
وهكذا تدرت بقية أجزاء المجتمع الفلسطيني
الأحرار ، وعلى الرغم من الهزات ، البقاء في أراضيها
ومدنها ، لقد قرر الفلسطينيون لأول مرة منذ النكبة
من نيسان (أبريل) ١٩٤٨ طرد شعبهم من يافا ،
حيث في الأرض وخوفاً من صهيونيين .

وتشكل الأحداث الواقعة بمدينة القدس والرملة ،
في الفترة ما بين أغسطس وأكتوبر ١٩٤٨ ،
(يوليو) ١٩٤٨ ، مثلاً وانحساراً لبلدية هذه المرحلة
أهمها . فاستندوا إلى الباحث الإسرائيلي يعق
موريس ، الذي درس الوثائق الإسرائيلية السرية
الخاصة بالحرب ، والتي سمحت لإسرائيل مؤخرًا
للباحثين بالإطلاع عليها ، شنت القوات الإسرائيلية
هجوماً بالمدفعية والطيران هذه المخرج سكان
المدنيتين البالغ عددهم ٨٠ ألف نسمة وفي اليوم
الثالث للهجوم انسحبت أغلبية القوات العربية
الرابطة في المدنيتين والبالغ عددها ١٥٠ مقاتلاً كما
نجحت القوات الإسرائيلية ، حسب الوثائق
الإسرائيلية نفسها ، باعتقال بعض وجهاء الرملة
خارج المدينة مجرة إياهم على توقيع وثيقة استسلام
مقابل عدم مساس السكان بالأذى وبالفعل دخلت
القوات الإسرائيلية المدينة ، وقامت قواتها باقتحام
مدينة القدس التي استمر فصل من الجيش العربي وعدد

من سكانها والبلدية والقرية ليد
في الفترة ما بين ١٥ فبراير (شباط) ١٩٤٨
التي دمعت ما مجموعه ٦٧,٠٠٠ مقاتل
تقريباً ٦٢ ألف مقاتل صهيوني . في سياق هذه الفترة
الأولى في ١١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، بدأ
الفلسطينيون بحرق أبنية المخطط وحرقه الامتلاكات
العربية العسكرية والسكنية . كما أنهم رافوا ما حل
باللاجئين الأوائل ، وشاهدوا بأنهم كيف صدت
القوات الإسرائيلية محاولات الكافرين منهم للمعرفة .
وهكذا تدرت بقية أجزاء المجتمع الفلسطيني
الأحرار ، وعلى الرغم من الهزات ، البقاء في أراضيها
ومدنها ، لقد قرر الفلسطينيون لأول مرة منذ النكبة
من نيسان (أبريل) ١٩٤٨ طرد شعبهم من يافا ،
حيث في الأرض وخوفاً من صهيونيين .

وتشكل الأحداث الواقعة بمدينة القدس والرملة ،
في الفترة ما بين أغسطس وأكتوبر ١٩٤٨ ،
(يوليو) ١٩٤٨ ، مثلاً وانحساراً لبلدية هذه المرحلة
أهمها . فاستندوا إلى الباحث الإسرائيلي يعق
موريس ، الذي درس الوثائق الإسرائيلية السرية
الخاصة بالحرب ، والتي سمحت لإسرائيل مؤخرًا
للباحثين بالإطلاع عليها ، شنت القوات الإسرائيلية
هجوماً بالمدفعية والطيران هذه المخرج سكان
المدنيتين البالغ عددهم ٨٠ ألف نسمة وفي اليوم
الثالث للهجوم انسحبت أغلبية القوات العربية
الرابطة في المدنيتين والبالغ عددها ١٥٠ مقاتلاً كما
نجحت القوات الإسرائيلية ، حسب الوثائق
الإسرائيلية نفسها ، باعتقال بعض وجهاء الرملة
خارج المدينة مجرة إياهم على توقيع وثيقة استسلام
مقابل عدم مساس السكان بالأذى وبالفعل دخلت
القوات الإسرائيلية المدينة ، وقامت قواتها باقتحام
مدينة القدس التي استمر فصل من الجيش العربي وعدد



• صجوز فلسطيني وجنود اسراييلون .. هو الباقي وهم العابرون

« اسرائيل » ، فقد أقرت لمود قيامها ، حق كل يهودي بالهجرة لفلسطين ، بينما سمحت الفلسطينيين بعد طردهم من ممارسة حقهم بالعودة . هكذا وإبان السنوات الأولى من قيام لدولة جاء مئات الآلاف من المهاجرين ليسلوا المدد والقرى والاحياء الفلسطينية الخاوية ، وليزرعوا الارض التي زرعها الفلسطينيون عبر القرون . واستمرت « اسرائيل » بسياسة سحق كل ما هو فلسطيني ، فدمرت ٤٠٠ من القرى الفلسطينية في الاراضي التي احتلتها عام ١٩٤٨ ، لتقيم على أنقاضها المستعمرات والمتزهات . وصدرت قوانين اسرائيلية بمصادرة كل أملاك اللاجئين . كما سنت قوانين على مراحل صادرت فيها أغلبية أراضي الاقلية الفلسطينية التي استطاعت البقاء على الارض عام ١٩٤٨ ، وهكذا تحولت « اسرائيل » منذ انشائها الى أداة مهمتها تهويد

السكان ، على الرغم من كل أشكال الهجرة اليهودية العلنية والسرية التي سهلتها بريطانيا وامتلك ٩٢ ٪ من الأراضي الفلسطينية ، ٩ ٪ من الأراضي المزروعة . أي أن الملكية اليهودية لم تتجاوز ٧ / من الأراضي الفلسطينية مع نهاية الحرب ، وتوقيع اتفاقات رودوس احتلت اسرائيل ٤ ٪ ٧٧ / من أراضي ومياه فلسطين (٢٠٠٨٥٠ كيلومترا) وخضعت بقية أراضي فلسطين ٦ ٪ ٢٣ / أي الضفة الغربية والقدس الى حكم الأردن ، بينما خضعت غزة للإدارة المصرية .

نتج عن هذه الحرب فقد الفلسطينيون لأراضيهم ومزارعهم ، وقراهم ومدنهم ، كما دمرت علامتهم وبنوكهم . ومستشفياتهم ومدارسهم ، وأحزابهم ونواديبهم ، أي أنهم فقدوا وطنهم كاملا . أما دولة

● من الاقتلاع الى الصراع من أجل البقاء

يوجد بناء اجتماعي يميذا عن أرض مرتبطة به ، تتفاعل معه ولقد بأسباب البقاء والاستمرار . وبينما الأرض سلبية ، أصبحت قوة الذاكرة والمحافظة ، أي قوة البعث الروحية وسيلة لظهور الأرض بين أوساط مجتمع النكبة . وهكذا ومنذ الايام الأولى للجوء ، كانت محاولات العودة للأرض كبيرة .

ولكن « اسرائيل » تصدت لهذه المحاولات ، فالتقت القبض على الكثير من الفلسطينيين ، قبل إعادة طردهم ، قتلت بعضها منهم وفككت للحد من ظاهرة التسلسل عبر الحدود العربية بهدف العودة . وهكذا شكل هذا المانع للعودة بداية تجذر فكرة العودة المسلحة ، أي قيام الفلسطينيين بالعودة ومعهم السلاح للاشتباك مع القوات الاسرائيلية حينها تعرضهم .

وأخذت الأرض بعد النكبة الكثير من لمعان المستمدة من واقع علاقة السكان التاريخية بها فهي أرض الاجداد وأرض الوطن ، أرض بقسمة المهذومة وأرض المدينة الاصل ، إنها أيضا أرض الانبياء وأرض الاسراء والمعراج . هي البيت والذكريات ، فيها قبور الآباء والاجداد التي فقدت زوارها ، إنها الجذور التي لانها نية بدوها . وهكذا نقل الفلسطينيون حينهم للأرض وارتباطهم بها الى أطفالهم المولودين في الشتات ، فنشروا بين الاجيال 'الصاعدة قصص الحصاد والنتج . وقصص التبر والريون . وعلموهم اخبار القرية لاسيرة والبيت المهذوم . هكذا رسمت المدرسة ، الأرض الفلسطينية ، فبعثتها حية بناسها وعلاقاتها ، بأفراحها وأحزانها

الكفاح المسلح

ولكن التماسك الاجتماعي والارتباط بالأرض لم يكونا كافيين وكان لابد من محور جديد ذي أبعاد كفاحية سياسية ، تسهم في رحلة العودة لفلسطين . ورغم أن جذور هذا المحور تعود لاعلان الكفاح المسلح الفلسطيني عام ١٩٦٥ ، الا أن حرب ١٩٦٧ وسقوط بقية فلسطين (غزة) ، والدفعة الغربية

الأرض والغلاء الوجود الفلسطيني المشكك بشرعيتها ، وتحقيق حلم الدولة اليهودية القوية الممتدة والمسيطر على العرب والفاصلة بين مشرقهم ومغربهم .

الرد على النكبة

في الايام والشهور الأولى من لجوء ١٩٤٨ انزوى اللاجئين الفلسطينيون يلقون جراحهم وسط يرد الشتاء في غيما أصبحت علامة لمأساتهم . ولكنهم وعبر دور محيز لملاقتهم الاسرية والقرية والبلدية القديمة نجحوا باعادة تشكيل مجتمهم . فبينما استطاعت « اسرائيل » أن تجمل وطنها كاملا الى حطام ، دمرت مؤسساته ، واقتصاده ، وبنائه ، الا أنها لم تستطع أن تلغي روابط الدم والقرابة . فقام الفلسطينيون في الشتات وفي كل مراكز وجودهم باحياء روابط الدم وروابط القرية والمدينة الاصل ، وروابط الصداقة والمعرفة القديمة . ونتيجة لذلك بدأت تبرز شك ، هامة من المساعدة وتكافل الاجتماعي التي سهلت السفر ، والعمل والتعليم والتنقل لهذا الشعب المنكوب . ففي السنوات الأولى من النكبة كان هم الفلسطينين تأكيد قدرتهم على تحويل أسرهم وقراهم الاصلية الى حاضن اجتماعي كبير يعمل في ظل غياب المؤسسات والأرض والوطن .

وقد شكلت مرحلة بحث عن نقمة العيش والعمل والانتاج مدخلا هاما لاستعادة التوازن في الذات الفلسطينية المحطمة . وبينما كان جيل الأماة في الاسرة الفلسطينية يعاني حسرة الغربة وتبعية فقدان الأرض وفقدان ما بناه كدحهم وجهدهم خلال عقود من العمل ، كان جيل شاب يتحرك ليأخذ زمام الأمور بيده ، فيهاجر من الخيام الى المدينة ، ومن بلد عربي الى آخر ، من أجل هالة اسرة متمتة وارسال الأخوة والاحوات الصغار للمدرسة أو الجامعة .

علاقة جديدة مع الأرض

ولكن المجتمع الذي نجح بحماية بناء الاجتماعية بعد النكبة لم تكن أبعاده لتتكمّل دون الأرض . فلا

● من الاقتلاع الى الصراع من أجل البقاء

بالمدى للما غانم لا يشونه . وبينما هم ، الاظم ، من بين كل الفلسطينيين يتقاطعت منظمة التحرير الفلسطينية ، هم الاكثر تسكاً وارتباطاً بشريعتها ، فهم الاظم بيان جسر لتحرير المصير والدولة الفلسطينية لا يمكن أن يمر الا عبر تنميتهم ومسانحتهم بالكيان الفلسطيني الشكامل الاطراف والقراض للمسألة الفلسطينية كقضية شطب موحد بالداخل والخارج . فلا تحرر من دون اداة وطنية للنضال ، تخرجم الاغراب ، والمصيان والثورة ، الى لغة تحررية عربية عالية الابعاد .

آفاق جديدة

على مدى أربعين عاماً قطعت مسيرة الفلسطينيين من أجل البقاء أشواطاً كثيرة . ومن الانتكاسات والمزائم خرجت الموجات الفلسطينية المكافحة للصهيونية . ففي البداية كان اللجوء ، ثم الرد على اللجوء بالسمي للحفاظ على التماسك المجتمعي وحياء الذاكرة الحسية . ثم جاءت موجة التحرير الوطني والكيانية الفلسطينية التي جمعت الفلسطينيين حول مثل شرعي هو الأول لهم منذ الاقتلاع ١٩٤٨ . وقد واجهت الحركة الوطنية الفلسطينية نكسات ومآزق كبرى . ولكنها ونتيجة لانتماضة الأرض المحتلة التاريخية ، اكتسبت بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بعداً جديداً وأفاقاً مهمة ، أساسها انتقال مركز ثقل الحركة الوطنية الفلسطينية الى الأرض المحتلة ، أي الى داخل احتشاء الكيان المحتل .

ان قصة الفلسطينيين التاريخية ، التي بدأت مع أواخر القرن التاسع عشر ، هي قصة الحرمان من تقرير المصير . هذا الحرمان المرتبط بالاقتلاع والسحق والمعاذلة ، قد شحن العاطفة ، والذاكرة والارادة وخلق جدلاً فلسطينياً خاصاً بالصراع .

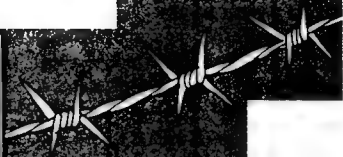
فأينما تكون « اسرائيل » فإن فلسطين تسمى لاثبات حضورها . وحيث يرفع العدو علمه يرفع الفلسطينيون أعلامهم . وأمام ارادته تنمو ارادتهم . إن صهيونيته ثبتت فلسطينيتهم وعنصريته عمتت عربيتهم . □

والانقسامات وشكلت جديد ، وضمت الفلسطينيين الى وضع هو أقرب لحلم المزمعة التي نصبت لهم قبل أربعين عاماً . وهكذا جاء هبوط ما بعد ١٩٨٢ بعد مرحلة طويلة من ارتقاع الأسفل (في الاصوام ١٩٦٨ - ١٩٨٢) ليخلق أرضية أساسية لانتماضة الفلسطينيين الكبرى على الاحتلال .

الانتماضة : مرحلة تاريخية مهمة :

لقد ادخلت انتماضة الأرض المحتلة الصدام التاريخي ، بين المشروع الصهيوني الاقليمي والمشروع الفلسطيني الاستقلالي ، مرحلة استقطاب وصراع جديدين . فكما أرست معركة الكرامة في آذار ١٩٦٨ بداية علاقة جديدة ، بين الشعب المقت من أرضه والصهيونية المستوطنة للأرض (أساسها العنف المسلح القادم من الشتات) ، أرست الانتماضة الفلسطينية بداية علاقة جديدة ، أساسها المواجهة بين قوة الاحتلال المدججة بالجنيد والسلاح ، وقوة الشعب المحصنة بالامان والانتباه . وبهذا التشكيل الجديد للعلاقة بين سلطان السلاح وسلطان الامان ، قطعت فلسطين أشواطاً مهمة من المسافة الواقعة بين الاستعباد والتحرر . فمنذ اللحظة التي أقام الفلسطينيون مآثرهم الجماعية الاولى ، ورأوا كيف يتقهقر الاحتلال لدقائق أو لساعات أمام حجارهم ، اكتشفوا لانفسهم وجوداً جديداً ، وقوة كامنة مصدرها وصيهم لأفانها وامكاناتها . فامسكوا حلقة مهمة في لحظة تاريخية قائمة ، ليعيدوا عبرها تشكيل روح المجتمع الفلسطيني والعربي برمتة . لقد حطمو اغلالاً مكونة من الخوف والرعب ، وكسروا حواجز أقامها لنا العدو في قلوبنا . لقد بدأوا يرسم ألوان حياة مستقبلية فلسطينية - عربية جديدة بهم .

إن فلسطيني الأرض المحتلة الذين أصادوا لتحرير الفلسطيني نبضه ، المتصدين لمهمة حل أزمة الثورة الفلسطينية المعاصرة ، والمستدين على بنية اجتماعية مؤثرة ، هم أكثر الفلسطينيين وعياً بأشكال العمل النضالي الفعالة . لقد تعلموا الكثير على مدى العشرين عاماً الماضية . إنهم الاكثر معرفة



THE

1957-1958

المجلد الثاني

مجلس شورای اسلامی

تقول الطالبة حميدة من جامعة بير زيت : « لقد نهمت في وقت مبكر أنه إذا أردنا تحرير وطننا فلا بد أن نصحي بأنفسنا . معظم رفاقي دخلوا السجن ، ولم يحد ذلك برهيم ، وفي ندوة عقدت بالمحكمة الأردنية في ديسمبر ١٩٨٦م ، بدعوة من منتدى الفكر العربي وجامعة القدس المفتوحة ، قدم د . منذر صلاح رئيس جامعة النجاح الوطنية الذي أبعدته سلطات الاحتلال ، بشا عن التعليم في

المجاهدين بالسلاح ، وهم يحسون مثله وفردا ، بالتهلك وعصرية ، يتصبون الحواجز ، ويحتلون العشرات ، ثم يتطلقون بسياراتهم العسكرية إلى مواقعهم الحربية وقواعدهم ، وكبر هذا الجبل على الوعود العربية بالزحف المقدس الذي لم يأت بعد ، وسحقوا من آياتهم كيف انتظروا المارد العربي الجبار ، بعد النكبة الأولى ، وبعد الخروج الكبير عام ١٩٤٨ ، وكيف تركت ربوات اليهود في مدن فلسطين وقراها كل شيء على حاله في المنزل ، على أمل العودة ، بين حربة وضحاها ، كما تقول كل الاذاعات العربية التي لا يمكن أن تترك جمعها سرا واحدة ، على قول ما لا يمكن (وما لا يريدون)

الأراضي المحتلة . وفي التخلّص الذي أحصلت
المحاكمة قال « . صلاح » إن الجلطة كانت تنفي
الطلاب الذين دخلوا السجن أثناء فواصلهم الثانوية
من الأكساق الجلدية ، وتبين أنه لا بد من تنظيم
دقيق هذه العملية ، إذ أن أكثر من نصف الطلاب
سبق لهم أن دخلوا سجون الاحتلال فترات
مطولة .

ولذلك ، وحتى تصبح شخصية طلابية قيادية ،
لا يكفي أن تحمل كل صفات القائد الطلابي المتعارف
عليها في الجامعات ، بل لا بد أن يكون لك رصيد
آخر ، وهو قضاء بضع سنوات في زنايات الاحتلال
الصهيوني وسجنونه حتى تقبل بك جموع الطلاب
والطالبات قائدا نقابيا .

شروط القياديين

والاستفتاء الشهير الذي أجرته صحيفة الفجر
المقدسية وشبكة التلفاز الاسترالي ، وإحدى
الصحف الأمريكية ، وأشرف عليه « . محمد
شديد » من جامعة النجاح في آب ١٩٨٦م ، يوضح
الحجم الهائل للشعب البشري الذي يدفعه السكان في
الدخل الذين قرروا حل العيب متفردين ، لغزوة
الاحتلال . وقد كان السؤال الخامس والمشرون
الذي طرحه الاستفتاء على عينه من ١١٠٠ شخص ،
من مختلف المدن والقرى والمخيمات في الضفة
الغربية ، ومن مختلف الشرائع الاجتماعية . هو :
هل تعرضت أنت أو أحد أفراد أسرتك لأي من
الاجراءات التالية :-

- ١ - اعتقال سياسي : ٤٧,٥ %
- ٢ - ضرب أو معاملة جسدية أو تهديد من قبل
السلطات « الاسرائيلية » : ٥٠,٧ %
- ٣ - منع السفر : ٣٤,١ %
- ٤ - إبعاد أو إقامة جبرية : ١٥,٧ %
- ٥ - مضايقات أو إهانات مباشرة على الحواجز :
٥٥,٧ %
- ٦ - منع التجول : ٧٤,٢ %
- ٧ - هدم أو إغلاق منازل : ١٧,٦ %

٨ - غرامات مالية : ٣٧,٦ %

٩ - مصادرة أراضي أو أملاك من قبل السلطات

« الاسرائيلية » : ٢٢,٨ %

١٠ - لم تعرض لأي إجراء : ٦,٣ %

لو قرر السكان - والجبل الجديد هو طلبتهم
القيادية - أن يتطروا عملا من الحاراج ، لتحرير
أرضهم وإعادتهم ، لما كانوا مضطرين لثل هذه
المقاومة العنيدة التي دفعت الغالبية الساحقة منهم ثمتا
مباشرا لها ، كما أوضحت نتائج الاستطلاع التي
وردت في السؤال السابق ، وبخاصة أن الاحتلال
كان مستعدا لو أبعد الناس عن مثل هذه المقاومة أن
يكون معهم « ليراليا » إلى أقصى الحدود ، للتباهي
بالصورة « الديمقراطية » المخادعة « لاسرائيل » أمام
العالم ، وكذلك من أجل دفع بروز قيادات جديدة
شابة ، تتعامل مع الواقع الجديد ، وتذعن لمعطياته ،
وتقبل بالأمر الواقع .

اتساع الهوة

وقد كان بعض الاستراتيجيين في الكيان
« الاسرائيلي » يراهنون طول الوقت خلال السنوات
العشرين الماضية أن يكون الجبل الجديد الذي عاش
في رحاب الاحتلال أكثر واقعية ، (بالمعنى
« الاسرائيلي » لهذا التعبير) ، وأن يقبل التفاوض
والتعاش بالشرط « الاسرائيلي » ، وقد أوضحت
حقائق الحياة أن شيئا من تلك النبوءات لم يتحقق .
تقول إحدى الاعضاء في هيئة الحقوق المدنية في
« اسرائيل » : « خلال عشرين سنة لما جبل
(فلسطين الاحتلال) ، وجبل (يهود الاحتلال) ،
والنتيجة مذهلة عند الطرفين ، إذ تزداد الهوة اتساعا
مع مرور الزمن » .

هذا الجبل الجديد ليس جبل الشعارات الكبيرة
التي تميز بها تاريخ الحركة الوطنية السابق ، بل هو
جبل عرف ثغرات عدوه ، وحاول خوض معاركه
للتفاد من هذه الثغرات .

وأهم الثغرات التي بات الجبل الفلسطيني الجديد
في الأرض المحتلة يركز عليها هي (الأزمة التي
تميشها « اسرائيل ») ، أقصد الأزمة المستقبلية

المسألة متطاولا في ميزان السكالي والديمقراطي ،
فالتفكير الأساسية الصهيونية التي حولت تسوية
لدول العالمة ، هي ضرورة بناء دولة خاصة لليهود :
« دولة يهودية صالحة لا يملؤها العرب » .

كأن يقول عنها هرتزل ، مؤسس الصهيونية
السببية : « دولة يهودية على فرنسا فرنسية وكتاكي
أمريكية » ، لكن استمرار الاحتلال لأكثر من مليون
ونصف مليون فلسطيني ، يكتفون بمعدل ضعف
التكاثر اليهودي ، إضافة لسببالة ألف فلسطيني
مزدومين في المثلث والجليل والثلث داخل الكيان
« الاسرائيلي » ، فكل ذلك يهدد يهودية الدولة مع
نهاية هذا القرن ، وبخاصة مع ازدياد منسوب
الهجرة المعاكسة (التزوج من اسرائيل) . ومع
تضيق منابع الهجرة اليهودية لفلسطين المحتلة ،
تضيقا لا يكاد يكون كاملا ، باستثناء بضع مئات
يتمسكون من الاتحاد السوفيتي ، ومن الدول
الاشتراكية .

الأزمة في نظر الجيل الجديد

الجيل الفلسطيني الجديد يعرف جيدا هذه الأزمة
العامة التي تعيشها « اسرائيل » ، فقد تحدثوا عنها
جميعا بحسبة مرور عشرين عاما على الاحتلال ،
ولذلك يصعد نضالاته مستمرا فالتفكير المستعمل بالكثير
من الطائفية ، إذ ليس أمام الأعداء في نهاية المطاف
التسليم بالاستحباب ، أو ضم هذه المناطق
وأعطاه السكان الجنسية « الاسرائيلية » ، تصبح
الدولة دولة ثنائية القومية ، وهو أبعد ما يكون عن
دولة يهودية ، كما أرادها الآباء المؤسسون الأوائل ،
أما الاحتمال الثالث وهو طرد العرب الفلسطينيين
من أراضيهم ، فهو احتمال أمامه صعوبات لا حصر
لها ، فإبعاد أربعة متاضلين في يناير الماضي دعا مجلس
الأمن للاجتماع ، وأحدث ضجة دولية واسعة .
فكيف سيكون الأمر مع إبعاد مئات الآلاف من
وطنهم ؟

هذا احتمال لم يعد ممكنا ، طالما أنه لم يتم حشية

حروب حزيران ١٩٦٧ م . فالملاقاة الديمقراطية
سيجود « اسرائيل » لتتموضع جنوب أفريقيا في
المستقبل القريب ، بل إن الانتفاضة الوطنية المجيدة
قد أظهرت تلك الدولة العبرية بشكل صريح
مكتسوف ، وكأها التتموضع الأكثر عفا من فونج
جنوب أفريقيا .

يقول الفكر « الاسرائيلي » « عيدي تسيح » :
« الآن يولد في البلاد حرب أكثر من اليهود ، وفي
خضون ثلاثين عاما ستصبح مثل جنوب أفريقيا ،
حيث تكون هناك أكثرية عربية ساحقة ، لقد قال
موشي أرئيل أنه مستعد لتخ سكان المناطق الجنسية
« الاسرائيلية » ، وهذا يعني تسليم تل أبيب وبيت
ألفا وصناعة الطيران إلى أيدي العرب . إن غياب
سياسية يمكن في أهم لا يعرفون أن هناك مشكلة
على بعد دقيقتين ، ولا يفقهون شيئا في ديناميكية
الزمن » .

لكن شموخ الانتفاضة الوطنية الباسلة وعظمتها
أما اختصرت الثلاثين عاما التي تحدث عنها الفكر
« تسيح » ، وجرت المشكلة التي هي على بعد
دقيقتين ، لتصبح مشكلة راحنة ، وتصبح
« اسرائيل » في نظر العالم كله وفي نظر الرأي العام
العالمي « جنوب أفريقيا » جديدة ، كما تكتب كل يوم
خالبية صحف العالم في القارات الخمس .

شموخ يبرز يصف الادانة الدولية الكاملة للكيان
« الاسرائيلي » من خلال صور التفزاز للقمع
الصهيوني لأطفال الحجارة ، ويقول بحسرة وألم .
« لقد انتصر التفزاز على الدعاية » ، لكن في
الحقيقة أن إرادة الإنسان العربي في فلسطين هي التي
انتصرت على « اسباطة » المسلحة بالثقافة الامريكية
حق الأستان . تقول المحامية الاسرائيلية فيليبيا
لانجر في كتابها (رجال الحجارة) :

« في آخر القرن العشرين زمن لا يعقل أن يظل
فيه بروميثيوس راسخا في القيد » بل لعل هذا هو
الاستنتاج الأساسي لدروس الحجارة التي تقصم ظهر
آخر القلاع العنصرية في عالمنا المعاصر . □ □



وظهور الرأسمالية في العالم

بقلم : الدكتور عبد الوهاب المسيري

لم يكن ليهود أوروبا وجود متجذر في المجتمعات التي عاشوا فيها ، بل كان وجوداً عائلاً ، يعيش على الاختلافات بينها . وعندما تحولت المجتمعات الأوروبية إلى المرحلة الرأسمالية كان للعمال اليهودي دور خاص يلقي عليه الكاتب بعضاً من الضوء .

سومبارت وفير

لكن الوضع في العالم العربي يختلف بشكل جوهري . ويرى العالم الألماني فرنر سومبارت (١٨٩٣ - ١٩٤١) أن ثمة علاقة قوية بين أعضاء الطوائف اليهودية في الغرب (خاصة يسود الملائكة) ، وظهور الرأسمالية وتطورها . ويقدم سومبارت أطروحته في مقابل أطروحة ماكس فير . فقد وصف فير اليهودية القديمة بأنها كانت ديناً فريدة في العالم القديم لعلاقتها وعدم تأكيدها لأهمية السحر أو الأسطورة وتوجهها الدنيوي (في مقابل الديانات الشرقية الأخرى) . ويتأكد تحكم الإنسان في مصيره . وكل الصفات الأتفة تبين أن اليهود قد ظهرت بينهم روح الإنجاز . ويرى فير أن ثمة علاقة واضحة بين روح الإنجاز وإحساس

يمكن القول بشكل عام أن يهود العالم العربي والإسلامي لم يلعبوا دوراً اقتصادياً متميزاً ، ولم يسيطروا بطوائف اقتصادية خاصة مقصورة عليهم دون بقية أعضاء المجتمع ، ولذا فلم يلعبوا دوراً خاصاً أو متميزاً في نشأة الرأسمالية أو في المشروعات الرأسمالية الحرة في العالم العربي الإسلامي ، خاصة أن البلاد العربية والإسلامية التي أسست نظاماً اقتصادياً يتيح نموذج الاقتصاد الحر (مثل تركيا ودول الخليج ولبنان) لم يكن فيها أقليات يهودية كبيرة ، وحتى حين وجدت ، كما هو الحال في المغرب ، فهي لم تسهم بشكل خاص في تاريخ المغرب الاقتصادي . هذا التصميم لا يفتى بطبيعة الحال وجود أي شكل من أشكال التمييز بين الأقلية اليهودية والأقلية ، فهذا ضد طبيعة الأشياء .

يحتوي أيضا على عكسها . فاليهودية ، خاصة في كتب الأنبياء تحث على أخلاقيات اشتراكية متطرفة . إن صح التعبير - كما أن مفهوم البريل الخاص بتوزيع كل الأراضي كل حين علما بمنع أي تراكم للثروة إن طبق . وتعتبر اليهودية الماخامية مرتبة دنيا للتجارة ، فالشخصية الأساسية في الجبر لم يكن التجار وإنما كان العالم التلمودي الذي يدرس التوراة . ولو كان النسق الفكري الديني هو الذي يفسر الدور الاقتصادي لكان دور يهود الاقطار العربية يشبه دور يهود وسط أوروبا في القرن التاسع عشر . ولكن الأمر عكس ذلك تماما .

ولكن مع هذا ثمة عنصران من الصحة في أطروحة سومبارت . فالنسق الديني اليهودي (في صياغته الأولى ثم في صياغاته التلمودية) يخلق ترابطا اختياريًا بين اليهودية والرأسمالية لا يمكن إنكاره ، وهو ترابط يخلق تربة خصبة يمكن للرأسمالية كأعلاق وتكتسب أن تنمو فيها . ولكن لعل العنصر الحاسم في تحديد العلاقة بين أعضاء الطوائف في أوروبا وظهور الرأسمالية هو صلاتهم بالمجتمع الغربي ودورهم فيه . وأهم سمات هذه العلاقة هي أن سوق اليهودي ظل خارج علاقات المجتمع الاقطاعي الاقتصادية والدينية والأخلاقية ، فكان شخصا غريبا بمعنى الكلمة فقد كان يهوديا في مجتمع مسيحي ، وعضوا في طبقة وبسطة لا تنتمي لا للمستغلين ولا للمستغلين .

وقد اضطلع أعضاء الطوائف حتى بداية عصر الثورة التجارية ، بدور تجاري هام رغم هامشيتهم فكانوا يقومون بنقل الفائض الزراعي والسلع الترفية ، ويؤدون وظائف مالية وتجارية مختلفة في غاية الحيوية للمجتمع الإقطاعي ومع هذا فهي لا تقع في صميم العلاقات الإنتاجية لهذا المجتمع ، ولم يكن يوسع بقية أعضاء المجتمع القيام بها . وقد كان يتم « التسامح » تجاه اليهود طالما أن المجتمع كان في حاجة لهم ، ولكنهم لم يعطوا قط حقوقا قانونية محددة مثل حقوق وواجبات أهل الزمة في الإسلام . وكانت تصدر موافيق خاصة تؤمن حقوقهم وتحدد واجباتهم

الإنسان بالتصالح في مصيره ويهت من جهة وتوجيه نحو اليقظة من جهة أخرى : وهي أحد العناصر الأساسية التي تؤدي إلى التراكم وظهور الرأسمالية . ومع هذا لم يجد غير سوى علاقة واحدة غير مباشرة بين الأخلاق اليهودية وروح الرأسمالية (ثم كتب دراسته الشهيرة عن علاقة الأخلاق البروتستانتية بروح الرأسمالية التي طرح فيها تصوره للعلاقة الوثيقة بينهما) .

يرى سومبارت ، على عكس غير ، أن الأخلاق اليهودية أكثر علاقة بالرأسمالية من البروتستانتية . فاليهودية لا تحرم التجارة وإنما قامت بتخليصها ، بل وتشجيعها وقد أبدت اهتماما خاصا بالأعمال المالية من أجل تحقيق الربح . ولا يوجد في اليهودية أخلاقيات أعزوبة أو غير دنوية ، ولا تتشجع على الزهد (ويمكن أن أضيف أن عدم استقرار فكرة الميت في اليهودية والفكر الأخروي بشكل عام قد شجع الانتماءات الدنيوية) . وتشجع اليهودية الاحتفاظ بالثروة والتحكم في الذات ، والتعبير عن المواظبة والدوافع من خلال قنوات معترف بها دنيا ، كما كان يعني في واقع الأمر تحويل طاقات حيوية موجهة للنشاطات الاقتصادية (ما هو في الواقع تحقيق الربح ؟ ليس الترفيد الاقتصادي سوى تطبيق تلك القواعد التي صاغت الديانة اليهودية من خلالها حياة اليهود على النشاطات الاقتصادية ، كما قال سومبارت) .

ويمكن أن نضيف أن اليهودية قد حرمت الاقتراض بالقرب بين اليهود ولكنها أحلتها بين اليهودي وغير اليهودي مما فتح الباب على مصراعيه لليهود للاشتغال بالأعمال المالية . وبتراكم رأس المال (وقد رأى سومبارت هذه الأخلاق على أنها ذات « روح سامية » في مقابل الروح الآرية ، ولذا استفاد النازيون من كتاباته) .

وأطروحة سومبارت متطرفة بسبب عموميتها ، فهو يحاول أن يفسر تهمجية الأقليات اليهودية الاقتصادية في الغرب استنادا للنسق الديني . وهو نسق يحتوي كل العناصر التي أشار إليها ، ولكنه

ونجدهم ، إلى جانب وجود التعاقد الاختياري بين اليهودية والرأسمالية تحول أعضاء الطائفة إلى الخميرة التي ساعدت على نشوء الرأسمالية ، دون أن يكونوا بالضرورة السبب الوحيد أو حتى الأساسي في العملية التاريخية المركبة التي أدت إلى ظهور الرأسمالية .

ويظهر دور أعضاء الأقليات اليهودية كخميرة للنظام الرأسمالي في الغرب في كثير من النشاطات التي لعبوها ولي إبداعاتهم ، فهم كانوا من أوائل من طوروا فكرة الأسهم والسندات التي تحقق تراكبا رأسماليا يمكن توجيهه لأي مجال استثماري قد يظهر ؛ أي أنهم أسروها بعملية تجريد القود بفصلها عن الأفراد وعن الرغبات البشرية والعواطف والأخلاق ، وزادوا من كفاءتها كـ رأسمال ، وجعلوا مقياس الكفاءة الذي يطبق عليها هو معدل الربحية وحسب .

واليهودي الذي تم استبعاده من النظام الإقطاعي كان يقبع خارج نطاق قيم المجتمع الدينية والأخلاقية ، كما أن قيمه التجارية الموضوعية المعروفة كانت مختلفة عن القيم المسيحية التي كانت تنظر بعين الشك للنشاط التجاري ككل وللربا على وجه الخصوص ، ويهدف إلى أن يجعل من السوق مكانا يلتزم بالحد الأدنى من الأخلاق ، وبأفكار مثل فكرة الثمن العادل والأجر الكافي ، وضرورة إتاحة الفرصة لكل التجار لتحقيق ربح معقول مع وضع حد أقصى للأرباح ، وقد أدت هذه الأخلاقيات (المختلفة من منظور رأسمالي دينوي) التي تخط بين الاقتصاد والأخلاق إلى الحد من دينامية التجارة . أما العنصر اليهودي فلم يكن يدين بالولاء لمثل هذه الأخلاقيات ولذا لعب دوراً أساسياً في تحطيمها وفي تفويض دعاتم هذا الضرب من الاقتصاد المحافظ الذي تتدخل فيه العناصر الاقتصادية بالعناصر الأخلاقية والدينية . فأسهم أعضاء الطائفة في عملية الملمنة والترشيد ، أي فصل العنصر الاقتصادي عن العناصر الأخرى ، بحيث ظهر اقتصاد تجاري مبني على التنافس وعلى محاولة تعظيم الربح ويطرح فكرة

ومقدار الضرائب المفروضة عليهم وأماكن إقامتهم . وكانت هذه الموانئ تفتى في أي وقت تنتفي فيه الحاجة لليهود أو لدورهم الاقتصادي ، فكان بالتالي يتم طردهم . وكان يشار لليهود على أنهم « ألتان بلاط » ، أي أنهم كانوا خاضعين للملك أو الامبراطور مباشرة بل ويمدون ملكية خاصة له يدينون له وحده بالولاء الأمر الذي حقق لهم قسماً كبيراً من حرية الحركة ، ولكن زاد من عزلتهم عن بقية قطاعات المجتمع .

الحركي والثابت

وقد نتج عن ذلك أن وجود اليهود في الحضارة الغربية كان يتسم بعدم التجذر أو الإنهاء الكامل لأي تشكيل ثقافي أو طبقي عند فتحولوا إلى عنصر بشري دينامي يحفظ برأسامه على هيئة نقود سائلة يمكن نقلها بسهولة من مكان لآخر . وقد دعم من هذا الاتجاه أنه كان لايسمح لليهود في معظم الأحوال بشراء المقارنات الثابتة .

إن اليهود لفربتهم وعدم تجذرهم وبسبب الطبيعة السائلة لثروهم تحولوا إلى عنصر بشري متحرك موضوعي وفجود ، موضوعي لأنه ينظر له دائماً من الخارج ، وفجود لأنه لا يوجد داخل سياق محدد ، وأصبح أعضاء الطائفة يمسدون ضرباً من الاقتصاد الحركي المجرد داخل الاقتصاد الزراعي الثابت الطبيعي . وقد وصل هذا التجريد إلى قمته في التنظيم الكامل لعلاقة اليهود بالمجتمع ، وفي إحلال العلاقات القانونية التعاقدية محل العلاقات التقليدية الشخصية المبنية على كلمة الشرف والثقة التي كانت سائدة في المجتمع الإقطاعي . فكانت الموانئ التي تمنح لليهود تحاول أن تنظم كل جوانب العلاقات الممكنة بين المجتمع المسيحي وأعضاء الطائفة ، وهي علاقة كان الهدف منها ، بالنسبة للطرفين ، الربح الاقتصادي المحصن . وفكرة القانون اللاشخصي وقوضع العلاقات البشرية (علاقات إنسانية بين أشياء وعلاقات إنتاج بين بشر) هو الجوهر النقي للاقتصاد والمجتمع الرأسماليين .

لكن هذا ، أي عدم انبهاء اليهود وموضوعهم

خلق قوة عمل غير زراعي في المناطق الريفية تعتمد على الأجر أكثر من اعتمادها على المالك من الأرض .

ويظهر النظرية الماركستية زلة الدور الذي يلعبه اليهود داخل النظام الرأسمالي . فلهذه النظرية لجمال من « مصلحة الدولة » المبدأ القبول لدى المجتمع بحيث يتم الحكم على الإنسان لا حسب انتمائه الديني وإنما بمدى نفعه للدولة . وقد ظهرت في هذه الفترة فكرة مدى نفع اليهود وفتح المجال أمامهم للاسهام في جميع النشاطات الاقتصادية . وابتداءً من منتصف القرن السابع عشر استعان الملوك والأمراء في وسط أوروبا - في ألمانيا وغيرها من الدول - باليهود في كثير من النشاطات الاقتصادية مثل التجارة الدولية ، وتحويل الجيوش وعقد القروض والصفقات .

لكل ما تقدم نجد أن تاريخ الطوائف اليهودية في الغرب مرتبط بتاريخ الرأسمالية في كثير من الوجوه . ومن الملاحظ أن كثيراً من الدول التي كانت لها مشاريع تجارية أو استعمارية كانت ترى أن العنصر اليهودي عنصر أساسي في هذه العملية ، ويمكن الاستفادة من خبراته ورأسماله ، ويمكن توظيفه في أماكن ثلثة وجديدة ، فهو عنصر مجرد دينامي . وقد تم توطین اليهود في بولنڤه في القرن الرابع عشر (مع التجار الألمان) لتشجيع الاقتصاد التجاري ، ثم تم توطینهم في أوكرانيا بعد ضمها إلى بولنڤه لنفس السبب . كما تم توطین اليهود في كثير من المستعمرات الاستيطانية والمراكز التجارية التابعة لانجلترا وهولنڤه في العالم الجديد .

وقد رحب كرومويل بتوطین اليهود في انجلترا حتى يتمشوا الاقتصاد الانجليزي وحتى يكونوا جواسيس له يتأقن له بالمعلومات التجارية وسمحت فرنسا لليهود المارانو المطرودين من أسبانيا بالاستيطان في بعض المراكز التجارية الهامة فيها مثل بايون وبوردو . وقد كان توطین اليهود يأخذ عادة النمط التالي : يبدأ توطین اليهود السفارديين بملم من خبرات تجارية مالية ورؤوس أموال واتصالات

لإخراج حليفتهم المستهلك والابتاع على قوته كمثل أعلى .

كما كان العنصر الناطقة - بسبب عدم انتمائهم - من أكل التغيير حركية والفراسا بقوانين السوق الاقتصادية كقيمة مطلقة . فتجد أهم حاولوا دائماً أن يوسعوا من نطاق السوق وعن اقتضائه (وهي العملية التي انتهت إلى تحويل المجتمع بأسره إلى النمط الرأسمالي والتي أطلق عليها ماركس عملية « عويد المجتمع ») . فكانوا دائماً يبحثون عن أسواق جديدة وعن زبائن جدد وعن سلع جديدة ، كما أنهم كانوا على استعداد لأن يتجوا سلماً أقل جرة وأقل تكلفة عما كان يتبعه الحرفي أو التجار في العصر الوسيط الذي كان يمتاز بحرفته ومهارته ، ويعود على إنتاج سلعة بعينها يرقى بها إلى مستوى معين من الجودة . لا يمكنه أن يتنازل عنه أو يتهاون فيه ، فحرفته كانت جزءاً من ميراثه الشخصي .

يهر هابرون للمقارنات

ولعل من العناصر الأساسية التي جعلت من اليهود خلية للنظام الرأسمالي أهم كانوا عنصرًا بشرياً و حراً للمقارنات ، إن صح التعبير ، فكان يهود بولنڤه على علاقات تجارية ومالية وثيقة مع يهود ألمانيا ، ومع يهود الشرق ، وهكذا . وقد أسهم هذا في تسهيل عملية التجارة الدولية وتوسيع نطاق السوق . كما أنه سهل عملية جمع المعلومات التجارية ، مما جعلهم قادرين على المنافسة .

بعد لمب يهود شرق أوروبا (بولنڤه) دوراً هاماً . فالباعة اليهود ، وكذا اليهود الذين كانوا يتقنون بأعمال الفنادق الصغيرة وتقطير الكحول وترقية الماشية في المناطق الريفية وجمع الضرائب (الفوائد) لحساب كبار الملاك ، ساعدوا على إدخال عناصر التبادل واقتصاد المال وكان نشاط صغار التجار اليهود في المناطق الريفية يشجع إنتاج فائض زراعي لزيادة استهلاك البضائع غير الزراعية ، كما كان يسهم في إبعاد جزء من قوة العمل الزراعي عن الأراضي ، وتوجيهها إلى صناعة الأكواخ المنزلية وخدمات النقل ، وهذا النشاط هو الذي ساعد على

● الأليات اليهودية وظهور الرأسمالية في العالم

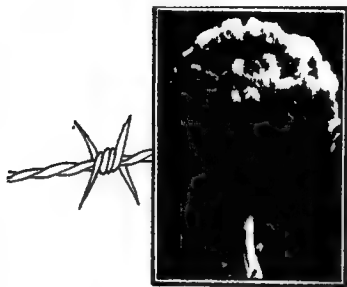
ويوضح تبليين معدلات إسهام أعضاء الطبقة في نمو الرأسمالية من بلد لآخر في علاقاتهم ببلدات وبني تركزم فيها . وظهور المدن وإزدياد أهميتها كان يعني أن الوظائف المالية والتجارية الحامشية القديمة أصبحت تحتل المركز . وقد صاحب ذلك تحول في وضع اليهود . فبدلاً من كونهم عنصرًا بشريًا متحركًا يحصل رأسمال متحرك ، ويتحرك على أطراف المجتمع تحولوا إلى عنصر بشري يقطن المدينة في داخل المجتمع وليس على هامشه ، لأنهم أصبحوا جزءاً لا يجزأ من الاقتصاد الوطني . وقد أتاح ظهور الرأسمالية فرصة أمام الرأسمال اليهودي المتحرك في أن يدخل الاقتصاد الجديد بنسبة أعلى من الرأسمال المحلي غير اليهودي الثابت (المستثمر في العقارات والمزارع) . وهو الأمر الذي تم انتجازه في البلقان وفرنسا ثم ألمانيا . أما في شرق أوروبا فعلى الرغم من أن تركيز أعضاء الأقلية اليهودية في المدن قد ازداد ، إلا أن سيادة الطيفي كان مختلفاً ، إذ أن وجودهم في المدن هو الذي حوّلهم إلى بروليتاريا .

أما بخصوص علاقة الصهيونية بالرأسمالية فيمكن القول أنها ليست مباشرة ، فالصهيونية ليست جزءاً من التشكيل الحضاري الغربي وإنما هي جزء من التشكيل الإمبريالي الغربي ، يتقدم مصاحبه الاستراتيجية تحت ظروف خاصة ، هي ظروف الاستيطان في فلسطين . ولذا ، لم تصدر الإمبريالية الغربية أو البرجوازية اليهودية الغربية أن يأخذ المشروع الصهيوني شكلاً رأسمالياً محلياً ، وإنما سمحت له أن يأخذ الشكل الاقتصادي المناسب ، الذي يضمن بقائه حتى يستمر في خدمتها . وقد تم التوصل إلى أن الأشكال الجماعية في الإنتاج هي أنسب الطرق لتنفيذ المشروع الصهيوني الاستيطاني الاحلالي ، ولذا بينما كانت الولايات المتحدة المكارنية تحارب الشيوعية في الولايات المتحدة كان الصهاينة في الخمسينيات يحظون بمعد العمال في مايو ويستسيون إلى الدولة الاشتراكية وينقلون المعونات بسخاء من الحكومات الغربية ومن أعضاء الأقليات في العالم الرأسمالي ، ويقومون على خدمة الإمبريالية ١ . □

مولية في الدول الغربية والدولة المعصية ، ثم بينهم في معظم الأحوال جامحة من اليهود الاشتراكيين الذين يملأوا في الهجرة بعد ثورة شيونكي .

هذه هي الماتوراما للبطلة للدور الذي لعبه اليهود في تكوين الرأسمالية والاقتصاد الحضاري ، ويمكننا الآن أن نتحرك المرحلة التكوينية لتسرى أثر ظهور الرأسمالية على أعضاء الطبقات اليهودية وبخلاف إسهامهم في الاقتصاد الرأسمالي ذلك . . . وسلاحظ أن دور يهود غرب أوروبا يختلف عن الدور الذي لعبه يهود وسط أوروبا وشرقيها . وهذا يعود إلى معدلات لنمو الرأسمالي في هذه البلاد وإلى علاقة اليهود بالمجتمع ككل . ووضحهم فيه ، أهم في فرنسا وإنجلترا ومولتدهموا دوراً قاترياً ، أو لنقل لعبوا دور الجزء في الكتل الاقتصادية الأكبر الذي كان قد اكتسب كثيراً من ملامحه الرأسمالية الحديثة في حياة اليهود ، وكان يتبعه مشروعه الاستعماري الضخم ، ولذا لم يلعبوا سوى دور منطج جزئياً . أما في شرق أوروبا فإن المجتمعات الأوروبية هناك لم تكن متطورة بما فيه الكفاية ، ولم يقدّر للرأسمالية (التي نشأت في مرحلة متأخرة) أن تتطور ، ولم يكن لها مشروع استعماري مهم ، وانتهى الأمر بأن حل النمط الاشتراكي في الإنتاج محل النمط الرأسمالي . ولذا تحول اليهود هناك إما إلى طبقة عاملة أو طبقة برجوازية صغيرة لاوظيفة لها ، وكان من بينهم وأسماليون ولكنهم كانوا نسبة صغيرة لا تتجاوز ٧٪ .

أما وسط أوروبا ، وخاصة ألمانيا ، فقد ظهر فيها النظام الرأسمالي وأخذ يتطور بسرعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتبلور لألمانيا مشروعه الاستعماري الخاص . وكان اليهود يشكلون عنصراً هاماً في عملية التطور الرأسمالي هذه . ولكن تم ضرب الرأسمالية الألمانية ومشروعها الاستعماري ثم تحويل ألمانيا نفسها إلى ما يشبه المستعمرة بعد اتفاقية فرساي . وحينما حاولت محاولة التصنيع مرة أخرى لم يتم ذلك حسب النمط الرأسمالي الحر ، وإنما تم بتدخل الدولة . وقد راح الرأسمال اليهودي ضحية هذه العملية .



«اسرائيل»

كتهديد نووي

بقلم : أمين هويدي

ليس هناك ما يثبت أن «اسرائيل» لا تملك القنبلة النووية ، لذا
 فاحتمال وجودها واستخدامها في حرب قادمة ضد العرب يبقى واردا .
 ولأنه لا تبدو في الأفق نهاية للصراع العربي «الاسرائيلي» فإن تهديد
 «اسرائيل» النووي يبقى قائما . لكن كيف ؟ وضمن أي الظروف ؟ في هذا
 المقال محاولة للإجابة .

هذه العقيدة العدوانية تجعل من «اسرائيل»
 «حالة خاصة» ، لا تتماشى مع التغير الذي حدث في
 مفهوم «الصراع» في ظل العصر النووي ،
 فالترتيب الشائع للصراع هو أنه «تصادم ارادات
 وقوى بين خصمين أو أكثر» ، حيث يكون هدف كل
 طرف من الأطراف تحطيم الآخر كليا أو جزئيا ،
 بحيث تحكم ارادته في ارادة الخصم ، ومن ثم يمكنه
 أن يهيئ الصراع بما يحقق أهدافه وأغراضه ، هذا
 التصريف لا يتماشى أبدا مع التطور الخطير الذي
 حدث في ممارسة الصراع ، إذ أصبحت الصراعات
 الاقليمية «صراعات اقليمية حاملة» في حقيقتها ،
 وإن كانت «اقليمية» في ظاهرها ، وربما أصبحت هذه
 الصراعات الاقليمية «صراعات اقليمية بالوكالة» ،

لا يبدو في الأفق أن للصراع العربي
 «الاسرائيلي» نهاية قريبة ، لأنه لم «يفرغ»
 بعد من العوامل الحقيقية التي أدت اليه ، ولأن
 «اسرائيل» في نفس الوقت تعتقد أن «القوة» هي
 الحل الوحيد لكل مشاكلها ، الأمر الذي يجعلها
 تستخدم «القوة» بكثافة وهي تمارس السياسة ،
 سواء على المستوى الاقليمي أو العالمي ، فهي لا تؤمن
 «بالدبلوماسية» وسيلة من الوسائل لحل
 التناقضات ، ولا تؤمن بسياسة «الاقناع» ، بل تميل
 دائما الى تطبيق سياسة «التخويف» ، وبذلك
 تصاعدت «غرائزها» العدوانية بمرور الزمن ،
 وخاصة أمام «توقع» الارادة العربية وعجزها عن
 رد العدوان .

أسلحتها ، أو معها من الأتقان على قبل أو رد فعل ' باستخدام أسلحة القتل أزماء موقف معين . وعلى ذلك فالاستراتيجية الرادعة لا تستخدم أسلحتها ، لأنها تعمل على المقارنة بين المخاطرة والثقة والمصلحة المحققة . ولا بد أن تفرق بين الردع والقتال ، فالردع يهدف إلى منع العدو من استخدام قرار بالتدخل أو العدوان ، أما القتال فيهدف إلى إجبار الطرف الآخر على اتخاذ قرار بقبول الشروط المطلوبة فرضها عليه . ويفشل « الردع » حينها يبدأ « القتال » .

وواضح أن الصراع الدائر في المنطقة بين « إسرائيل » والعرب وهو صراع بين فرض الأمر الواقع الذي تقوم به « إسرائيل » ورفض الأمر الواقع بواسطة العرب - قد أثبت أن توازن القوى التقليدي بين الأطراف لم يصل إلى حد يمكن أحدهما من تحقيق كل أغراضه ، كما أثبت فشل الردع التقليدي ، بدليل أن القتال مستمر، تتخلله فترات سكوت ، تعيد فيها الأطراف تنظم قواها ، ليبدأ القتال من جديد وسبب فشل الردع التقليدي « الإسرائيلي » هو أنها قلبت مفاهيم الردع ، فبدلاً من استخدامه لمنع القتال استخدمت القتال وسيلة للردع ، أما سبب فشل الردع التقليدي العربي ف يرجع أساساً إلى وجود فجوتين ، الأولى تتمثل في الفجوة بين توافر وسائل الردع وغياب العزيمة على استخدامها مما أوجد الفرصة للعدوان الصغير أو الكبير للمرور دون عقاب أو توقيع العقاب ، والفجوة الثانية تكمن في غياب العمل العربي المشترك ، على الرغم مما يحققه من ضمان وأمان .

الردع النووي « الإسرائيلي »

بدليل لرادعها التقليدي عند فشله

أدت السياسة التوسعية « لإسرائيل » وخوفها من التعرض لضغوط عالمية أو إقليمية تحول بينها وبين ضم الأراضي إلى لجوئها إلى تصميم سلم الردع التقليدي إلى متناه ، ولم يعد ذلك كافياً لحالة القلق المزمنة التي تعيشها من جراء خوفها من يوم تتخل فيه الولايات المتحدة الأمريكية عن تأييدها الأسمى لها ،

ونتيجة من ذلك أنه أصبح من المحتم أن يصل الصراع إلى نقطة بين « الخربة » و « الانتصار » ، أي أنه لا يمكن أن ينتهي بصيقل « الأغراض الكاملة » أو « الأمن المطلق » لأي طرف من الأطراف ، بل يقتصر ما يحققه على « الأغراض الثالثة » أو « الأمن المتبادل » للأطراف المتصارعة - بعض الانتصارات وبعض الهزائم - الاكتفاء بالممكن وليس التطلع إلى المرجو - وبذلك أصبح الغرض من الصراع ليس تحطيم إرادة الطرف الآخر ، بل تليين هذه الإرادة ليتم التلاقي في منتصف الطريق ، فالسلام الحقيقي لا يمكن فرضه بالقوة ، لأنه إن تم ذلك أصبح السلام مجرد « وقعة » في طريق الصراع ، إذ تكون الاتفاقيات المفروضة معبرة عن « توازن القوى » بين الموقعين عليها ، وليس « توازن مصالحهم » ، فالسلام الحقيقي يعبر عنه بالمعادلة الآتية .

السلام الحقيقي احتواء الجوانب المادية والمعنوية للصراع + تطبيع العلاقات .

أما إذا تم التطبيع دون القضاء على الجوانب المادية والمعنوية للصراع فإن هذا يعتبر مجرد « تسوية مؤقتة » ، تزول بتغير « موازين القوى » لصالح هذا أو ذاك .

وعلى ضوء إدارة الأزمات بالمعقدة التي شرحناها أصبح كل من توازن القوى والردع ركنين أساسيين في الصراع الدائر بين العرب و « إسرائيل » وتوازن القوى - في رأيي - هو الحالة التي تصل فيها أطراف النزاع إلى وضع يتصذر عليها في ظله اللجوء إلى استخدام القوة لفض النزاع ، وإذا لجأت إلى استخدام القوة يكون القتال محدوداً وفي أضيق الحدود ، أو أنه هو الذي يحقق الاستقرار الاستراتيجي بالعمل على التقليل من احتمال الحروب والحد منها لو استمرت . ومعنى ذلك أن « التوازن القوى » عامل مهم في تحقيق « الردع » الذي تعني به منع الأطراف من اللجوء إلى القوة في تحقيق أغراضها ، أو هو في عدم استخدام القوة على الرغم من توافرها ، أو هو في تجنب القتال . ويهدف « الردع » إلى منع قوة معادية من اتخاذ قرار باستخدام

الانكساري للدولة ، ومواجهة استيطان المهاجرين
الجدد ، وبناء الصناعات الجديدة ، والتوسع في
مراجع التعليم والصحة وقد وصلت ، إسرائيل ، إلى
بداية حدها كدورها على تطوير الأسلحة التقليدية
وشراؤها ، ولذلك فإن السلاح النووي يمثل مشكلة
الروح بتكاليف أقل ، وبصورة ثابتة . ثم ولد دايان
في حديث إلى يهودا ابروتوت في ١٩٧٦/٤/١١
ليؤكد أن « إسرائيل » وصلت إلى أقصى حدود
القدرة على استهلاك كمية إضافية من الأسلحة
التقليدية . ويجب الوصول إلى حلول نووي ، حتى
يعرف الغرب أننا نستطيع التخلص منهم ... أننا
لا نستطيع أن نطور إلى ما لا نهاية أجهزة جديدة من
الطائرات ، ونحول البلاد إلى غرد سلاح كبير ،
وعلينا التوجه بسلاح مدمر ، كرادع للأخطار
الغربية ، إذ لا نستطيع اللحاق بتكثيف السلاح
الغربية التي يتزود بها الغرب . » .

وهناك حواشي أخرى لا تقل أهمية عن الصالحين
السابقين ، تعمل حافزاً « لإسرائيل » ، للاتجاه إلى
الخيار النووي ، مثل صعوبة حيلة الغرب للرداع
النووي في لقاء الغرب ، وخاصة بعد أن أعطت
نفسها الحق في تحديد المستوى الذي لا يجوز
للغول الإقليمية أن تتعداه ، وكذلك لاستنزاف
الطاقات الغربية ، خاصة بعد أن بدأ الغرب في
تمتيع موردهم .

بعض « الاسرائيليين » يملكون الخيار النووي
« الاسرائيلي » ، منهم أبا ايبان وإسرائيل جليلي ،
على أساس أن الرداع النووي « الاسرائيلي » سوف
يصبح حافزاً للرداع النووي الغربي ، أو حافزاً
لدخول روادع أخرى إلى المنطقة ، على أساس أنه
ليس بالضرورة أن يردع السلاح النووي سلاح من
العائلة نفسها ، كما يرى أصحاب هذه المدرسة أن
الرداع النووي « الاسرائيلي » لا يحل المشاكل التي

أول وصول الغرب إلى حالة الصلابة التقليدية منها
Conventional Policy للحد من الخيار النووي .
وأكد غير « إيهال ألون » في كتابه « انتخاب إسرائيل
الاسرائيلي والتكوين » ، من تلك بدقة حينما قال :
« يجب على إسرائيل ألا تسمح - مهما كانت
الظروف - بحمل وجوها يعتمد على ضمان خارجي
لصحة أمنها » ، فقد يؤدي ذلك إلى محسوس
« إسرائيل » لضعف سياسي حول حل النزاع العربي
« الاسرائيلي » يكون في صالح الأعداء ، أو قد
لا تكون الدولة الضامنة مظهراً دائماً في الامتداد
للموقف ، أو قد نصلاً مساعدة حلقاً بعد فوات
الأوان في حالة الحرب . وأخيراً فإننا نعيش في عالم
« أصبحت فيه » ، واستمرار بقائنا يعتمد على
قدرتنا الفعالة في الدفاع عن أنفسنا دون مساعدة
خارجية . » .

وهناك حواشي أخرى لجنت « إسرائيل » إلى
الخيار النووي أهمها :

١ - سرعة تآكل السلاح التقليدي في المبارك الحالية

خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ مثلاً ألقى الجانبان
٥٠٠٠ دبابة ، ٢٠٠٠ طائرة في معركة ضارية ،
وكانت الخسائر جسيمة في الأرواح والمعدات طواقم
الأمم المتحدة التي استغرقها عمليات القتال ،
حتى وصل معدل الخسائر إلى تغيير أكثر من دبابة كل
١٥ دقيقة ، وأكثر من طائرة كل ساعة ، وهذا المعدل
في صالح العرب لغنهم المفزقة على تحمل
الخسائر . ومن الأيام الأولى لحرب ١٩٧٣ تبحرت
الامكانيات « الاسرائيلية » ، ووقعت القيادة
« الاسرائيلية » شعار « انقلوا إسرائيل » Survival
وهي تطلب تحويل المعدات من الولايات المتحدة .

٢ - زيادة تكلفة الرداع التقليدي وتعقيده :

وصل الجيش « الاسرائيلي » إلى حده الأقصى ،
ومن الصعب زيادة حجمه أكثر من ذلك ، للتناقص
بين الزيادة في الحجم مع الضرورة الحتمية للبناء

الاستراتيجي هي أنه لم تنظر لهدفها معلومة من كتابة عن نفي وجوده يظل احتمالاً قائماً ، لابد من وضعه في الحسبان ، منما من أن تفتشتا الأهم بموقف تصعب مواجهته .

٣ - تقييم الرادع النووي « الإسرائيلي »

نرى « إسرائيل » أن القوانين التي تنظم الحروب تفقد قوة إلزامها لذا تعارضت مع تحقيق أغراضها ، أو إذا وقعت حائلاً دون مواجهة أخطار هدمها ، فالضرورات تبيح المحظورات كما تأخذ بنظرية « حق المحافظة على الوجود » و « Self Preservation » ، أي اتخاذ إجراء وقائي في دولة أخرى ، لوقف عدوان متظر ، تحت شعار الضربة الوقائية ، أو الضربة الجراحية ، على الرغم من أن هذا الإجراء يعتبر تدخلاً أكثر منه دفاعاً عن النفس ، ويعتبر عدواناً بكل المعاني ، مثل قيامها في ٧ يونيو ١٩٨١ بشرب المركز النووي العراقي وتدميره « أوزارك » بالقرب من بغداد . وخطورة هذا الإجراء أن « إسرائيل » لم تمتد تكفي بخرق الحدود الدولية للدول المجاورة فحسب ، بل أخذت تخترق الحدود الدولية اختراقاً رأسياً على الرغم من المسافات الشاسعة ، والقوانين الدولية والأحظر من ذلك رد فعل القوتين العظيمين الذي كان أقرب إلى المباركة والتشجيع منه إلى الاحتجاج والعقاب واعتبرت الدولة النووية فعلاً في حالة دفاع شرعي ضد دولة وقعت على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ، بل أخضعت نفسها لإجراءات تفتيش وكالة الطاقة الذرية

وعلى ضوء هذه العقائد الشاذة أن نقيم الرادع النووي « الإسرائيلي » في ضوء مقارنته مع الرادع التقليدي الإقليمي والرادع النووي العالمي

دعت إلى السعي إليه ، وأنه يزيد من حيولة « إسرائيل » بل هناك من يشكك في أن « إسرائيل » قادرة نووية أصلاً ، وخاصة بمداتها سياسة « الردع بالظن » .

ويؤيد هذا الاتجاه تقرير لجنة الخبراء التي شكلها السكرتير العام للأمم المتحدة ، بناء على تكليف المنظمة الدولية والمقدم إلى اللجنة المتخصصة في الدورة ٣٥ لعام ١٩٨٠ ، إذ ينص على « وجود دول نووية غير معلنة مثل جنوب أفريقيا و « إسرائيل » ، وفي ١٩ يونيو ١٩٨١ قدمت لجنة الخبراء تقريراً ورد في البند ٥٥ منه النص الآتي : « هناك إقناع عام عند الخبراء الفنيين أن لدى « إسرائيل » القدرة على صناعة قنابل ذرية ، وتتوافر لديها إمكانات الإطلاق » .

وعلى أي حال ، وإزاء الغموض والشك هناك تصورات أربعة عن قدرة « إسرائيل » النووية :
التصور الأول : أن « إسرائيل » تملك فعلاً عدة رموس نووية ، وأجهزة لإطلاقها .

التصور الثاني : أن « إسرائيل » صنعت أجزاء عدة رموس نووية ، وحفظتها مفككة في مخازنها ، لإعادة تجميعها في فترات محدودة ، حينما تدعوها الضرورة لذلك

التصور الثالث : أن « إسرائيل » حصلت على المعرفة التقنية لصنع سلاح نووي ، وتوقفت عند ذلك ، لتفادي التعقيدات الدولية ، ولتجنب كثرة العلاقات

التصور الرابع : أن « إسرائيل » لا تملك المعرفة التقنية لصناعة سلاح نووي ، ولذلك فإنها لا تملكه ، وتكتفي بمنع أي دولة إقليمية من الحصول على هذا السلاح

اذن ، فإن حيازة « إسرائيل » لقدرة نووية من نوع ما أمر غائب ، وهناك قاعدة ذهبية في التعامل

الفرق بين الردع التقليدي والاقليمي والردع النووي الاقليمي

| الردع التقليدي الاقليمي | الردع النووي الاقليمي |
|--|--|
| أكثر مصداقية في الدفاع أو الهجوم أو ضد أعمال العدو يبرر والتسلل . وليس على استخدامه في الغالب قيود دولية . | لم يستخدم في القتال بعد Hiroshima و Nagasaki ، ولا يمكن استخدامه إلا في الضرورة القصوى ، في حالة تعرض البقاء للخطر ، وعليه قيود دولية اعتبارية لمنع انتشاره . |
| يستهدف القوات المسلحة كإسبكية أولى ، والأهداف المدنية كإسبكية ثانية في حالة الصراع العربي . الاسرائيلي . | يستهدف الأغراض المدنية المتنازعة كإسبكية أولى لعدم توافر الرموز السرية أو وسائل الإطلاق الكافية . |
| خطورة في قوته التدميرية . | خطورته الحقيقية في الاشعاعات الحرارية ، والاشعاعات الفورية (أشعة جاما والنيوترونات وجزيئات الفا وبيتا التمتعة خلال دقيقة واحدة من الانفجار) أو الاشعاعات الأجلة (التلوث نتيجة السحب التي يهبط على الأرض) . |
| تحديد الأغراض وتحليلها ، وتجميع المعلومات عبر بحث و خطة معلومات معقدة ، تشترك فيها جهات عديدة - مختلفة | الأغراض هنا أغراض القيمة المضافة ، كإسبكية أولى وتكون أهداف القوة المضافة كإسبكية ثانية ، والمعلومات عنها متيسرة حتى من المصادر المكشوفة . |
| فرص نجاح الردع تعتمد على منافع من القوى المركبة | يعطي حرية أكبر لصاحب القرار . |
| يحتاج إلى عدد من القوى السرية والمجهيزات ومعدات ضخمة متطورة . | تشغيله يحتاج إلى عدد محدود من الأفراد |
| نجاحه و نتيجته الحاسمة لا بد من أن يصل إلى حد | يمكنه أن يصل إلى أغراضه بالاستخدام المحدود والتسريح |
| الردع التقليدي الاقليمي | هناك احتكار نووي « اسرائيلي » |

وحاصة وهو في يد جهة « كاسرائيل » ، وهذا يقودنا
إلى مقارنة استخدام الردع النووي على المستويين
العالمي والاقليمي .

ثانيا : الفرق بين الردع النووي

الاقليمي والردع النووي العالمي

- من الخطأ الفادح التصميم في موضوع الردع
النووي ، ليس على المستويين العالمي والاقليمي
فقط ، بل بين الأقاليم المختلفة أيضا وفي داخل
الاقليم الواحد لاختلاف الظروف والمخزون

الردع التقليدي الاقليمي
• الردع النووي لا سري ، يحملها
مساحتها من ناحيتي ارتفاع تكلفه الردع التقليدي
والقوة البشرية

• ويحقق لها حرية القرار ، خاصة في فترة
الاحتكار النووي .

وهناك عامل مهم ، يحتاج إلى بحث تفصيلي ،
وهو ما يتعلق بالمصداقية ، أي بمصداقية استخدام
السلح النووي في القتال في الصراعات الاقليمية ،

يل وتوجد على المستوى العالمي : الحرب النووية ،
التكتيكية وكذلك الاستراتيجية ، وهذا غير موجود
على المستوى الاقليمي .

٥ - لا يحتاج الرادع النووي الاقليمي الى نفس
الترتيبات المعقدة التي يطبقها على المستوى العالمي ،
فلا هو يحتاج الى قيادات وأجهزة سيطرة تعمل من
الجو ، ولا الى تحصينات معاكسة ، ولا الى لغزلات
حاملة للقتال اللرية على درجة استعداد وهي نظير
في الجو خوفا من ضربها وهي على الأرض ، ولا الى
صواريخ محملة على قطارات تجري على قضبانها .

٦ - الصفة الحاكمة التي تسك بزمم الرادع
النووي العالمي صفة « نصف عاكسة » ، تجري
حوارها على أساس حسابات منطقية ، لكن الصفة
التي قد تدبر الرادع النووي الاقليمي صفة « انما
مجنونة أو جاعلة أصول الصراع . ولنا أن نصلي
رأدها نوويا تحت سيطرة مناحيم بيجن ، أو اسحق
شامير ، أو ايريل شارون ، وفي هذا الصدد يقول
الجنرال بوغر : « في ظل الانتشار النووي سيكون
المصير في يد عدد متزايد ليس بينهم الا قلة يمكنها
تحمل هذه المسؤولية الثقيلة . ان افترض الجنون بين
هؤلاء الرجال شيء متوقع ، لكن الأكثر توقعا
والدهاء للقلق المتزايد في نفس الوقت هو عدم
المعرفة ، إذ أن المشكلات المتعلقة بالسلام والحرب
أصبحت بالغة الدقة ، مما يجعلها غير مفهومة تماما
لكل رجال السياسة الذين تأث بهم المصادفة الى
السلطة ، كما أن بقاء بعض المقاصم التقليدية في
الحرب التي لاتصلح لفهمهم اليوم قد تسبب وقوع
كوارث مروعة ، وباختصار فإن الانتشار النووي
مدعاة لأقصى درجات القلق ، فلا يمكن أن يتحقق
الاستقرار الا في الدول النووية العاقلة ، ولابد من
الحد من وضع أهواء القناب في أيدي الأطفال » .

وتخرج من ذلك أن المقاييس التي تتحكم في
الروادع النووية على الصعيد العالمي لا يمكن أن
تتحقق وتطبق في الصراعات الاقليمية . ومعنى ذلك
أن استخدام الرادع النووي في القتال في حالة توافره
أكثر احتمالا في الصراعات الاقليمية ، وهو أمر

المشاح . فعلى سبيل المثال لم يكن من المحتمل أن
تستخدم « إسرائيل » الرادع النووي حينما عبرت
القوات المصرية القناة في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، لكن
كان من المحتمل استخدامه لو أن الموقف تطور الى
هزيمة ساحقة يهدد وجودها ، أو لو أن القوات
المصرية عبرت حدودها عام ١٩٦٧ ، وحقت
انتصارات يهدد كيانها حينما كانت القوات المصرية في
مراكز حشدتها بالقرب من الحدود السياسية .

٧ - وإذا كان هناك هذا التفاوت بين المستوى
العالمي والاقليمي فإنه لا يجوز والحالة هذه تطبيق
القوانين التي تنظم عملية « ادارة الأزمة أو الصراع »
على مستوى القوتين العظميين على المستوى الاقليمي
في الصراع العربي « الاسرائيلي » ، إذ لا يمكن تطبيق
قواعد الاشتباك بالدفعية على الاشتباك يحدث
بالبندق ، كما لا يمكن تطبيق قواعد الاشتباك بين
قوتين في أرض المعركة على اشتباك يحدث لتفريق
المظاهرات . فعلى المستوى العالمي يملك السوفيت
آلآفا من الرؤوس النووية السريعة وكذلك
الأمريكان ، أما على المستوى الاقليمي فيمكن اعتبار
أن الدولة نووية - كما ورد في تقرير السكرتير العام
للأمم المتحدة عام ١٩٨١ - إذا امتلكت ١٢ رأسا
نوويا على الأقل مع وسائل إطلاقها ، إذ يعطي هذا
الحجم القدرة على ضرب أربع مدن ، بواقع ثلاثة
رؤوس ذرية قوتها ٢٠ كيلو طنًا لمدينة واحدة أو ١٢
مدينة إذا خصص لكل منها رأس ذري واحد . وإذا
حسبنا احتمال الأخطاء التي تحدث بواقع رأس واحد
من كل ثلاثة رؤوس فيمكن للثلاث عشرة أحداث
عسائر جسيمة في مدن يتراوح عددها من ٣ - ٨ .

٣ - هذا التفاوت في الحجم المشاح على المستويين
العالمي والاقليمي غير معنى المصطلحات الفنية المتفق
عليها ، مثل : القوى النووية لمسارح العمليات
(TNP) ، والتدمير غير المحتمل ، والتدمير المؤكد ،
وأقل درجات الردع ، والرد المرن والتمتداح
وغيرها .

٤ - لاتتعدد المستويات في الرادع النووي
الاقليمي ، إذ لا يوجد ما يسمى « الردع المتدرج » ،

عقل لا يمكن استعمله ، وخاصة أن التلويح قد سجل لنا أنه ما من سلاح يحمل مرحلة الانتاج إلا استعمله فعلا .

وهذا المفهوم الذي يميز الصراعات النووية العالية عن الصراعات النووية الإقليمية هو الخطر الحقيقي الذي تفرضه من « إسرائيل » النووية ، وخاصة إذا ظلت تؤمن أن القوة هي العامل الوحيد للممارسة الدبلوماسية .

لكن هل الرادع النووي « الاسرائيلي » يمكنه فرض استقرار إقليمي لا يحققه توازن المصالح لأطراف الصراع ؟ وهنا أيضا تختلف الآراء بين مؤيد ومعارض .

١ - فالذين يرون أن الرادع النووي « الاسرائيلي » يفرض استقرارا ظاهريا جازما يقولون وجهة نظرهم بأراء عديدة أهمها : -

أ - الخوف الذي يفرضه الرادع النووي الذي يعمل ككفاح مهني للثقل .

ب - الرادع النووي هو الوسيلة الوحيدة للسباق في التسليح التقليدي مع العرب ، فالرادع النووي « الاسرائيلي » هو البديل الوحيد للرادع العربي التقليدي ، إذ يفرض الاستقرار على أسس قاعدة « التدمير » المفروض أو غير المحتمل Unacceptable Deterrence .

ج - الردع المحقق عن طريق الرادع النووي « الاسرائيلي » يفرض فترة هدوء اجبارية ، تكون بمثابة تهديد لتهدئة التوتر فالتقنية تؤدي الى زوال الحروب الذي يؤدي بدوره الى السلام

د - الاحتكار النووي « الاسرائيلي » يفرض الاستقرار ، وفي حالة تعدد القدرات النووية في يوم ما سوف يتحقق الاستقرار عن طريق الرعب النووي، أو الخوف من التدمير المتبادل لتوافر القدرة على الضربة الثانية لدى كل الأطراف ، وهذا كفيل بتردد كل الأطراف في اللجوء الى الضربة الأولى ، أي العدوان .

٢ - وفي المقابل هناك آراء تعارض ذلك - ونحن

مهم - ونرى أن الرادع النووي « الاسرائيلي » لا يمكنه أن يفرض استقرارا جماعيا للأمن : -

أ - الرادع النووي بالحجم المحدود ليست لديه المصدقية اللازمة لردع أي حرب تقليدية عادية .

ب - يمكن مواجهة الرادع النووي برادع آخر من فصيلة أخرى لا يقل تأثيرا عنه ، وهو ما سينتج « الرادع فوق التقليدي » ، وهو عبارة عن الأسلحة الحارقة أو الكيميائية والبيولوجية .

ج - القدرة العربية على امتصاص الضربة الأولى أكبر من القدرة الاسرائيلية ، حتى على المستوى النظري .

د - كل طرف رهينة عند الطرف الآخر ، فإذا كان الشعب العربي رهينة عند « الاسرائيليين » فالشعب « الاسرائيلي » رهينة عند العرب .

وعلى « إسرائيل » أن تحجب عن الأمة الآتية ، لتصرف الفرق بين قدرة العرب على امتصاص الضربات مقارنا بقدرتها : ما الذي كان يحدث « لاسرائيل » لو واجهت نفس موقفنا في حرب ١٩٦٧ بعد ضرب قواتنا الجوية ؟ وما الذي كان يحدث لها لو ضربت تل أبيب والقدس وبيروت السبع بالغازات والمدمية والصواريخ كما ضربت السويس والاسماعيلية والقاهرة وبحر البقر وحلوان والمعادي وبيروت وبغداد وحمص ودمشق ؟

الخلاصة :

إن « إسرائيل » وهي تسمى لفرض استقرار إقليمي يحقق لها مظامها أخذت في تصعيد مستوى الروادع حتى وصلت إلى الرادع النووي ، ولكن للاستقرار جناحان : توازن القوى وتوازن المصالح فالاتفاقيات التي تحقق الاستقرار إن عبرت عن قوى الموقعين عليها كانت اتفاقيات رديئة : ولو تمت تحت مظلة نووية ، والاتفاقيات الرديئة هي وقفة حتى يعاد تغيير توازن القوى ، ولذلك فإن الاتفاقيات يجب أن تكون عاقلة تراعي توازن المصالح لأن القوة وحدها سواء كانت تقليدية أو نووية لن تحقق الاستقرار □



فرقة وجذور الحركة الصهيونية غير اليهودية

بقلم : رياض معصم *

قبل إعلان الحركة الصهيونية رسمياً في مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧، لم تكن الصهيونية حركة يهودية ، بل كانت مرتبطة بشكل وثيق بأحق دول الاستعمار الغربي ، وإن كان الدور البريطاني معروفاً في إنشاء الصهيونية غير اليهودية فإن دور فرنسا لم يكن ليقل خطورة .
هذا المقال محاولة لتتبع ظهور الصهيونية غير اليهودية في تلك الدولة الاستعمارية منذ البدايات الأولى حتى وعد بلفور .

فلسطين العربية ودعمهم سانها ، وسياسيا ، وفكريا .

ويطول المقام إذا أردنا التحدث عن هذه الظاهرة بأكملها ، والطرق لجمع جوانبها ، ولنشأتها في البلدان المختلفة ، على الرغم من الترابط العضوي بين جميع أطرافها ، لذا فإتينا نغصّر مقالنا هذا على فترة معينة وبلد معين .

إن الصهيونية كأيديولوجية وحركة سياسية منظمة ، لم تكف على السطح على صعيد فرنسا مثلا ، ولم تظهر

كثيرا ما يعتقد بعض الناس بأن الصهيونية أيديولوجيا وتطبيقا في وقت على الطائفة اليهودية التي تعمل على ترويعها وتنفيذ خططاتها دون غيرها ، بيد أن هذا الاعتقاد خاطيء ، فالصهيونية غير اليهودية هي أشد فاعلية وخطرا من الصهيونية اليهودية نفسها في مواقف ومواضع شتى .

وتؤكد الأحداث التاريخية ، والوثائق العديدة على أن الصهيونية غير اليهودية كانت وما تزال الأداة الأساسية التي عملت على ترسيخ أقدام اليهود في

* كاتب من الفكر العربي السوري منهم في باريس .

كما في أوروبا في القرنين التاسع عشر والعاشر الميلاديين ، فكرت في ذلك من منظور جديد .
 في القرن العشرين الأول في ظل حكم ١٨٩٧ لم يكن
 الانطلاقة الأولى ، بل كان توجها لتطورات هائلة ،
 وولادة جيلين اكتمل تشكيله في رحم الأحداث
 والانقلابات السياسية والاقتصادية في أوروبا منذ بداية
 عصر النهضة .

اليهود والمسيح

ولاستكمال الصورة وتوضيحها لابد من العودة
 إلى الجذور الأولى في المسألة اليهودية ، فبالنسبة
 للمسيحية الكاثوليكية التقليدية لم يكن في أديانها أدنى
 إشارة إلى مقولة الأساطير اليهودية في عبادة
 « المسيح » ، وتباعدته لشعب الله المختار إلى أرض
 الميعاد ، وطبقا « للعقيدة الكاثوليكية » « فإن اليهود
 كانوا قد طردوا من فلسطين إلى مغامير في بابل
 فصاحوا لهم لا تترافقهم الذنب الأكبر ، وأن أرض
 فلسطين هي ملك للمسيحية ، وعندما أنكر اليهود
 أن عيسى بن مريم هو المسيح ، تقام الله مرة أخرى
 إلى الأبد وأسمى وجودهم كلمة ، أما كاثوليك فيمكن
 أي يهودي العودة إلى الإيمان الحقيقي وطلب الخلاص
 الروحي باعتناقه المسيحية » حتى أن بيرليريت
 عندما راح يدعو أوروبا المسيحية إلى القيام بغزو
 فلسطين لم يكن يقوم بذلك لمعيدها إلى « أصحابها
 اليهود » ، وإنما كان من أجل طرد المسلمين الكفار ،
 وإقامة « الامبراطورية المسيحية » ، حتى أن
 الصليبيين عندما احتلوا بيت المقدس حموا يهود
 المدينة في الكنيس وأحرقوهم فيها أحياء

فلسطين هذا المفهوم تعتبر الوطن المقدس الذي
 أورثه المسيح لأتباعه المسيحيين

وعلاوة القول ان الصهيونية غير اليهودية حتى
 عصر النهضة كانت غائبة تماما عن أوروبا ، غير أن
 قدوم مارتين لوتر ، واثبات حركة الإصلاح الديني قد
 قلبت المفاهيم رأسا على عقب ، فمبادئ لوتر كانت
 مغايرة تماما لمبادئ الكاثوليكية ، لاسيما ما يخص
 المسألة اليهودية ، إذ أن التفسيرات اللاهوتية في
 الحركة الدينية الجديدة قد روجت لفكرة أن اليهود

« أمة خاطئة » ، وأعلنت على فكرة « أن أرض الميعاد »
 شأن إعادة اكتشاف « العهد القديم » في الحدا
 البروتستانتية واختياره عصباً أساسيا في هذه
 الحركة ، بعد أن كان مهجلا من قبل الكاثوليكية
 قد عزز النزعة اليهودية ، ودعم وجهة نظره
 الأوساط المسيحية الجديدة ، فأضحت بذ
 فلسطين أرضا يهودية في الفكر المسيحي في أو
 البروتستانتية ، وبدأ منذ ذلك الوقت الاله
 بتحقيق النبوءات التوراتية ، لاسيما « العصر
 السعيد » الذي هو الاعتقاد بعودة المسيح
 الذي سيقوم ملكة في فلسطين تدوم ألف عام .
 وبهذا يمكن القول بأن القرن السادس عشر
 بداية التأكيد على الشخصية اليهودية . وقد است
 هذه الحركة في الانتشار عبر القرون اللاحقة إلى
 بلغت ذروتها في القرن العشرين مع ما
 « العصبة الحرفية » المنتشر في أمريكا ، الذي
 بشأن « إسرائيل » في وضعها الحالي هي الله
 الواقعي للنبوة في العصر الحديث .

امتدت أفكار الإصلاح الديني إلى فرنسا ،
 حلت معها - بطبيعة الحال - فكرة « العصر
 السعيد » التي وجدت من يروجها ، ويحصل
 أجلها ، ففي بداية القرن السابع عشر كتب
 دولا بيرير كتابه « دعوة اليهود » الذي دعا فيه إلى
 يد العون لليهود ومساعدتهم في العودة إلى الأ
 المقدسة ، ثم تبعه قس فرنسي آخر هو بيرد
 ليطالب بإعادة تأسيس المملكة اليهودية في
 الميعاد في كتابه « استكمال النبوءات »
 وقد تمدت هذه الأفكار رجال الكنيسة إلى
 المفكرين الفرنسيين كجوان جاك روسو وباسك
 فظهرت في كتاباتهم الدعوة لقيام دولة يهودية
 تدعمهم هذه الفكرة لرجال السياسة الذين و-
 فيها غير وسيلة للوصول إلى مأرب سيب
 واقتصادية في الشرق

تأيليون بونايرت : صهيونية الأمبراطور

لقد طرحت قضية اليهود إبان الثورة الفرن
 وفور إعلان حقوق الإنسان أعطى اليهود



• حندي اسرائيلي يضع فتاة فلسطينية على مرمى من المايم

ياقوتة فلسطين ، سارعوا ، إن حلفاء من المنطقة القبطية التي لا تكثر لآلاف السنين ، للمطالبة باستعادة حقوقكم ووجودكم السياسي كأمة بين الأمم .

غير أن الهزيمة الفكرية التي عانى ناهليون في حكا ضمنت جهوده تلعب أدراج الرياح ، لكن الفكرة بقيت قائمة في ذهنه ، إذ بعد حوله إلى فرنسا دعا في عام ١٨٠٦ إلى عقد اجتماع « السندرين » وهي الهيئة القضائية العليا للطائفة اليهودية ، وأعلن ناهليون على أنه سيكون لليهود مكان رسمي داخل الدولة ، وأن الهيئة اليهودية ستكون إحدى الهيئات الرسمية في فرنسا ، ووعد بأن يقوم بالضغط على الدول الأوروبية الأخرى لتتعلق حكم فرنسا في هذا الشأن ، بيد أن هذه الدعوة قد تلاشت واضمحلت مع آخر هزيمة لكرام له في واترلو عام ١٨١٥ .

ناهليون الثالث الأكثر صهيونية

إن وصول محمد علي إلى سدة الحكم في مصر جعل فكرة توطيد اليهود تأخذ طريقها إلى بريطانيا ، ولما واصلها حلفاء ، إذ أن بريطانيا قد وجدت أن الأقليات اليهودية المتواجدة في فلسطين حينذاك لم يكن عددها يمتد في تلك الفترة ثمانية آلاف يهودي ، وذلك حسب إحصائيات القنصل البريطاني في فلسطين وأ لا يمكنها أن تكون خريصة لها للتدخل بشؤون فلسطين بصحبة « حابة الأقليات اليهودية » أسوة بفرنسا التي كانت قد اتخذت اللزيمية نفسها في حابة الموارنة لبنان .

وكانت بريطانيا بمكرها ودعاها تخطط لضرب محمد علي من جهة ، ولتقطع الطريق على فرنسا في أن يصبح الديك الفرنسي على الأراضي الفلسطينية من جهة أخرى .

ومهما يكن من أمر فعوت ناهليون الأول ونسي وهو قابع في جزيرة القديسة هيلانة بعد هزائمه يمكن يعني نسيان فرنسا للأفكار الصهيونية أو زرعها امبراطورها في الديار المقدسة ، إذ أنها لم ت أقل حاسمة من بريطانيا في إقامة دولة يهودية

التي تهيئ للكنيسة . وأصبحت الجمعية الوطنية الفرنسية الجمهورية الديمقراطية والحرية الملكية الكاملة ، ونظامه الجديد صرح أحد القادة الفرنسيين بقوله : « إنني أرى فيه لليهود كاستراد ، ولا شيء لليهود كالمسلم . فرنسا ترفض أن تكون هناك أمة داخل أمة . كان هذا على الصعيد الفرنسي ، أما على صعيد فلسطين فقد كان حديث آخر ، فقد كانت فرنسا هي أول دولة أوروبية تطرح جدتها على المستوى السياسي فكرة توطيد اليهود في فلسطين ، والفترة الحكومة الفرنسية كانت قد أعدت خطة سرية في عام ١٧٩٨ لأقامة كومونويلث يهودي في فلسطين في حبال لوجان الحبيطة الفرنسية باحتلال المشرق العربي ، فربطت بين تقديم أجنحة اليهود وقروض مالية كبيرة للحكومة الفرنسية التي كانت تعاني من أزمة مالية خانقة .

انضمت هذه الفكرة في رأس ناهليون الذي كان يحكم مركزه على اطلاع بالاتصالات الجارية بين إدارة الحكومة الفرنسية وزعماء يهود فرنسا ، وقد قدر إلى في مدى يمكن له استغلال هذه الفكرة في اكتساب الخيالات اليهود له في كل مكان ، وتأييده لها مطلقاً ، لذا فله مجرد وصوله إلى مصر أصدر بياناً حث فيه اليهود على الانطاف حول ربه من أجل إعادته إلى « ملكة القدس » ، ثم وجه نداء آخر أثناء حصار حكا جده فيه :

« من ناهليون القائد الأصل للقبوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا ، إلى ورثة فلسطين الثريين .

أيها الاسرائيليون ، أيها الشعب المفريد ، انفضوا بسرور أيها المبعوثون ، إن حرباً لم يشهد لها التاريخ مثيلاً تخوضها أمة دفاعاً عن نفسها بعد أن اعتبر اعداؤها أرضها التي توارثوها عن الأجداد غنيمة يجب أن تقسم بينهم حسب أهوائهم .

إن الجيش الذي أرسلتني المنابة الإلهية على رأسه ، والذي يقوده العبد ، ويواكبه النصر ، جعل القدس مقر لياقته ، وبعد بضعة أيام سيقتل إلى دمشق المجاورة التي لم تعد ترهب مدينة داوود .

طبق حلوى لليلة

31

الحكومات الفرنسية المتتالية الحركة الصهيونية •
الاتصال بيهود شمال أفريقيا ، بعد أن وضعت يا
على تونس والمغرب ، بالاضافة إلى الجزائر ا
ضمتها إلى أراضيها كما أسلفنا ، وبذلك تمك
الصهيونية من حث هؤلاء اليهود للهجرة
فلسطين ، ليكونوا أوائل "المرتزقة في عصاب
المانجانا ، والأرغن ، وشترين ، ويضاف إلى ذ
أن فرنسا قد ساعدت على دق إسفين الضر
والغضاء بين الجزائريين العرب والجمالية اليهود
لخلق شرخ في صلب المجتمع المغربي ككل ، حتى
منعت اليهود الجنسية الفرنسية لتسهيل فرار
الجزائر وفصل الطائفة اليهودية عن وطنها الأ

وقد ساعدت هذه العملية على هجرة عدد لا يحصى
من يهود المغرب إلى فلسطين ، إذ شهدت فلس
قبل الحرب العالمية الأولى سوتحين رئيسيتين
الهجرات اليهودية (١٨٨٢ - ١٩٠٣) كان لها
الفصل في التمهيد لقيام « دولة اسرائيل » فيها به
وبعد اشتعال الحرب العالمية الأولى في عام ١٤
وانقسام دول العالم الكبرى إلى كتلتين متصارعتي
دول الحلفاء (بريطانيا ، وفرنسا ، وروس
وايطاليا ، والولايات المتحدة) ، ومجموعة
المحور (ألمانيا والنمسا ، والدولة العثمانية) -
بريطانيا في فترة من فترات الحرب سانه لاند
تصعيد الحرب في منطقة الشرق ، بعد أن راء
دول الحلفاء صعوبات عسكرية في المنطقة العرب
وقد رأى لويد جورج أن احتلال فلسطين باب
صرويا عاجلا ، على الرغم من حصول فرنسا
منطقة الجليل الأعلى من فلسطين حسب اتف
(سايكس / بيكو) ، وتمهيدا للاحتلال لجأ ا

جورج إلى تعزيز صلته بالحركة الصهيونية و
فرنسا ، تقديرا منه للنعوذ الصهيوي واليه
الذين يسيطرون على السياسة الفرنسية ، وإمك
هذين النفوذين المالية الهائلة والمهيمنة على الآف
الفرنسي .

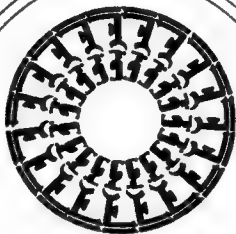
« امبراطورية الشرق » ، بيد أن الأوساط الفكرية
استمرت في نشر الفكرة الصهيونية وتأييدها ، وفي
عام ١٨٧٣ عرض الكسندر دوما الابن مسرحيته
« زوجة كلود » التي يتحدث فيها عن حقوق اليهود
في فلسطين ، وضرورة إصاعة بناء دولتهم ، وفي
الفترة نفسها أسس المليونير اليهودي ادموند روتشيلد
أول مدرسة زراعية سميت « مكيف اسرائيل » ،
وفلك بمساعدة « الرابطة اليهودية العالمية » .

ولم تخمس سوى بضع سنوات حتى ظهر البيان
الأول للصهيونية الحديثة في عام ١٨٨٢ الذي يدهى
« بالانتق اللذان » الذي دعا إليه ليو بنسكر أحد
اليهود الروس القاطنين في ألمانيا ، وتبعه تيودور
هرتزل في عام ١٨٩٥ بإصدار كتابه « الدولة
اليهودية » ، متأثرا بغضبة الضابط اليهودي
الفرنسي دريفوس الذي اطم بالتجسس لصالح
ألمانيا ، والذي أثار الجدل والانقسامات في أروقة
السياسة الفرنسية ، كما حدث لدى الشعب
الفرنسي ، إذ جند كثير من السياسيين والفكرين
أنفسهم للدفاع عن اليهود . وهكذا على سبيل المثال
ذكر الشاعر الكاتب شارل بيبي الذي خصص كثيرا
من أشعاره وكتابهاته للدفاع عن اليهود ، والدعوة
لصودهم إلى فلسطين ، « وأهيل زولا في كتاباته
الشهيرة » وقد احتدم الصدام بين متاصري دريفوس
الذين كانوا يؤيدون من خلاله اليهود ، وبين
مناضيه الذين كانوا يضمرون في أنفسهم كراهية
للإهود ، حتى أحمد الاعتبار للضابط الفرنسي ،
وانتهت هذه المسألة التي وصفت بمحاكمة العصر
لصالح لإهود ، غير أن مضاعفاتها كانت من الأهمية
ممكن بحيث جعلت قسما من الرأي العام الفرنسي
يتعاطف مع تصايا اليهود والصهيونية

القرن العشرون : قرن الصهيونية

إن البذور التي زرعها الصهيونية خلال القرن
التاسع عشر في مختلف الدول الغربية كانت تنبئها
محصول وفير ، لا سيما أن رياح الأحداث التاريخية
كانت تسير وفق ما تشتهي سفن قادة الصهيونية
ومؤيديها ، فمنذ بداية القرن العشرين ساعدت

في الأسطوان



كتاب العرب

التاسع عشر

الْفَلَسْطِينِيُّونَ

مِنَ الْاِقْتِلَاعِ إِلَى الْمَقَاوِمَةِ

بقلم مجموعة من الكتاب

كتاب العربي مرآة العقل العربي



عَلَمَانِ عَرَبِيَّانِ فِي سَمَاءِ الطَّبِّ

بقلم : الدكتور علي مبارك*

في التاريخ العربي الاسلامي كثير من مشاهير الأطباء أمثال الرازي وابن سينا والزهرراوي وغيرهم ممن رفعوا راية الطب العربي ، وقد حظي البعض منهم بنسب متفاوتة من اهتمام المعاصرين ، لكن الزهرراوي والرازي ظلّا يفتقران إلى من يقدمهما وينوه بذكرهما .

إلى أنه مارس الفلسفة في مقتبل عمره على نطاق واسع ، إضافة إلى ولعه بالعلوم والدراسات الموسيقية ، فاشتهر بالفيلسوف والموسيقي قبل ممارسته الطب والجراحة ، وقد ألف الكثير من كتب الفلسفة ، كما أنه اهتم بالدراسات التاريخية أيضا ، فكان مؤرخا مرموقا آنذاك

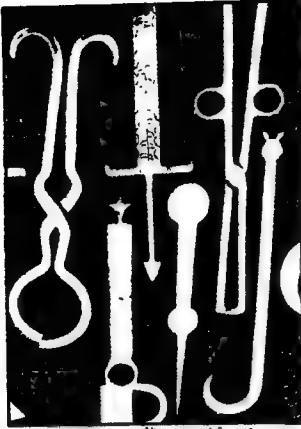
الرازي الطبيب

لم يكن الرازي طبيباً حتى سن الأربعين ، حيث بدأ يتجه بشكل حاد ومكثف للدراسة العلوم الطبية ،

من هو الرازي ؟ هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي . ولد في مدينة (الري) إحدى مدن بلاد فارس في عام ٢٥١ هـ المصادف ٨٦٥ م ، وتوفي في عام ٣١١ هـ المصادف ٩٢٥ م عن عمر ناهز الستين عاما ، وتذكر بعض المصادر أنه بلغ الخامسة والستين . وربما اشتق لقبه (الرازي) من انتسابه إلى مكان ولادته (الري) .

لقد كان حظ الرازي أوفر من حظ أتباعه علماء الطب في انتشار اسمه وشهرته وقد يكون مرد ذلك

طبيب أول رعاية الأمومة - الحملات الطبية - الكويت



مجموعة أخرى من الأدوات الجراحية التي
استعملها الزهراوي في علم الولادة

الطبيب الاغريقي (أبقراط) ، وكذلك اعتمد طريقة الاستئانة بإجراء بعض التحاليل المخبرية خاصة حل عينات من البول للوصول إلى تشخيص الأمراض .

الرازي الكيميائي والجراح

وكما برع في الطب الباطني وعلوم الأمراض الأخرى ، برع الرازي كذلك في علوم الكيمياء الدوائية ، والتفذية وكيمياء السموم وبخاصة تأثيرات سموم الأفاعي فعمل على تصنيف هذه المركبات والأعشاب المختلفة بشكل مبسط وسهل ، واستطاع أن يمزج بعضها البعض ليستخرج مركبات دوائية مختلفة من هذه الأعشاب ، وعالج فيها حالات الجذري والحصبية والحميمات الأخرى وأدخل حيوات الأطفال حسب أعمارهم أيضا .

وقد ضمن أعماله هذه واعتبرها مكملة أو ملحقة بالجانب الجراحي من الطب ، وألف لها كتابا آخر تحت عنوان (المنصوري) ، ويقال إنه اختار لها هذا الاسم تكريما لحاكم المدينة آنذاك (منصور بن

نكرس لها البقية الباقية من حياته .

وقد خلد الرازي أعماله الطبية في مؤلف ضخيم أطلق عليه عنوان « الحاوي » ، ويضم هذا المؤلف كل دراساته الخاصة والمختصة في الطب فقط . وكان قد بدأ في مدينته الري ، ثم انتقل بعدها إلى بغداد . وقد خصص جزءا من دراساته هذه للبحث في أمراض الأطفال ، وربما يعد أول طبيب اسلامي انتبه إلى أهمية هذا الجانب الخاص بطب الأطفال ، فصنفه وحصره في مؤلف خاص به ضمن كتابه (الحاوي) ، واعتبر ذلك بادرة فريدة للتخصصات الفرعية في ممارسة الطب . في بغداد اشتهر ببراعته في علاج مرض الجدري والحصبية ، وكيفية التفريق التشخيصي بينهما ، حتى أصبح مرجعا في هذين النوعين من الأمراض اذ كانا من أكثر الأمراض انتشارا ، فقام الرازي بوصف كل منها وصفا تفريquia دقيقا اعتبر فيما بعد قاعدة طبية معترفا بها وقد ترجمت ليا بعد إلى اللغة الانجليزية في القرن التاسع عشر ، أي بعد وفاته بتسعة قرون . كما أن كتابه (الحاوي) قد ترجم بالكامل للمرة الأولى إلى اللغة اللاتينية في القرن الخامس عشر ، وقد بلغ وزنه اثنين وعشرين رطلا ، وان آخر الترجمات قد تمت في عام ١٩٢١ بواسطة أحد الاساتذة الباحثين يدعى (براون) تحت عنوان (الطب العربي) ، ولكن المؤسف أن معظم هذه الاعمال قد فقدت من المكتبات العالمية .

المنهج المقارن

الجدير بالملاحظة أن الرازي في كتابته الطبية كان يعتمد اسلوبا علميا معروفا هو الاقتباس والمقارنة في الآراء والأفكار . أي أنه يذكر أعمال الآخرين ليناقشها ثم يطرح أعماله الخاصة بالمقابل ، ويخرج منها بفكر هو حصيلة مجموع الأفكار والاعمال المطروحة ، وبهذا أوجد الرازي أول بادرة من هذا النوع في المؤلفات العربية .

يحتوي كتابه (الحاوي) على الكثير من التقارير المفصلة عن حالات مرضية مختلفة أبرز فيها براعته في طريقة تناول الحالات المرضية وعلاقتها بالتاريخ المرضي السابق للمريض . بهذا اقتبس طريقة سلفه



الزهرابي يعالج مريضاً مصاباً بكسر في العنق

ابن عباس - الزهرابي وي كتب أخرى القرطبي كما ذكرت تلك المصادر أنه ولد في عام ٩٣٦م وعاش سبعة وسبعين عاماً ، وتوفي في عام ١٠١٣م ، وكما كانت الآراء مختلفة حول اسمه وكنيته لم يتأكد تاريخ وفاته بالضبط وقد توفي في مسقط رأسه على الأكثر إن أكثر المصادر العربية المتوافرة تؤكد أنه ولد في مدينة (الزهراء) التابعة لقرطبة آنذاك في اسبانيا ، وماتزال تحمل نفس الاسم باللغة الاسبانية ، ومن المؤكد أنه لقب بالزهرابي نسبة إلى مكان مولده هذا ، وكذلك بالقرطبي نسبة إلى قرطبة وقد تزامنت معظم سنين حياته التي عاشها مع الفترة التي ازدهرت فيها الدولة الاسلامية في الاندلس ، واعتبرت إحدى الفترات الذهبية في الدولة الاسلامية ويقال إنه كانت له حظوة وتقدير كبيران لدى السلطان عبدالرحمن الناصر ثالث حكام الاندلس آنذاك نظراً لكانته العلمية وبروزه في ممارسة وتطوير العلوم الطبية ، وقد خدمه في ذلك

اسحق) ، وقد ضمن فيه بالإضافة إلى ذلك أبواباً مختلفة تتعلق بكيفية التعامل في شراء المعيد وتوصيات طبية للمسافرين وعلى الرغم من أنه كتب الكثير في الحراحة إلا أنه لم يتوفر لنا الكثير من المعلومات عن أنواع العمليات الحراحية التي كان يجريها كما فعل خلفه (الزهرابي) ، وربما كان قد صمم بعض الأدوات والآلات الحراحية إلا أنها غير مشهورة

الزهرابي

كانت الآراء إلى وقت قريب مختلفة حول اسم وكنية هذا الرجل الكبير ، وقد يعود السبب في ذلك إلى أننا لم نأخذ حظه من كتبنا العربية والاسلامية بل من ترجمات أجنبية اختلفت كثيراً في كتابة اسمه بشكل صحيح وقد ذكر له مالا يقل عن اثني عشر لفظاً إلا أن بعض الكتب التا، نية الطبية العربية تقول إن اسمه الكامل هو : أبو القاسم خليفة بن العباس - أو

عمليات الجراحة التي كان يجريها ، بل برع في علاج المسالك البولية ومخاطيم حصة المثانة أيضا بواسطة أدوات وآلات من تصميمه وغير هذا كثير مما يعد في ذلك الوقت طفرة هائلة في علم الجراحة ، حتى في حقل طب الأسنان والفم فقد ذكر في كتابه (التصريف) بعض عمليات تقويم الأسنان .

الزهراوي وعلم الولادة

كان الزهراوي أول من اخترع آلة الملقط (الجفت) الذي يستعمل في توليد الجنين عندما تتأخر ولادته في المرحلة الثانية من الولادة . وقد نسب هذا الاختراع مؤخرًا إلى الطبيب الانجليزي (شامبرلين) كأول مكتشف للملقط ، وهذا خطأ ، فالحقيقة أنه سابقة فريدة للطبيب الزهراوي . بالإضافة إلى أنه كان أول من استعمل طريقة اخراج المشيمة المعوسة بعد ولادة الجنين بالضغط على الرحم خلال جدار البطن والمسماة حاليا (طريقة كريدن) والمنسوبة خطأ لشامبرلين أيضا . كما أنه استطاع أن ينقذ المرأة الماخض من خطر الموت أثناء الولادة عندما يكون الجنين مشوها أو مصابا باستسقاء الرأس بأن اخترع أداة لخرق جمجمة الجنين وافرأها من محتوياتها لتسهيل عملية نزوله ، وللهزراوي طريقة توليد مميزة استعملها في بعض الحالات ، وقد وجدت مؤخرا باسم أحد الأطباء المعاصرين . هكذا نجد أن الغرب لم يكتف باقتباس ما وصل إليه العلماء والأطباء العرب والمسلمون بل نسبوا اكتشافه لأنفسهم . والصمت العربي تجاه هذه التجاوزات ليس بجديد إذ أننا اعتدنا على الصمت حيال اختصاب اشياء كثيرة من تراثنا وما أكثرها !

إن الكتابة عن هذا العملاق لانكفيا صفحات قليلة ، بل إن أجماده بحاجة إلى تقييم وتحليل مسهبين . وقد يخرج القارئ بنتيجة واحدة في كل الحالات المشابهة لتاريخ حياة الزهراوي وهي أنه حيثما توافرت حرية الفكرية كانت طاقات الابداع وزعم المعطاء اقوى ، وغفل العكس فإن الكبت وتقييد حرية الفكر أو حتى الفكر الموجه بتيارات سياسية معينة قد لاتبدع الابداع المطلوب □

كونه ولد وترعرع في هذه الاقعة التي سميت بالزهراء مؤخرًا لأنها كانت عبيدة لدى السلطان الناصر ، فاهتم بها وشجع العلماء على تطويرها لتكون مركزا علميا وأديبا بارزا بالإضافة إلى مركز قرطبة

الطبيب والجراح

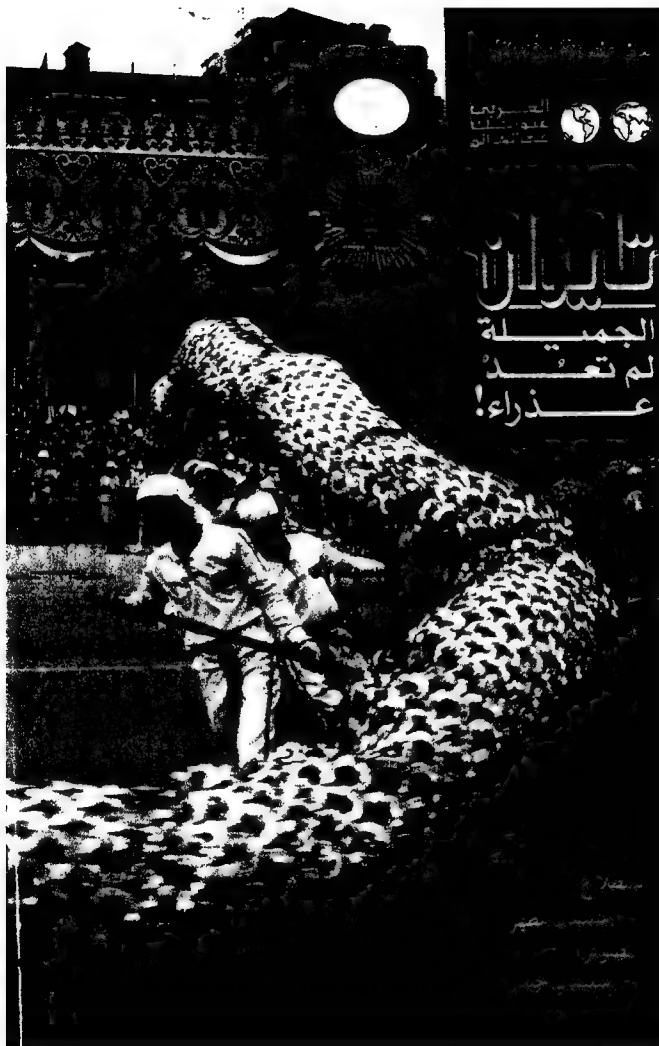
لقد برزت قابليات وامكانات هذا الرجل الكبير في ممارساته المتعددة في كل فرع من فروع الطب ، وما يهتما هو الإضافات التي ادخلها الى الطب آنذاك سواء في حقل العلاج أو في اختراع وتصميم الآلات الجراحية المختلفة .. وقد امتلأت صفحات كتابه (التصريف) بالعديد من التصميمات والصور المختلفة للآلات والأدوات التي استعملها في الجراحة ، وكان آنذاك قد اطلع على التراث الطبي الاغريقي والفارسي ، وخرج بنتائج حمة منها أنه أكد على أهمية دراسة التشريح كأساس وضرورة لممارسة الطب في الوقت الذي كان هذا العلم غير واسع الانتشار ، فيما عدا مدرسة العالم الاغريقي (هير وفيلبوس) الذي أنشأ مدرسة وذلك لتدريس تشريح الجسم البشري في القرن الثالث قبل الميلاد ، وهكذا بنى الزهراوي أساسا متينا لتطوير علوم الطب الباطني والابداع في الجراحة في الوقت الذي لم يكن الغرب يعرف عن الجراحة واساليبها ومدخلها إلا النزر اليسير، وظل الغرب على هذا النحو حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي حين ترجمت مؤلفات الزهراوي بالكامل ليتوكل الغرب على علومها ، ويستحوذ من ثم على معظم ما جاء فيها .

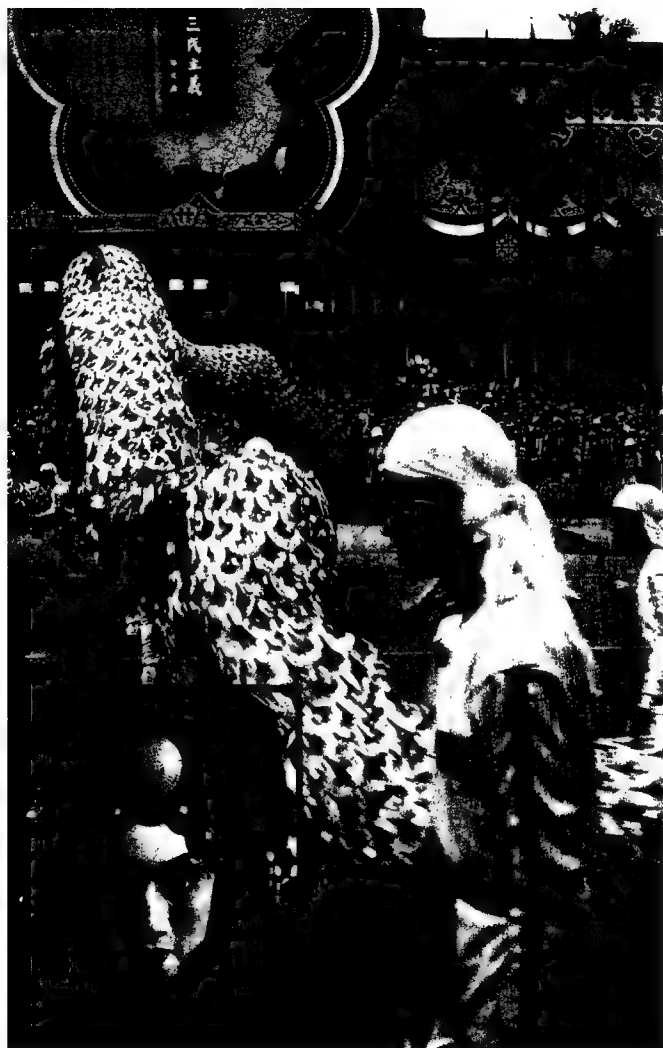
وكما برع في هذين العلمين ، كذلك برع الزهراوي في علوم العقاقير والمستحضرات وكثيرا ما كان يطلق عليه لقب (الجراح الصيدلي) ، فاستطاع بذلك أن يدمج هذين الشقين في علاجات الكسور وحالات الوشي وعزقات أربطة المفاصل . كما برع في علاج كسور العمود الفقري بشكل خاص وخطا خطوات واسعة في جراحة بتر الأطراف ولم تقتصر

مفاتيح
السلام
عندنا
عندكم



سائر الجميلة لم تعد عذراء!





حين نزل المستعمرون البرتغاليون عام ١٥٩٠ على ساحل الجزيرة .. تصايحوا في إعجاب « أوه .. فورموزا .. فورموزا » وكانوا يعنون بلغتهم البرتغالية « الجزيرة الجميلة العذراء » !

لكن « تايوان » الجميلة .. لم تعد عذراء ، بعد أن حملت في أحشائها شعبا جديدا ، أباءه من المضطهدين والنازحين والمهاجرين والمطاردين والصيادين والقراصنة ، وجدوا في أعماقها موئلا طيبا ومستقرا خصبا . ونما الشعب الوليد ليصبح تينا عملاقا جسده أسطوري ، وقلبه صيني ، وعروقه يغذيها دم من كل لون ، وراح يبني لنفسه مستقبلا واعدا عامرا بالأمال ، طوع له كل ما يملك من قدرة على الإبداع ، ليصنع ما يشبه المعجزات !

١٠ أكتوبر ١٩١١ ، وبإعلان الدكتور « صن يات سين » قيام جمهورية الصين الوطنية في أول يناير عام ١٩١٢ في الأرض الأم ، على أساس المبادئ الثلاثة للشعب : « القومية والديمقراطية ، والرفاهية الاجتماعية » ، وهي المبادئ التي حملها معه « شيانج كاي شيك » وأنصاره ورجال « الكومنتانج » حين اضطروا للانتقال إلى عاصمتهم الجديدة « تايبيه » ، بعد أن سيطر النظام المناهض لهم على الوطن الأم ، وبدأوا يصنعون المستقبل الجديد في الموطن الجديد .. تايوان .

جزيرة الكرنفالات

اسم « تايوان » لم يعد غريبا على آذان الكثيرين منذ أغرقت أسواق العالم منتجات صناعية من كل لون وبمختلف الأشكال وأقل الأسعار ، تحمل العلامة التجارية للصين الوطنية . ولكن أغلب الذين سمعوا وعرفوا قد لا يتصورون أن تايوان ليست أكثر من جزيرة يبلغ طولها ٣٩٤ كم وعرضها في أكثر مناطقها اتساعا ١٤٤ كم ، يسكنها هي وتوابعها أقل من عشرين مليون نسمة ، ولا تزيد نسبة مساحتها عن ٤ في الألف من مساحة الصين الأم .. ثالث أكبر دولة في العالم مساحة ، وصاحبة أكبر عدد من السكان يتجاوز عددهم ١٢٠٠ مليون نسمة . وتبدو تايوان إلى جانب الصين الكبرى جزيرة قزمية على شكل سمكة تستلقي في مياه بحر الصين ، يفصلها خليج فورموزا غربا عن الساحل

الذي قالت لنا وهي تنتفي كلماتها بالعربية الفصحى في لكتة صينية محبة : لا تستغفروا ، فقد غير أساتذتي اسمي الصيني في الكلية إلى « عواطف الدولي » .. فهم يرون أنني أستحق الانتساب إلى العلامة النحوي اللغوي « أبو الأسود الدؤلي » لخصمي على النحو والصرف والنطق بلسان عربي سليم ..

وكانت بالفعل تجيد الحديث بالعربية تماما كواحدة من بناتها ، كما كانت تستخدم الكثير من الأحاديث الشريفة والآيات القرآنية ، وتضمها في أسكتها الصحيحة ، رغم أنها لم تدخل الإسلام إلا حديثا ، بعد أن تنقلت في سننها الذي لم يتجاوز العشرين ، بين الفلسفة الكونفوشيوسية والعقيدة البوذية ، حتى اختارت الإسلام ولغة القرآن عن إيمان واقتناع .

ولم تستغرب ذلك كثيرا . فقد التقينا في تايوان مسلمين كثيرين يتحدثون العربية بطلاقة ، واتقان منهم مرافقتنا موسى وزميله عثمان اللذان انطلقا بنا هورا وصولنا إلى العاصمة « تايبيه » لنشهد المهرجان الكرنفالي الكبير في الساحة الكبرى للقصر الجمهوري ، حيث كانت تزخر بالأعلام الحمراء اللافتات زاهية الألوان ، والزينات البديعة الرائعة ، بينا الجميع مستغرقون في رقص وغناء على أنغام الموسيقى التي تشد فتلا الأجواء وتبث المرح والبهجة في القلوب .

وكانت المناسبة هي اليوم الوطني الذي يحتفلون فيه احتفالا مزدوجا بإزاحة حكم أباطرة « المانشو » في



فتيات في عصر الزهور ، يرقصن في أزياء مثل التنانين الصغيرة وسط الورود والرياحين الزاهية الألوان وإذ يستمر العرض نذكر صورة التين كما نعرفها ونراها مرسومة أو منحوتة في مختلف المعالم التاريخية والدينية ، وفي رسوم الفخاريات الفنية وعلى حوائط الطائرات والفوانيس الورقية التي تنتشر في كل مكان في الصين

مهرجان الزهور والألوان

ونعود لمناخ عروض المهرجان موجات جديدة من طالبات الكليات والمعاهد العليا في أزياء متباينة الألوان ، كل مجموعة بلون خاص ، يحملن الورود أو الباليونات والأعلام أو المراوح ، ويتلاحجن بها في تشكيلات بدعية ، ليتبي سوكيكن بزهرات في زي الفراشات تتراقص أجنتهن الحريرية المفتوحة ذات الألوان الزاهية المبهجة وتتابع موجة إثر أخرى من الصغيرات اللاتي يقدمن استعراضا رائعاً بطول الساحة وعرضها في تشكيلات من الألعاب والرقصات وبقايات الزهور ثم تطلق آخر مجموعة منهن بالوانها الملونة لتطير فتغطي سماء الساحة متراقصة هي الأخرى في تناغم وتنسيق متكامل غاية في الإبداع

الجنوبي الشرقي للصين الشعبية القارية بمسافة حوالي ٢٠٠ كم ، كما لا تبعد كثيرا عن هونغ كونج والفلبين في الجنوب وكوريا في الشمال ، وينتجه رأسها الى اليابان في الشمال الشرقي . وفي السنوات الأخيرة ألغت تايوان اسم فورموزا الذي أطلقه عليها البرتغاليون ، ولم تتحول إلى جمهورية مستقلة إلا بعد أن انتقل إليها شيانج كاي شيك يوم ٧ ديسمبر ١٩٤٩ وأعلن تايبيه عاصمة انتقالية جديدة لجمهورية الصين الوطنية

الفلاحون يرقصون

قبل أن نشهد الاحتفال الرسمي بالعيد الوطني تذكرنا ما قالته لنا صاحبتنا .

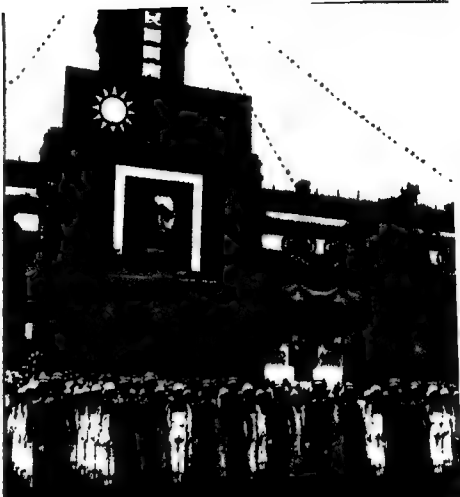
ترون أننا شعب يحب المرح والرقص والموسيقى والغناء توارثنا ذلك عن الأجداد والأمهات والأباء وتناقلنا عنهم أغانيهم وموسيقاهم ورقصاتهم وحتى حكاياتهم الشعبية وإحدى هذه الحكايات تحكي حسب ما جاء في الأساطير القديمة أن « التنانين » كانت منذ عهد بعيد تتوالب وهي ترقص وتفي مرحا في مياه الشاطئ الصيني ، وتقلب في صخب رمال القاع ومن هذه الرمال المتقلبة أقامت التنانين جزيرة على شكل سمكة أسطورية ملونة تستلقي في هدوء على مياه بحر الصين هي تلك الجزيرة التي نعيش عليها الآن تايوان

التنانين الصيني

حكاية التين والرقص والغناء هي أبرز العروض التي شهدناها خلال المهرجان الكرنفالي الكبير بدأ العرض باقترب التين الرمزي الضخم بألوانه الزاهية محمولا على الأحناق والكثاف ، ليسيتر على الساحة بين أنغام الموسيقى الصاخبة طول التين البلاستيكي المنفوخ بالهواء لا يقل عن مائتي متر وهو يتحرك راقصا صاحباً ، ويحمل أطرافه أكثر من مائة من الراقصين في الملابس التقليدية يدورون ويغفزون ، وهو يتلوى ويتنى بين صفوفهم بطريقة مثيرة ، في رقصات غاية في الدقة والبراعة والتناسق والتناغم والجمال ومن ثم التين تنطلق نقشات دخانية متباينة الألوان وكأنها انطلاقات السنة الملهية المستعر يرسلها خلال رقصته المجنونة الثائرة ولا تبدأ ثورته إلا حين تحيط به مواكب الزهور التي تصم



طوابير المروض في
الساحة الكبرى ..
وصورة « صي بات
سين » تتصدر واجهة
القصر (الى اليمين) .
وفتيات في عمر الزهور
حلال الاستعراض
الراقص في المهرجان
الشمسي (الصفحة
المقابلة) . يسار تطير
مراشة بشرية وهي
تنراقص بأجنتها
الحريرية ذات الألوان
الزاهية (أسفل) .



الليل الألعاب والصواريخ النارية تشد أنظار عشرات الآلاف من العمال والفلاحين القادمين من المدن والقرى المجاورة ليسهروا طول الليل في رقص وغناء ، وهم يتبادلون التهاني بالعيد الوطني الكبير ، ويشعرون أنهم يستحقون المزيد من الاحتفالات ، فهم يرون أنفسهم رموز التقدم والازدهار والرخاء الذي يعيش فيه شعب تايوان . . .

مجتمع إنتاجي

يقول مرافقا وهو يشير إلى الكتل المتراصة من الفلاحين والعمال : لقد حقق هؤلاء من خلال جهودهم وكفاحهم زيادة لا تصدق في الإنتاج . وهو إنتاج لا يغطي فقط احتياجات الغذاء لهذه الأرض المكتظة بالسكان ، بل يحقق فائضا ضخما من المحاصيل الزراعية يتم تصديره بملايين الدولارات التي تشكل عائدا هائلا لحوارذ البلاد . وقد أوجدت القوة الشرائية المتنامية للمزارعين أسواقا جديدة للمنتجات الصناعية ، مما عزز الصناعة الحقيقية وشكل أساسا سليما للبرنامج المبكر للمبنة من جديد . ويتم ذلك من خلال السياسات الاقتصادية المهادة للوفاء بالاحتياجات الأساسية للشعب ، وهي الغذاء والكساء والسكان والاتصالات والتعليم ثم الرفاهية والاستجمام . ولا شك أن تحقيق هذه الأهداف على نحو متصاف وعادل جاء نتيجة المساواة في ملكية الأراضي وفي الثروة الاجتماعية . هذه المساواة أدت إلى التحسن الكبير في رفاهية الشعب وإلى التنمية الصناعية للبلاد .

ويمكن إدراك أن كل خطة إنمائية استطاعت أن تحقق أكثر مما كان متوقعا منها ، بفضل دأب هؤلاء الفلاحين والعمال وشجاعة التخطيط وكفاءة القيادات . والنتيجة هي إقامة مجتمع إنتاجي ذي صورة مدعشة لمل شعبه من بين أصعد شعوب العالم .

ازدهار اقتصادي

والحقيقة أن الازدهار الاقتصادي يسير بخطوات سريعة متطورة في جمهورية الصين الوطنية التي لا يعترف بها دبلوماسيا سوى ٢٢ دولة ، لكنها تتعامل تجاريا واقتصاديا مع دول العالم كافة ، بما فيها الصين الشعبية ذاتها ، التي وصل حجم التجارة معها من

ولاستكمال الجو الاحتفالي والغفون مشدودة إلى السماء ، يجري عرض جوي بالطائرات التي تنثف غيوطا طويلة ملونة وتقدم تشكيلات جبهلوانية يؤديها طيارون مبدعون ، قبل أن يبط المظليون من الأجواء لينزلوا في ساحة المهرجان .

وتتوالى العروض . . . ويتقدم موكب الزهور ولاهبات الاكرويات والألعاب الجهلوانية المثيرة على الدراجات البخارية مما يستقطب أنظار الجماهير المتابعة لمن في انبهار بمجس الأنفاس . كما تتوالى جوع المؤدين لمشاهد الأتمنة والأسود في عروض تمثيلية متميزة ، ليشي المهرجان بطوابير العسكريين والمجنذات والملاكمة البيضاء والفلاحات والعمالات في مشاهد رائعة مثيرة .

ولأن تايوان بلد الأعياد والمهرجانات ، فإن الاحتفالات تتكرر مرة أخرى في المهرجان الغنائي الموسيقي الشعبي الذي أقيم على مسرح الدولة الكبير في السماء . ونشاهد عروضاً استعراضية أخاذة حاوية الكثير من فنون المسرح والتسلية . بعض العروض تقدم ألعاباً تنكرية تمثيلية فكاهية يشارك فيها الأطفال ، من بينها مشاهد لمجموعة من الصغار وقد صبت وجوههم بخطوط ذات لون أحر زاه لتمائل أشكالهم هيئة الغرود في القصة الأسطورية القديمة « رحلة إلى الغرب » حيث يقدمون أعمالاً تمثل القوى السحرية الحارقة . وضمن العروض نشهد رقصة الأسد الفولكلورية التقليدية يقدمها رجال يدخلون في جسم لأسد رمزي ، يؤدي كل منهم ببراعة تامة وتناسق حركات الأسد الحقيقية حين يقرع بفمه ويطبق أسنانه ويصدر الزئير والصيحات التي تثير إعجاب المشاهدين . وينتهي الحفل بمشهد من أجل المشاهد يؤديه صغار لا تعدى أعمارهم الرابعة ، يمرضون قصة الصيادين الذين جاموا ينصبون شبكهم لاصطياد العصافير ، ولكنها تتجمع وتكتل مما حتى توقع الصيادين في نفس الشباك . . .

في الليل نجد أنفسنا في عمار الزحام الكبير في الساحة الواسعة التي تتوسط القصر الجمهوري وقاعة صن يات سين التذكارية والضريح الضخم لشنانج كاي شيك . الباحة تتألق بالأضواء الملونة والأعلام الحمراء التي تتلألأ على الجدران ، وفي كل ركن منها تقدم عروض وألعاب جبهلوانية مثيرة ، وتطلق طواول

في صورة متألقة حدادة متطورة ، لتكون شوكة في
حس الصين الشعبية

فصدت الولايات المتحدة الأمريكية شيانغ
كاي شيك لمواجعة النظام الشيوعي في الصين الأم ،
إهالت المعونات الأمريكية عسكريا واقتصاديا بشكل
مباشر وفي أقصى نطاق ممكن ، كما إهالت المساعدات
في سحابة أمريكية فريد ، وتدفع ثبات الملايين من
الدولارات وملايين الأطنان من الدخائر والأسلحة
على جمهورية الصين الوطنية . وكان كل ذلك وراء
الاردهار الذي شهدته تايوان والاموال الأمريكية
تندفق كالشلال عليها ، وهو أمر لا يكره في الحقيقة
جميع المسؤولين على جميع المستويات

وكان علينا أن نعود الى التواريخ وقلب
صفحاته

من عمق التاريخ

في القديم كانوا يسمونها « حرية الكر » (ماو -
داو) ، فهي صدم حة عند الحصراء ، سحارها
المرمرية وشمسها الذهبية ، العبة بمواردها ،
الحصنة بأرضها ، الواحدة بالأمل والقوة الكامنة
هكذا كانت تايوان في نظر سكانها الأقدمين
حكايات الكر الموعود احتدت الكثرين على
مدى التاريخ كان القراصنة والمطاردون والمقيون
والمغامرون والتجار والمرارعون والصيادون جميعا
يبرون من الشواطئ المردحة في الصين الكبرى
تجدهم معاطية قوس قرح

ووجد الصينيون أن الحصاروات والعواكه نمو
سرعة وفيرة في أرض الحرية الحصنة ، بعكس ما
كانت تحم أرضهم الأصلية كما أن نظر الأرض
عامر بالمصادر المعديّة من فحم وحديد وكبريت مما
يشجع على إقامة مجتمع حديد ، وهي عبة بالأحجار
الكرمة من الحاديت الأحمر والأوال والمرحان مما
يعني انجماهم العبة في الصاعات اليدوية
التقليدية

ومع مر السنين تحولت تايوان لتصبح مركزا
للتبادل التجاري الحر محفوظ ملاحية مع الصين
واليابان وهونغ كونج ، أبرر ما نقله منها الصانع
المهرة بعيدا من عيون الحمارك

ثم تنامت العارات على تايوان وحاء اليابانيون
والهولنديون الذين راحوا يملكون الصييين كيف

حلال هونغ كونج الى ١١٤٠٠ مليون دولار
أمريكي والمثير أن الميران التجاري الحارحي الذي
كان يحقق عام ١٩٧٦ فائضا يبلغ ٥٦٧ مليون
دولار ، قد حقق عام ١٩٨٦ فائضا يقدر بحوالي ١٦
ألف مليون دولار أمريكي ، حتى أن تايوان أصبحت
هي الدولة الثانية في العالم - بعد اليابان - التي تحقق
فائضا يتزايد باستمرار في ميرانها التجاري ، كما أن
الاحتياطي النقدي المتراكم في حراتها قد تجاوز ٣٠
مليار دولار

ولتأكيد صورة هذا الازدهار تقول الأرقام أن
إجمالي الانتاج القومي تجاوز ٦٠ مليون دولار عام
١٩٨٥ مع معدل نمو تجاوز ١٠ / سويا أما
دخل الفرد السوي الذي لم يكن يتجاوز ١٠٠ دولار
في عام ١٩٥٢ فقد بلغ في نهاية عام ١٩٨٦ حوالي
٣٧٥١ دولارا يرتفع مع نهاية هذا العام الى ٥٠٠٠
دولار ، وهي إحدى أعلى السب في العالم ، وتكاد
تصعب تايوان في مصاف الدول المتقدمة ، وإن كانت لا
تصل الى مستويات اليابان التي تتجاوز ١٥ ألف
دولار للفرد سويا

قال لنا الدكتور يومس شو وزير الاعلام « إن
الحكومة تحت الآن - مع وجود الفائض النقدي
الصخم - تشكيل مؤسسة لأقراض الدول السامية
بموائد مسطرة وعلى أحال طويلة ، كما يجري بحث
اقتراح منح عيص ١٠ مليارات دولار لتقديم للدول
السامية كمسح لا ترد

وقد حقق العام الماضي ازدهارا اقتصاديا وسياسا
كيرا وأدى ذلك إلى أن سمحت الحكومة سد
شهر يوليو الماضي للأهالي باستبدال أي كمية من
العملة المحلية إلى أي عملات صعبة وأن يودعها في
أي بنك دون قيود ، بالإضافة إلى السماح لأي
شخص أن يحمل سويا في حدود خمسة ملايين من
الدولارات الأمريكية أو ما يعادلها إلى الخارج لأي
غرض »

ولكن هناك شيئا يجب ألا نسا
فالواقع أن هذه الصورة المدهشة التي تعيشها
تايوان ، ما كان يمكن أن تتحقق إلا من خلال تدفق
الأموال الأمريكية التي إهالت عليها - وما تزال - في
صورة مساعدات ومعونات واستثمارات ورو - وس
أموال وتقنية متقدمة ، هدفها الرئيسي أن تدو تايوان

كل بنات تايوان
 يشاركن في
 الكرنفالات .. حتى
 فتيات القبائل
 التقليدية من الجنس
 الاصيل الذي
 يعيش في الجبال
 يقدمن رقصة « الباي
 باي » (الصورة
 العليا) . أما فتيات
 الجيل الجديد من
 طالبات الجامعات
 المجندات فيسرن في
 عطاوات عسكرية
 رئيسية (في
 الوسط) . بينما
 الزهرات الصغيرات
 من الجيل الجديد
 يتسلهن بالزهور
 والمراوح والبالونات
 في تشكيلات غاية في
 الابداع (أسفل) .
 وعلى الصفحة
 للمقابلة ثلاثة مشاهد
 من المهرجان تشترك
 فيها الحفصافير
 الصغيرة والفتيات
 الراقصات .. مع
 فرقة الصغار مع
 كنف ابيه .





الحاليين الذين يعرفون بالتايوانيين .
ومع انسحاب اليابانيين والأمريكان والمولنديين أصبحت تايوان من ممتلكات كوكسجيا ، الذي حكمها باقتدار كبير ، ونمستك بالتقاليد والفنون والثقافة التقليدية الصينية . ولكن فترة حكمه لم تدم أكثر من سنة واحدة إذ مات في سن الثامنة والثلاثين ، واعتبره أهل تايوان بطلا قوميا برغم أن الجزيرة سقطت - لضغط أبنائه - في يد المانشو بعد أربعة وعشرين عاما .

وإذا كان كوكسجيا يعتبر بطلا قوميا عند أهل تايوان ، فثمة رجل يعتبرونه بطلا قوميا آخر ، وصانعا لتاريخهم الحديث . إنه « شيانج كاي شيك » ، الذي أقاموا له نصبا تذكاريًا ونمسا لا ضحاها ، ولا يمكن لأي زائر لتايبيه إلا أن يضعه في برنامجه ويدور في متحفه الذي يحكي تاريخه . . .
بسالقلم والريشة والصورة . . . والتسجيل السينمائي . . .

المتحف والنصب التذكاري

اخترقتنا بين البوابة الرئيسية وقاعة النصب التذكاري عمرا طوله ٣٨٠٠ متر ، لنصعد ٨٩ درجة تصل بنا إلى مدخل القاعة التي يبلغ ارتفاعها ٧٠ مترا ، يعلوها برج ذو إفريزين دائريين مضلعين من القرميد الأزرق . يتوسط القاعة تمثال برونزي ضخم للرئيس شيانج كاي شيك ارتفاعه أكثر من ستة أمتار وزنته ٢٥ طنا . وعلى الجانبين المحيطين بالجدار وراء التمثال نقش مكتوب بلخص فلسفته في الحياة : « أن تعيش هو أن تخلق حياة طيبة لكل الناس » . . .

ونتقل إلى قاعات المتحف الخاص الذي يحكي تاريخ الرئيس شيانج . ومن خلال الصور والرسوم والملفات الخاصة والناشئين والوثائق وصفحات الصحف والمجلات ويغصها الأمريكية تتابع تفاصيل الأحداث في حياته التي وزعت على إحدى عشرة قاعة لكل منها عنوان موضوعي :

الانحدار من عائلة ذات أصل ونسب ، طالب نجيب وتأثر بطل ، الالتحاق بالأكاديمية العسكرية والانضمام للثورة الوطنية ، البعثات الشرقية ، البعث الشمالية والوحدة الوطنية ، حمله لواء مناهضة الشيوعية ، الخلاص الوطني والمقاومة ضد الغزاة ،

يختلطون الدخان مع الأفق ليدخنوه . واستطاعت أسبانيا أن تضع أقدامها على أرض الجزيرة حيث أقامت قواعد لها في الشمال كانت موضع هجمات المولنديين الذين تمكنوا من طردهم عام ١٤٦٢ . وفي نفس العام غزا « المانشو » القادمون من منشوريا جميع أنحاء الصين بما في ذلك تايوان ، وامتد حكمهم من عام ١٦٤٤ حتى عام ١٩١١ ، وهو حكم آخر عصور الأباطرة في الصين .

في وسط تلك الفترة جرت أحداث أعادت تايوان إلى سجلات التاريخ . . . فقبل أن تصل جيوش المانشو إلى بكين وجه آخر أباطرة « منج » ، قائد من رجال تايوان البحريين اسمه « شنج شي لونج » ليقود بقايا جيوشه . وعندما شنق الأميراطور نفسه بعد هزيمته ، قرر القائد « شنج » أن يحتفظ بالقوات التي بين يديه ، ثم تزوج فتاة يابانية أنجبت له ولدا أسماه « شنج شيونج » ، وحل الابن لواء أباطرة منج بعد رحيل أبيه وعرف باسم « كوكسجيا » .

البطل القومي

على رأس جيش قوامه مائة ألف رجل وأسطول يضم ثلاثة آلاف سفينة شراعية واصل « كوكسجيا » الحرب ضد المانشو مدة اثنتي عشرة سنة من عام ١٦٤٦ ، واستطاع أن يستعيد العاصمة الجنوبية « نانكينج » ، غير أن جيوش المانشو عادت فأرغمته على التراجع إلى سواحل تايوان ، حيث قطع نفس الطريق الذي قطعه بعده ثلاثمائة عام ، القائد العسكري الجمهوري « شيانج كاي شيك » .

في تايوان واجه كوكسجيا المستعمرين المولنديين الذين اعتبروه قرصانا استهاتوا به . وفي عام ١٦٦١ أبحر كوكسجيا إلى الشاطئ على رأس ٣٠ ألف مقاتل في أسطول شراحي كبير ، وأرغم ثلاثمائة ومقيم ٢٢٠٠ جندي هولندي على الانسحاب والتحصن في ثلاثة حصون ساحلية ، وتواصل الحصار مدة عامين استطاع كوكسجيا بعدها الاستيلاء على قلعة زيلندا ، وسمح للقائد الهولندي ومن بقي حيا من رجاله بمغادرة الجزيرة . ومنذ تلك اللحظة بدأت الهجرة الصينية الكبرى عندما تبع كوكسجيا الكثير من الصينيين للاستييطان في تايوان وهم الذين يشكلون الآن الغالبية العظمى للسكان

التسجيل .

فقد سار الجنرال على درب « صن يات سن » الذي أقام حزب « الكومنتانج » (جمعية تجديد الصين) ورفع علم الثورة على فساد المانشو مما أدى إلى سقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية برئاسة الدكتور صن ، وعندما تولى شيانج كاي شيك القيادة بعد موته عمل على إعادة البناء الوطني ومواجهة المعتدين اليابانيين الذين احتلوا منشوريا وأجزاء من الصين وتايوان . وواصل الجنرال قيادة الشعب الصيني في مواجهة الغزو الياباني حتى انتهت الحرب العظمى الثانية باستسلام اليابان واستعادة الأراضي المحتلة . وبعد وضع الدستور القائم على أساس مبادئ الشعب الثلاثة للدكتور صن ، انتخب الجنرال أول رئيس دستوري في التاريخ الصيني عام ١٩٤٥ ، وزار تايوان للإعلان عن انتهاء الحكم الياباني . غير أن الحزب الشيوعي الصيني كان قد بدأ حركته لضرب حزب الكومنتانج وبدأ الزحف للاستيلاء على السلطة . ورغم المقاومة الشديدة لم يجد الجنرال إلا أن يتنقل بحكومة جمهورية الصين الوطنية عام ١٩٤٥ إلى مقاطعة تايوان لمواصلة البناء الوطني من العاصمة الجديدة تايبيه . وانتقل مع حكومة الكومنتانج إلى تايوان ما يزيد على مليونين من المؤيدين من بينهم الجنود الذين اشتركوا في الحرب الطويلة ضد اليابانيين وبعد ذلك ضد الشيوعيين . كانت تايوان في ذلك الوقت متخلفة تماما بعد أن استغلها اليابانيون مدة خمسين سنة باعتبارها مصدرا لتزويدهم بالمحاصيل الزراعية . وبدأت حكومة الجنرال عملية إعادة البناء بمساعدة الصينيين التايوانيين لتحويل المقاطعة المتخلفة إلى طراز للمجتمع الصيني الحديث الذي تنبأ به الدكتور صن يات سن . ولأول مرة أتاحت لجمهورية الصين الوطنية الفرصة لتنفيذ مبادئ الشعب الثلاثة دون التدخل العسكري . وكان أساس السياسات الاقتصادية للمبادئ الثلاثة هو الوفاء بالحاجات الست الأساسية للشعب : الغذاء ، والملبس ، والاسكان ، والاتصالات ، والتعليم ، والرفاهية والاستجمام . ومن خلال تنفيذ هذه السياسات شهدت تايوان الازدهار الذي حقق ما يشبه المعجزات في عهد حكومة الكومنتانج . . .

الوقوف في وجه الانحياز الشيوعي ، الاندماج من أجل الاحياء الوطني ، الاسهام في العلاقات الدولية ، الحزن المروع لفقد البطل القومي . . .

قصة الثورة

في سجل التاريخ الحديث المعروض في قاعات متحف شيانج كاي شيك عرض لكل ما يتفق مع الصورة المضيئة لبطل قومي . ولكن هناك أشياء أخرى تم التجاوز عنها ولم يأت ذكرها أو تصويرها كما شهدها تاريخ الثورة الصينية ، وكما ذكرها المراجع والكتب المعاصرة التي تحكي قصة هذه الثورة وأحداثها . . .

ونعود مرة أخرى لنقلب صفحات التاريخ . . . تحت حكم « المانشو » ، رزحت الصين تحت نير دكتاتورية استبدادية وظيفيان إقطاعي لا يعمل حسابا لمئات الملايين من الفلاحين الذين كانوا يمارسون حياة شاقة بالغة القسوة . وإذا كانت أسرة المانشو - وبخاصة في القرن الثامن عشر - قد أغلقت أسوارها على نفسها في وجه التجار الأوروبيين الذين حاولوا دون جدوى اختراق أبواب الصين ، إلا أن الوضع انقلب تماما لسوء حظ الصين مع بداية القرن ١٩م . كانت الدول الأوروبية في ذلك الوقت تعيش ثورتها الصناعية الكبرى ، مزجة المجتمع الزراعي القديم ، ومصوبة عيونها نحو الصين وجاراتها الآسيوية ، على أمل أن تستولي على خاماتها لتشتغل مصانعها ، وعلى منتجاتها الزراعية لتأمين الطعام لشعبها ، بالإضافة إلى إخضاعها لسيطرتها لتكون ميدانا لأسواقها .

وقع الصدام المقترح في هذا الانحياز ضمن سلسلة ضربات موجهة ضد الكرامة الوطنية للصين . ففي سنة ١٨٤٢ شنت بريطانيا حرب الأفيون ضد الصين . وأتيحت الفرصة للاستعمار بكل أشكاله ودوله للانقضاض وإنشاز غنائه لاقتطاع ما يريد من جسد الصين . وكان لابد من اليقظة وقيام ثورة كاسحة سواء ضد آخر حكام المانشو الضعفاء المتخاذلين أو ضد الغزاة المستعمرين . ولكن الخلافات والأيديولوجيات والخيانات شقت صفوف الثوار حتى انتهى الأمر إلى حرب أهلية داخل الصين نفسها . . . حيث لعب شيانج كاي شيك دورا يستحق

عندما تحترق
 البوابة الرئيسية الى
 ساحة الشعب
 التذكاري الضخم
 للرئيس شيانغ كاي
 شيك تلت بطرق
 محملة المدح
 شكله التقليدي ،
 وأعمامه المسقفة
 بالقرميد الأزرق
 بين القاعة المقوشة
 المرحفة بالدهكور
 البار في سقمها
 سوسطها تمثال
 سوسري ضخم
 لشيانغ شيك
 ارتفاعه أكثر من ستة
 أمتار ولا تكاد
 تتحرك السحب
 التذكاري حتى
 تتحلل في حصى
 الطرق المحيطة التي
 تبدو ساحات حية
 كلها حركة دائمة
 راحة بالحياة



باي باي . . تاويوان !

الجميلة ولو لم تعد حضواء . . ما تزال آية في الجمال والأجبار .

وهل أروع من جمال ثقافي زاخر بكل الألوان الفنية والرقص والغناء والموسيقى والتمثيل والأوبرا والنحت والخط والأبداع في أعمال الحرف واليشب . والسيراميك والزخرفة والرسم والتلوين ؟

وإذا كنا قد شهدنا في الاحتفال الكرنفالي بالميد الوطني ألوانا رائعة من المرح والموسيقى والغناء والاستعراضات ، إلا أن ذلك قليل من كثير مما تزخر به أيام تاويوان من احتفالات ومهرجانات وأعياد وعروض شاملة لكل الفنون ، تمشيا مع المبادئ الثلاثة التي أعلنها الدكتور صن الذي دعا إلى تطوير هوية وطنية وحكم ديمقراطي والاحتمام برفاهة الشعب ، وهي أفكار وتعاليم ما تزال تؤثر تأثيرا كبيرا على الشعب الصيني في تاويوان الذي ما يزال يؤمن بأنها مستوحاة من المبادئ الكونفوشيوسية التي تركز على أهمية العلاقات الأخلاقية بين جميع الناس وأهمية كرامة الإنسان ، وهدفها الخير والحرية والمساواة والاخوة على أساس المعتقدات الصينية القديمة ، كما أنها تؤمن بأن التسليية والترفيه هي إحدى الحاجات الرئيسية لحياة الشعوب . . .

من هنا كانت الأعياد والمهرجانات أن أبرز معالم الحياة في تاويوان . وهي لا ترتبط فقط بالمناسبات الوطنية ولكن بالمناسبات الدينية والتقليدية منها بوجه خاص .

الاحتفالات المحلية الدينية التي تجرى للالهة الحامية للشعب في تاويوان تسمى « باي باي » وتتميز بمهرجانات زاهرة بالألوان بهار ، والسهر والمرح والولائم ليلا ، حيث تبدأ دائما بتقديم الطعام والشراب على الموائد لأرواح الأسلاف والآلهة التي تتناولها أولا حتى تشبع بطبيعتها الروحية التي لا تخلى بالماديات ، تاركة للمحتفلين بقايا الطعام ليتناولوه ، وهو بالطبع كل ما وضع على المائدة من ثمة دون أن ينقص منها شيء مادي .

تقام أبرز الأعياد الدينية في ذكرى ميلاد كونفوشيوس معلم الصين العظيم منذ ٢٥٠٠ سنة ، حيث يحتفل به كل الصينيين تحت اسم « عيد

المعلم » . تبدأ الاحتفالات مع مطلع الفجر في المعابد الكونفوشيوسية بجميع أنحاء تاويوان ، وتتضمن عزف الموسيقى على الآلات الموسيقية القديمة ، والرقصات الطقوسية التقليدية ، وعرضها الواحدة تلو الأخرى من الفنون المستوحاة من الطقوس الكونفوشيوسية .

المعلم الفيلسوف حرق في جميع أنحاء العالم بتعاليمه الأخلاقية . فالأخلاق مطلبه وهم الأول ، وعلاج المجتمع لا يتأتى إلا بتجديد أخلاقه قائم على تنظيم حياة الأسرة على أساس صالح قويم . والإنسان الكامل الأسى في رأيه يتمتع بفضائل ثلاث هي الذكاء والشجاعة وحب الخير . والقاعدة الأساسية التي تقوم عليها أخلاق الرجل الأهل هي المعطف القباض على الناس جميعا ، وألا يفضيه أن يسمو غيره من الناس ، وهو يجمع الصفات الخلقية لهذا الرجل الأهل في عبارة تبدأ بها الاحتفالات الكونفوشيوسية في جميع أنحاء تاويوان يرددوها المحتفلون جميعا : « يضع الرجل الأهل نصب عينيه تسعة أمور : فأما من حيث عيناه فهو يحرص على أن يرى بوضوح ، وأما من حيث وجهه فهو يحرص على أن يكون بشوشا ظريفا ، وأما من حيث سلوكه فهو يحرص على أن يكون وقورا ، وفي حديثه يحرص على أن يكون مخلصا ، وفي تصريف شئون عمله يحرص على أن يبدل فيه عنايته وأن يمتح الاحترام فيمن معه ، وفي الأمور التي يشك فيها يحرص على أن يسأل غيره من الناس ، وإذا غضب فكر فيما قد يجرح عليه غضبه من الصعاب ، وإذا لاح له المكاسب فكر في العدالة والاستقامة » .

إيماننا بتعاليم كونفوشيوس وتمجيدها له يستمر الاحتفال بمولده منذ الفجر وطوال اليوم . . ويشارك الشباب والطلبة صغارا وكبارا في تقديم رقصات تقليدية وموسيقية تعبيراً عن احترامهم لمعلم الصين الأول .

الاحتفالات القمرية

احتفال آخر له قيمته هو الاحتفال بأول السنة القمرية . في ذلك الوقت يتوقف كل شيء .

فالاستعدادات قائمة في كل بيت في الليلة الأخيرة من السنة المنتهية ، وقبلها بأسبوع يكون إله الطبخ وإله

تبادل الطرود الحمراء المسماة (هونج باو) وهي معلقة على هدايا نقدية للأصدقاء تهبان حسب تحمينات الخط التي ترفق في أوراق صغيرة ولكن أسوأ ما يمكن أن يقع فيه أحدهم هو أن يصله رقم ٤ فهو شؤم على صاحبه لأنه يماثل كلمة الموت وقد لاحظنا بالمنااسبة أن رقم ١٣ ملهى نمانا في طوابق الفنادق وفي كل مكان لأهم يتشاءمون منه أيضا !

مهرجان قوارب التنين نوع آخر من الاحتمالات الشمسية في تاويوان ، يجرى في اليوم الخامس من الشهر القمري الخامس في ذلك اليوم تحرى سباقات القوارب المرحرة بألوان التنين في الأبار التي تحترق مختلف المدن في تاويوان ويقول لنا مراقبنا « ان هذا الاحتمال يقام حربيا على تقليد قديم يرتبط بأسطورة شبيهة تحكى أن طالبا موهوبا اسمه « شويوان » في القرن الثالث قبل الميلاد لم يحط بتكريم الامبراطور لخواهه ، فاضطرب الى الهر حيث أفرق صسه وأسرع الناس الى قواربهم يحاولون إنقاذه واستشاله ولكن عبثا ، إذ كان قد احتسى في أحشاق المياه وظل الناس كل سنة يستقلون القوارب ويتساقسون في الأبار في ذكرى تلك المناسبة وذات يوم ظهر « شويوان » في الحلم لأحد الملاحين يستحذيه طعامه من معداه ظل الناس يلقون حبات الأرز في الهر من أجله وبعد فترة ظهر « شو » في حلم آخر وهو يقول ان الأسماك تلتهم الأرز الذي يلقى إليه ، ويطلب أن يلقى الأرز في لعافات من أوراق شجر الخيزران مربوطة بحبوط متينة وهكذا بدأ الناس يصنعون لعافات الأرز التي يسمونها « تروبع ترى » ويلقونها في الأبار قربانا لروحه في مثل ذلك الوقت من كل عام ، حيث تحصى في الاحتمالات سباقات روارق التنين الهري »

أوبرا تايبية

الحميلة التي لم تعد هذراء رفضت أن تعود الى أيام الفقر والشقاء والظلام ، والت على نفسها إلا أن تمارس حياة الترف والرفاهية والرحارف والرينات ، وتميش الليالي المشرعة بالأصواء والألوان ولم يعد ييمها أكثر من أن تبدو متألقة كهانية ، مترفة كحيلة ترتشف الرحيق من كل ما تحط

الثروة قد صعدا لتقديم تقريرهما الى إله السماء حول ما يجرى في البيوت وحلال الأيام السبعة يكون كل إنسان مشغولا بتنظيف البيت وإعادة صباغته وتلوينه وبإنجار كل المشتريات والأطعمة المطلوبة من السوق ، وترين العرف بالأرهار والورود ، وتعلق صور الأله الحارس على مداحل الأبواب

وعند هروب شمس الليلة الأخيرة تجتمع العائلة كلها داخل البيت ، بينما تكون جميع الأبواب قد حتمت بالشمع والورق الأحمر لمنع ثروة العائلة من الهروب وتبدأ المأدبة الكبيرة التي تكون قد أعدت حصيصا لهذه المناسبة وقبل تناول الطعام يحى كبير العائلة رأسه ويضعه الآخرون لتقديم تحية التكريم للأسلاف وعندما يتصف الليل تحرى إزالة الاحتام من الأبواب لاستقبال الأسال والتسميات الطيبة لعام الجديد ثم تطلق الألعاب النارية لتعطي السماء وتطل مستمرة حتى الفجر ذلك هو اليوم الوحيد من السنة الذي تحلو فيه جميع الشوارع من الناس لوحودهم داخل البيوت ، والذي ينتهى عادة بحلول رب العائلة لتلقى نمانا جميع أفرادها ، ويتلقى الصغار منه هدايا العيد

وثمة عيد آخر كانت تتمثل فيه الأعمال لأسوع أو أسويوس ، مناسبة اكتمال القمر في أول شهر السنة ، حيث يجرى مهرجان العوايس الملونة التي تزين بها الشوارع والبيوت والناس الحكومية والأهلية ولكن عطلة هذا الاحتمال تقلصت الآن إلى يومين أو ثلاثة وإن ظلت القساويل والعوايس معلقة في كل مكان

الاحتفالات والأساطير

لا يكاد يحلو أي احتمال أو مهرجان في تاويوان من علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع أسطورة تروى ومهرجان وسط الحريف يكاد يكون صاحب أكبر كمية من الأساطير الرومانسية الصينية التي تروى من القمر والطعام الرئيسي الذي تقدم خلاله « كيمكة القمر » متبينة الأشكال بعضها حلو وبعضها مالح ولكنها محشوة بالفواكه والهور والسدق والتدوق من كل صنف منها إجبارى على الجميع !

وفي احتمالات الربيع تعلق جميع المحلات في تاويوان مدة أسبوع ، ويتمثل المهرجان التقليدي في



الأوسرا هي فن
 الحصة الذي يربط
 القديم والحديث في
 تأليه .. وليس أشد
 جاذبية من مشهد
 بطة أوبرا ، المحظية
 المحسورة ، وهي
 تقدم للجمهور كل
 ما يرضي المشاهير
 التقليدية للصبيين
 المحبين للألوان
 والأصوات والتنميط
 والرقص
 والاكروبات
 (الصفة المغالاة) .
 أما الصور الثلاث
 اليمنى .. فبالعالم
 لسور الصين العظيم
 كما يقدم في « نافذة
 عمل الصين »
 والوسطى لرقصة
 فولكلورية عمل
 مسرح المهرجانات ،
 والسفلى لأحد
 مشاهد مركب
 الزهور .



قمم الابداع الفني

يقولون في تايبيه ان تايوان ستبقى حصنا للثقافة والقيم الصينية وأنماط الحياة التقليدية . ومتحفها الذي أقيم على النمط الهندسي لقصور عصر سونج ، بحديقته الواسعة ذات الأسوار التي تحيط به يضم مجموعة عالمية ضخمة من قمم الابداع الصيني من بين ما شهدناه من هذه القمم أثناء زيارتنا للمتحف الوطني ما شرحت لنا تفاصيله ومعاله مرافقتنا عواطف اللؤلؤ .

يضم المتحف أكثر من ٧٠٠ ألف تحفة تحكي ماضي الصين ، منها الأواني الفخارية المسجلة من عصر ما قبل التاريخ ، والبرونز القديم ، والأنسجة المزدانة بالرسوم والصور ، واللوحات الزيتية من العصور الوسطى ، والتماثيل المثيرة ، والقطع الخزفية الحساسة ، والبورسلين واليشب الأخضر والمجوهرات الرائعة ، وبالتقريب أبرز إنتاج إنساني شرقي يمكن تصوره من مختلف فترات التاريخ ونحف الخزف الصيني والسيلادون تعد بالآلاف في متحف تايبيه ، الذي جمع فيه أبرز القطع التي نقلتها إليه حكومة الصين الوطنية وهي تستل من الصين الأم الى تايوان . وكل هذه التحف مزخرفة وملونة ذات لمعان لم ينطفىء برغم مرور مئات السنين . وأروع المروض منها تماثيل الأباطرة والأميرات والآلهة الى جانب تماثيل كونفوشيوس وبوذا والمقدسين الآخرين ، بالإضافة إلى الأواني والمزهريات ذات النقوش البديعة التي لم تتغير ألوانها . وكل هذه القطع الثمينة لا تقدر بمال حتى أن إحدى قطع البورسلين المهربة بيعت في مزاد أقيم في لندن بمائة ألف جنيه استرليني !

هكذا تبهنا معالم الثقافة الصينية في المتحف الوطني في تايبيه وهي ثقافة تربط الصين الأم وتايوان .. على طريق الوحدة .

حلم الوحدة

تايوان مجتمع ديناميكي حديث واقتصادي متطور ، يتمتع بالكثير من النشاط والطاقة غير المحدودة والابتكارات الفنية البارزة والصناعات اليدوية الموروثة ، تماماً كما يحافظ على القيم والأخلاقيات التقليدية المرتبطة بتعاليم كونفوشيوس

عليه من ورود وأزهار . وتضوع عطرها لتجذب القلوب وتدير رءوس العاشقين ...
وليس أشد حاذية من الأوبرا بموسيقاها وألوانها وألحانها ما يستطيع أن يحقق لليالها كل ذلك ...
ولكن الأوبرا الصينية هي موضع الاهتمام الذي يستحق المتابعة ، وهو ما فعلناه عندما حضرنا عرضاً في دار الأوبرا في تايبيه ، حيث تغلق الأبواب ولا يسمح بالدخول بعد بدء العرض ... ورحنا نتابع في انبهار أحداث قصة « المحظية المخمورة » .
الأوبرا كفن من أجل الفنون تخرج دائماً بالموسيقا والغناء . وليس مثل الأوبرا الصينية ما يرضي المشاهير التقليدية للصينيين المحبين للالوان والأصوات والتمثيل والرقص والأكروبيات . وإذا كانت الأوبرا الصينية قد ولدت في بكين عام ١٧٩٠ عندما دعا الامبراطور « تشيان لونج » الفنانين من جميع أنحاء الصين لعرض فنونهم في احتفالات القصر ، إلا أنه حرم في نفس الوقت على النساء أن يشاركن في التمثيل ، فكان الرجال يقومون بأدوار النساء ، وقد مثلوها تمثيلاً بلغ من إتقانه أن النساء حين سمع هن في أيامنا هذه بالتمثيل من جديد ، كان لا بد هن أن يملن جاهدات على تقليد مقلدين حتى يضمن النجاح . ومع هذا فقد استمر التمثيل الذي يمكن تسميته الأوبرالي ، وإن كان بعيداً تماماً عما يقدم في الأوبرا الغربية ، وكانت العروض تقدم في الحانات ونوادي الشاي . وكان لا بد للممثلين أن يتقنوا الرقص والألعاب البهلوانية حتى يمكن لهم أن يجتذبوا انتباه النظارة الذين كانوا أثناء مشاهدة العرض يشربون ويأكلون ويتحدثون ويساومون الباحة الذين يقدمسون لهم الدخان والشاي والمطربات . تلك الصورة ليست بعيدة عما شهدناه خلال العرض فقد كان المشاهدون مشغولين بشراء المطربات والمأكولات من « نادل البوفيه » وتبادل الحديث الذي يرتفع أحياناً دون اعتبار لما يجري . ولم يكن النظارة يتبهنون إلا حين تستلفت أنظارهم قطعة مثيرة جميلة أو عالية الصوت ، مما جعل الممثلين يلجأون الى الصراخ بأعلى أصواتهم أثناء الأداء لكي يسمعهم المشاهدون . وكانوا في أغلب الأحيان يلبسون أقمعة على وجوههم حتى يسهل على النظارة فهم أدوارهم .. !

خطاب له بمناسبة العيد الوطني . قبل وفاته التي حدثت في يناير الماضي : « إن حزب الكومنتانج الذي تحمل أعباء تمييز طريق تقدم أمتنا التاريخي ، يأمل في التمجيد بحلول النصر وإعادة توحيد الصين تحت المبادئ الشعبية الثلاثة . ومن خلال ذلك سوف ترفع قريبا علمنا الوطني ، الرمز الخالد للحرية والعدل والمساواة والغد المشرق الدائم في كل أنحاء الصين . إننا نأمل من كل الصينيين أن يكرسوا أنفسهم للعمل على تحقيق هذه المهمة التاريخية . وبذلك سوف يرفع علمنا الوطني على الوطن الأم في أقرب تاريخ ممكن » . . !

الأمل الذي يراود أحلامهم في تايبيه هو أن تنصر الصين الوطنية ذات العشرين مليون نسمة ، على الصين الشعبية ذات الألف ومائتي مليون نسمة . . وأن تضمها الوحدة معها تحت علمها وفي ظل نظامها . . . ! !

لعل الأمل والحلم في الوحدة هو ما جعلهم يقيمون مدينة قزمية صغيرة أطلق عليها اسم « نافذة على الصين » . . . في منطقة لونغجان ، تضم ٧١ فوذا من أشهر معالم الصين التاريخية في منمنمات مصغرة ، تعبر عن الأساليب المختلفة للحياة في مختلف عصور المجتمع الصيني . وأبرز النماذج المقامة في المدينة النموذجية مختارات من معالم الصين الأم ، بينها سور الصين العظيم وعرش شونج ومعبد السماء في بكين والمدينة المحرمة بما فيها القصر الملكي وقاعة الزواج الإمبراطورية ، ومغارات لونغمان وحدائق سوشو التقليدية والباجودا البوذية في معبد فوكنج وقصر لونج شينج والقصر الصيفي في شتا وقاعة إله السماء في معبد شني ، كل ذلك بالإضافة إلى نماذج من أبرز معالم التقدم في تايوان وحياة المجتمع في كل الصين .

الهدف الرئيسي لإقامة « نافذة على الصين » هو أن يخرسوا في أذهان أبناء الشعب في تايوان التعلق بالصين الأم التي يحملون بضمها وتوحيدها مع الصين التايوانية . . . !

وهو حلم يتصورون أنه يمكن أن يتحقق ذات يوم تمود فيه الجميلة التي لم تعد حذراء . . إلى أحضان الأم الكبرى . . حتى لو تمت الوحدة في عهد أحفاد جيل قادم جديد .

وفي تايبيه يمكن تتبع أصول الثقافة الصينية منذ عهد الإمبراطور الأخضر الذي وحد القبائل في المملكة الوسطى حوالي عام ٢٧٠٠ ق.م . بما يعني امتداد التاريخ المسجل إلى حوالي خمسة آلاف سنة . وأغلب ما مر بالصين من أحداث محفوظ في تايوان . ولم يستطع أي شيء على مدى التاريخ تمزيق وحدة الصين مهما اتسعت أنحائها . فالثقافة وأنماط الحياة وحتى اللغة لم تتغير في كل مناطق الصين مما جعل العلاقات الداخلية وثيقة ثابتة .

وإذا كانت الأيديولوجيات الحديثة قد حضرت خندقا بين الصينيين ، فإن النظام الجمهوري الوطني في تايوان الذي يحكم من تايبيه ، والنظام الجمهوري الشعبي في الصين الذي يحكم من بكين ، كلاهما يقول أنه هو نفسه حكومة كل الصين . وكل من الحكومتين لا يجادل في حقيقة أن تايوان إنما هي إقليم مكمل لأقاليم الصين الكبيرة . فالوطنيون يحكمون وفقا للنظام الرأسمالي والانفتاح الحر ، بينما الشيوعيون يحكمون على الأسس السياسية التي وضعها كارل ماركس ولينين . وكلتا الحكومتين تريدان إعادة توحيد تايوان مع الصين الأم « تحت نظامها » . . !

وبرغم الطريق السياسي المسدود بين النظامين ، فإن أيا منهما لم يطفئ جذوة العادات الصينية الموروثة . وللحقيقة فإن الثقافة الصينية التقليدية أصبحت هي العامل المشترك الذي تركز عليه جهود الصين الوطنية على أمل الوحدة . ويؤكد قادتها بحزم على أنهم أصحاب الحق الشرعي في حكم كل الصين في مواجهة الحقائق السياسية لأهم - كما يقولون - يحكمون تبعا للتقاليد والفلسفات والنواميس الصينية المتوارثة . وتعاليم كونفوشيوس ما تزال تحكم المجتمع في تايوان . وبعد أن تمتعوا بمستوى مريح للحياة والمقاييس والاستقرار السياسي عافوا إلى تدعيم وإحياء الفنون وتطويرها بخطى واسعة في الموسيقى والأوبرا والرقص والمسرح وفنون صناعة السينما الحديثة ، وذلك استمدا لإعادة الروابط الثقافية الكاملة مع الصين الأم حين توحيدهما تايوان . . !

هذا الحلم تبدو ملامحه من خلال ما قاله رئيس جمهورية الصين الوطنية شيانج شنج كو « في آخر



مسجد تايبيه الجامع على الطراز الهندسي الاسلامي

الاسلام في تايوان

قال لنا الامام « تتج فنج » - وهو في نفس الوقت رئيس قسم اللغة العربية في جامعة شنج شي الوطنية - حين التقيناه داخل المسجد الجامع في تايبيه بعد أن انتهت صلاة الجمعة

قدم الاسلام الى الصين خلال حكم الامبراطور تاي تشونج (٦١٧ - ٦٤٩ م) ثاني اباطرة أسرة تانج . ونزل بالير الصيني عدد كبير من المسلمين بعد عام ٦٥١ م . واستقر عدد من التجار العرب في بعض الاقاليم الساحلية الجنوبية . وحين قامت جمهورية الصين في عام ١٩١٢ بعد سقوط آخر الأباطرة قدم مسلمون كثيرون إلى تايوان مع جيش « كوكسجا » مهاجرين من أرض الصين الأم ، كما ازداد عدد السكان المسلمين في الجزيرة مع وصول أفواج أخرى من المسلمين في عام ١٩٤٥ من الصين الأم . . . وكان أكبر عدد وصل إلى تايوان بعد ذلك عام ١٩٤٩ مع انسحاب شيانج كاي شيك وحزب الكومنتانج من الصين الشعبية حيث بلغ عدد من لحق بهم من المسلمين حوالي ٢٠ ألف . . . الآن يقرب عدد المسلمين في تايوان كلها من مائة ألف مسلم . . . ويقم في تايبيه العاصمة وحدها ما لا يقل عن ثلاثين ألف مسلم يمارسون شعائرهم الدينية ويؤدون صلواتهم في مساجدها ، وأكبرها مسجد تايبيه الذي أقيم عام ١٩٦٠ وهو أكبر مساجد تايوان ويسمونه المسجد الجامع .

ليس هذا المسجد هو الوحيد في العاصمة فهناك مسجد آخر ، بالإضافة إلى عشرة مساجد أخرى موزعة بين مدن شانججي وتاييوانج وكاوهسيج . في كل هذه المساجد تبدو صورة رائعة للمجتمع الاسلامي المتعاطف المتكامل . ونحن ننق من صندوق الزكاة لرعاية وتشجيع

الصغار والشباب ونقدم جوائز للمسابقين الذين يحفظون القرآن ، كما أن هناك جوائز كبيرة لمن يجتهد الكتاب الكريم .

حين سألتها : هل تنفقون على الفقراء من أموال الزكاة ؟ أجاب في إبتسامة مضية : المسلمون هنا لا يعانون من الفقر ، فالجميع من أصحاب الدخل المرتفع ، وهم قادرون وغير محتاجين ، بل إن عددا منهم من أصحاب الثراء الكبير تمسها مع طيبة الازدهار الاقتصادي السلمي في تايوان ومع هذا فنحن نتلقى أموال الزكاة من اغنياء المسلمين في البلاد كما تصلنا بعض التبرعات من الدول الاسلامية الغنية ومن بينها السعودية مما يزيد قدرتنا على استكمال المنشآت وإقامة المساجد الجديدة وملحقاتها من قاعات لاقاء الدروس الدينية وتحفيظ القرآن والتوسع في الأنشطة الاجتماعية والتقنية . وقد أنشأنا مكتبات تضم الكتب والمراجع الاسلامية ، وإن كنا في أشد الحاجة مع ذلك الى المزيد

وهذا هو ما لستاء بالفعل حين دخلنا قاعة مكتبة مسجد تايبيه . هناك مجموعات كثيرة من الكتب

الاسلامية الحديثة لكنها تفتقر الى وجود الكثير من الكتب التراثية والتفاسير والحديث ، وهو أمر لعله يجد اهتماما من الجامعات الاسلامية والجامع الازهر والكتب في أغلبها بالعربية التي لا يجيدها الا القليل من المسلمين في الصين ، والقليل جدا منها مترجم الى اللغة الصينية .

ومع ذلك فالغريب أن خطبة الجمعة تلقى كلها باللغة العربية الفصحى ثم بعد ذلك يقوم نفس الخطيب بإعادة إلقائها باللغة الصينية .

المسجد الجامع الكبير

المسجد مقام على مساحة كبيرة يتوسط أحد أكبر شوارع تايبيه . وهو مشيد على الطراز الهندسي الاسلامي . ويتقسم المسجد الى قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء . كما يوجد على الجانب الايمن من المدخل قاعة للمؤتمرات والتدوات التي تعقد في المناسبات الاسلامية مثل المولد النبوي الشريف وليلة النصف من شعبان وأيام شهر رمضان المبارك والعديد . وإلى الجانب الايسر يفتح الباب على مكتبة المسجد ، ويجوارها المقر الرئيسي لمشيخة المسلمين حيث نلتقي بفضيلة الشيخ داود دانتج شيخ المسلمين في تايوان . . .

حين نلتقي بالشيخ الذي يقترب من الخامسة والسبعين نعرف أنه من خريجي الازهر حيث أوفد عام ١٩٣٣ ، وتلقى العلم على كبار المشايخ والأئمة . ويقول لنا :

كان الازهر الشريف يستقبل كل عام حوالي مائة مبعوث من الصين حيث يدرسون اللغة العربية والعلوم الاسلامية . وكنت أنا في ذلك الوقت قد أميت تعليمي في مدينة شنغهاي حيث تعلمت اللغة العربية وحفظت القرآن الكريم مع أبناء عائلتي قبل أن أذهب الى القاهرة لاستكمال تعليمي الديني على حساب البعثة القوادية في الازهر الشريف . وحين انتقلت الى تايوان مع إخواني من موفدي الازهر عملنا معا على المشاركة في رعاية أبناء المسلمين .

وحيث بدأت في تايوان مسيرة الازدهار الاقتصادي الكبير عملنا على إقامة المساجد في مختلف المدن وكان أولها هذا المسجد الجامع الكبير في تايبيه . .

المصلون الصييون أثناء أداء الصلاة .

يقول الشيخ الكبير داود دانتج : المسلمون هنا يؤدون شعائهم بمتهى الحرية وهم يصومون رمضان ويقومون مآذب الاططار ويتأهبون أخبار قضايا المسلمين في فلسطين ، وهم يتعاطفون مع أبناء الأرض المحتلة ، كما يهتمون بآباء الحرب بين العراق وايران ويستبهم أن تستمر طوال هذه السنوات بين دولتين مسلمتين جارتين .

ويضيف الشيخ : ان جميع المسلمين في تايوان ملتزمون بأداء فريضة الحج الى مكة . ويؤديها كل مسلم ولو مرة واحدة في حياته . وتتابع الجمعية الاسلامية للحج كل سنة تسهيل مهمة الحجيج الصينيين الذي يبللون قصارى جهدهم لاداء هذه الفريضة طالما أن موقفهم المالي يسمح لهم بذلك .

وتسمع من الفنان التي المسلم شين شيغو الذي أدى الفريضة العام الماضي عن مدى تأثره بمظاهر الايمان والمساواة التي شهدتها حيث يقول : « هل أروع من أن الحجاج الذاهبين الى مكة يصرفون النظر عن مراتبهم وجنسياتهم ومراكزهم الاجتماعية وثرانهم ليتساووا في زي واحد بسيط مع بقية المسلمين ، لا فرق بين غني أو فقير ، كبير أو صغير ، أمير أو مسكين ، الجميع متساوون دون تمييز أو تعصب ، وكل مسلم يرمي اخاه المسلم ، فهل هناك أروع من تلك الانسانية في الاسلام . »

ثلاثة مشاريع أوروبية لغزو الفضاء

بقلم : سعد شعبان

الطموح المصحوب بالارادة والسعي لا بد أن يتجسد في الواقع
بإنجازات ملموسة يستفيد منها أصحابه . هذا هو الدرس الذي تعطينه تجربة
الدول الأوروبية في مضمار غزو الفضاء ، حيث ستمكثها خططها وإنجازاتها -
بالعمل المشترك - من المنافسة مع الدولتين العظميين في هذا المجال .

أقمار صناعية صغيرة الحجم محددة الغرض للأبحاث العلمية ، حملت أيضا نفس الاسم « أوروبا »
ومنذ عام ١٩٧٥ بدأت الجهود الأوروبية كطفل
يجبو إلى جانب ماركو يعدو . وحمل اسم المنظمة إلى
« وكالة الفضاء الأوروبية » (إيسا) على غرار وكالة
الفضاء الأمريكية « ناسا » . وقد تألفت الوكالة
الأوروبية من أربع عشرة دولة أوروبية
وخلال هذه المدة لم تكف بعض هذه الدول عن
عقد اتفاقيات ثنائية مع الاتحاد السوفيتي أو أمريكا ،
على لون من ألوان التعاون المحدود . وكان على قمة
هذا التعاون اشتراك بعض رواد الفضاء الأوروبيين
في بعض الرحلات الفضائية . وتجلى ذلك في إطلاق
« الراقد الفرنسي » باتريك ، في إحدى رحلات المكوك
الأمريكي عام ١٩٨٥ .
لكن كانت باكورة التعاون الفاعل بين منظمتي

عندما بدأ عصر الفضاء عام ١٩٥٧ بإطلاق
أول قمر صناعي سوفيتي احتدمت المنافسة
بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .
وكانت هناك أصوات أوروبية تنادي دائما بأنه
لا بد أن يكون لأوروبا برنامج فضائي مستقل يرفعها
عن مستوى التبعية ، لأي من الدولتين الكبيرتين .
وكانت فرنسا تزعم هذا الاتجاه بحرارة ، وبخاصة
بعد أن تصاعدت المشروعات الأمريكية والسوفيتية
إلى مستوى إطلاق أقمار التجسس وسفن الفضاء ،
والهبوط على القمر ، ثم إرسال سفن الفضاء نحو
الكواكب . فتكونت المنظمة الأوروبية لأبحاث
الفضاء في أوائل الستينيات .
وكانت باكورة خططها تصنيع صاروخين
صغيرين ، أطلق عليهما اسمين هما : « أوروبا - ١ » ،
ثم « أوروبا - ٢ » . وقد أطلق الصاروخان في إطلاق

واحد منها مزايا متقدمة عن الأخرى . ولقد منحت فرصة ذهبية لصواروخ اريان عندما وقعت كارتة انفجار مكوك الفضاء الأمريكي تشالينجر في يناير ١٩٨٦ ، فقد حدث توقف لشرايع الفضاء الأمريكية المتعلقة بالمكوك ، وما زال متوقفا لها أن تظل كذلك حتى يونيو ١٩٨٨ ، ولذلك تحولت المنافسة التجارية لإطلاق أقمار صناعية لدول عديدة ، وأصبح لدى المنظمة الأوروبية «إيسا» مئات التماقذات لإطلاق أقمار صناعية لأغراض مختلفة ، حتى بلغت ١٥٠ عقدا ، باعتبارها الوسيلة الوحيدة لرفع الأقمار إلى الفضاء . بل إن وجه العجب هي أن بعض الشركات الأمريكية قد تماقذت مع الوكالة الأوروبية لإطلاق أقمارها .

غير أنه قد حدثت نكسة أصابت مشروع الصاروخ اريان في مايو ١٩٨٦ ، عندما انفج إحدى مراحل ، وكان مخصصا لحمل قمر أمريكي من طراز «انتلسات» ، لذا اضطر الأوروبيون بعد ذلك إلى توقف دام ١٦ شهرا ، ليتداركوا بعض الخلل في التصميم ، حتى عادت إليهم الثقة بعملية الإطلاق الناجحة رقم ١٩ التي تمت في سبتمبر عام ١٩٨٧ .

ثلاثة برامج طموحة

خلال السنوات العشر الأخيرة كانت الأحلام تحوم حول عدد من المشروعات الفضائية ، تفتت عنها قرائع علماء وكالة الفضاء الأوروبية ، بعضها تجاوز الطاقات المالية المتاحة ، فسطح بعيدا عن الامكانيات ، وبعضها كان يمثل ضربا من الخيال يحتاج إلى سنوات من البحوث العلمية لتلليل كثير من الصعاب .

غير أن أوروبا خرجت من مؤتمرها الأخير في نوفمبر ١٩٨٧ متحدة الكلمة ، على وضع أولويات للمضي في ثلاثة برامج محددة ، حتى لا تزداد فجوة التخلف بينها وبين الأمريكيين والسوفيت ، ولكي تكون لها ملامح مميزة في غزو الفضاء . وقد اجتمعت كلمة كل الدول الأوروبية على هذه المشروعات عدا بريطانيا التي امتنعت عن

«ناسا» الأمريكية و«إيسا» الأوروبية مشروعا رائدا ، تمثل في بناء معمل بحوث علمية أوروبي ، أطلق عليه اسم (سياسلاب) ليوضع فوق متن مكوك الفضاء الأمريكي . وفي رحلة ديسمبر عام ١٩٨٣ كان يشغل حجم المكوك الفارغ كله . وكان يدير المعمل في هذا المعمل عدة علماء أحدهم الماء ، وكانوا يمثلون تخصصات في الفلك والكهرباء والمعلوم .

ولقد برهنت هذه المشاركة الأوروبية الأمريكية على أن العقبة الأوروبية قادرة على السير في ركب غزو الفضاء بخطوات فاعلة .

وبدأت شركات أوروبية تستأجر حمولات في مكوك الفضاء الأمريكي لإجراء تجارب صناعية وبيولوجية وعلمية ، لها آثارها على الإنجازات الفضائية .

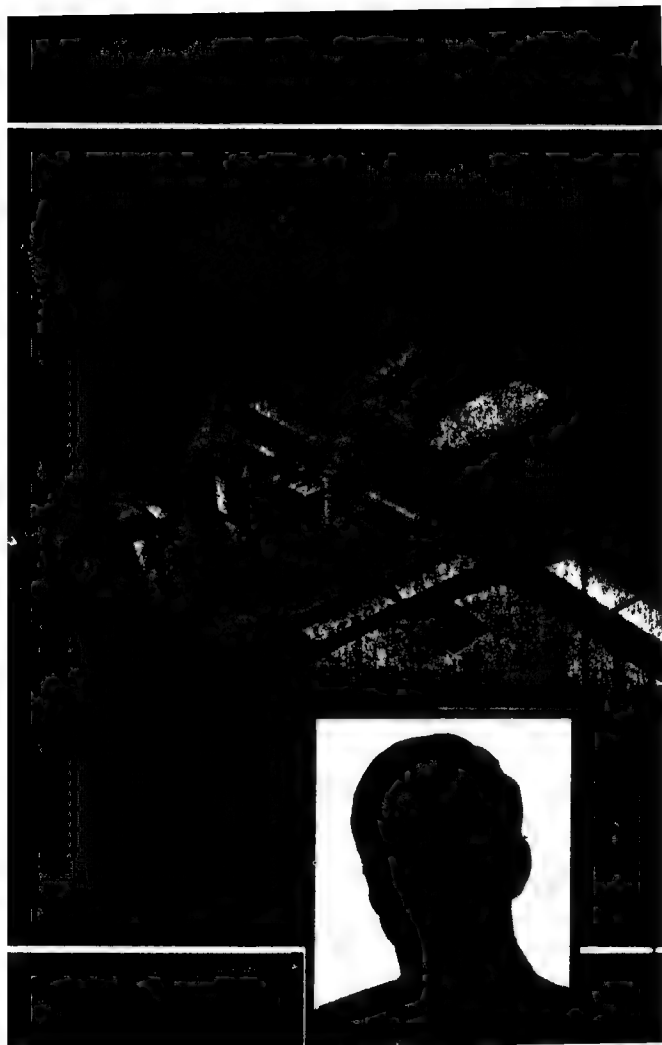
الوليد يتحول إلى عملاق

كانت نقطة البداية في خطط وكالة الفضاء الأوروبية هي صنع صاروخ دفع ، له قدرة على دفع الأقمار الصناعية ، ثم ظهر إلى الوجود الصاروخ «إريان» .

ولقد كان هناك خلاف وجدال حول الاسم ، لقد كان الاقتراح الأول الذي طرحه الفرنسيون هو (ساريان) ، ثم استقر الرأي على أن يصبح (إريان) تشبها بأفة الحب عند الإغريق .

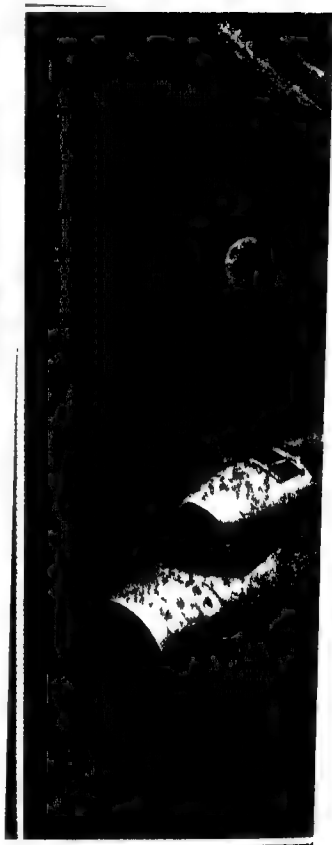
ولقد أثبتت صواريخ اريان جدارتها في دفع عدد كبير من الأقمار الصناعية بدءا من عام ١٩٧٩ ، سواء لدول الوكالة الأوروبية أو لدول أخرى ، وكان إطلاق كل هذه الأقمار يتم من قاعدة الإطلاق الفرنسية «جوايانا» في أمريكا الجنوبية . وقد ساعد وجود هذه القاعدة على بذل قوة أقل في دفع أقمار الاتصالات إلى المدار الثابت فوق خط الاستواء ، وكان ضمن هذه الأقمار القمر الصناعي العربي الأول «عربسات - ١» الذي أطلق في فبراير عام ١٩٨٥ .

وظهر من صواريخ اريان إلى الوجود ثلاثة أجيال متعاقبة هي «إريان - ١» ، «٢» ، «٣» ، وكان لكل





الصاروخ الأوربي إيراني



ويبلغ طوله ١٧,٩ مترا ، والمسافة بين جناحيه ٢١,٢ أمتار ، ويمكنه أن يحمل حمولة قدرها ٢١ طنا ، وهي ثقل من حمولة المكوك الأمريكي كثيرا . وكشأن المكوك الأمريكي الذي أنشئ شكل سفينة الفضاء المعروفة التي كانت تستخدم مرة واحدة، فقد وضع تصميم المكوك الأوروبي «هرمس» لكي يكون كطائرة تروح وتغلو ، مثل حركة مكوك النسيج عدة مرات . ومن المقرر أن تمتد مهامه في الفضاء مددا تتراوح بين أسبوع وشهر . ولكي تتوالى هذه المهام رصدت ميزانية المشروع لبناء طرازين منه ، حتى إذا فرغت مهمة واحدة منها ، وبدأ الفتيون بإجراء عمليات الصيانة عليه ، كان المكوك الآخر جاهزا للعمل . ومن المقرر أن يتمكن كل مكوك من القيام برحلتين كل عام في المرحلة الأولى ، ثم تزداد إلى أربع أو ست رحلات سنويا بعد ذلك .

وسيكون بناء المكوك «هرمس» في القاعدة الفرنسية بتولوز ، بينما يكون الاطلاق من المركز الفضائي «كورو» الموجود في «جوايانا» الفرنسية في أمريكا الجنوبية الذي تقرر إدخال عدة تعديلات وتوسعات عليه ليلائم خطوات المستقبل . وسوف يكون اطلاق «هرمس» بواسطة صاروخ «أريان - ٥» الذي يجري تصميمه ليلائم هذه المهمة ، بينما سيكون هبوطه فوق مدرج طائرات عادي ، طوله يقرب من ثلاثة كيلو مترات ونصف . ولقد اختيرت قاعدة «إستر» الفرنسية لهبوطه في أول الأمر ، حتى يتم إعداد مدرج الهبوط في قاعدة «كورو» ، كما سيكون ممكنا أن يبيت في قاعدة ادواردز الأمريكية المخصصة للمكوك الأمريكي أو في القواعد الأمريكية الأخرى في هونولولو أو دكاو أو جزيرة برمودا .

وقد رصد للمشروع مبلغ ٤,٤ مليارات دولار ، لتحقيق عدة أغراض ، أهمها القيام بتجارب علمية مستقلة عن التجارب الأمريكية ، والعمل منتقلا فضائيا إلى الأجرام الفضائية الصناعية ، كالمحطات المدارية ، سواء الأمريكية أو السوفيتية أو

النصويت ، لأن لها مشروعات أكثر طموحا ، لكنها تركز على الاحتفاظ بأسرارها ، وعدم الكشف عنها .

أما المشروعات الأوروبية الثلاثة فهي :

- ١ - مشروع الصاروخ أريان - ٥
- ٢ - مشروع مكوك الفضاء الأوروبي «هرمس» .
- ٣ - مشروع المحطة المدارية الأوروبية «كولومبوس»

ومن الواضح أن مشروع الصاروخ (أريان - ٥) هو حجر الأساس ، لأنه سيكون تطورا للطرازات القائمة حاليا التي كان آخرها (أريان - ٣) ، حتى يستطيع أن يرفع إلى الفضاء أجساما أكبر من الأقمار الصناعية مثل المكوك الأوروبي «هرمس» ، ولذلك فستكون حمولة (أريان - ٥) (١٧ طنا ، وهذا يعادل ثلاثة أمثال الحمولة التي يرفعها الصاروخ (أريان - ٣) المستخدم حاليا . ولذلك فإن (أريان - ٥) سيصل طوله إلى ٤٢ مترا ، وهو أطول بكثير من (أريان - ٣) ، كما ستكون الصاروخ الجديد من طابق أساسي يسوي ١٢٠ طنا من الهيدروجين والأكسجين السائل ، وجهازين بمحليين كبيرين يعملان بالوقود الجاف بسعة ١٧٠ طنا ، ليمطيا قوة دفع قدرها ٤٥٠ طنا .

وقد كانت هناك خلافات بين الدول الأعضاء في وكالة الفضاء الأوروبية بالنسبة لخطة تمويل الصاروخ (أريان - ٥) ، غير أن هذه الخلافات قد وصلت إلى نهاية ، وسيكون الصاروخ المذكور معدا للانطلاق عام ١٩٩٥ .

المكوك الأوروبي «هرمس»

يجري بناء المكوك الأوروبي «هرمس» ليكون على شكل طائرة مقاتلة ، ذات جناحين مثلثين (دلتا) ، على غرار المكوك الأمريكي ، وإن كان بصغره في الحجم بنسبة ٢٥٪ . ويمكن للمكوك الأوروبي أن يتسع لثلاثة رواد فضاء . ومن المقرر أن يفرغ من بنائه عام ١٩٩٧ .

المعارضة البريطانية لماذا ؟

ليس خريفاً أن تقف بريطانيا وحدها ، في موقف المعارض لهذه المشروعات الفضائية الأوروبية ، فالطموح البريطاني أكبر كثيراً من هذه المشروعات الأوروبية إلى حد وصف بعضهم له بأنه أقرب إلى الخيال ، فلدى بريطانيا مشروع متقدم لطائرة فضائية أطلق عليها اسم « هوتول » .

ويعتمد مشروع « هوتول » على استخدام محرك ذي تصميم جديد ، يسمح للطائرات بالوصول إلى طبقات الجو العليا ، وتجاوزها إلى طبقات الفضاء ، ثم العودة ثانية إلى الأرض والهبوط كأي طائرة عادية ، ومعنى ذلك أن تتحول الطائرة في المستقبل إلى مكوك فضاء ، يمكنها أن تقطع وتهب كل يوم دون حاجة إلى إجراءات صيانة معقدة كما يجري على المكوك الأمريكي حالياً . ولا شك أن العقبة الأساسية أمام تحقيق هذه الفكرة الخيالية ، هي التوصل إلى نوع من الوقود ، يسمح بتحويل الطائرة إلى سفينة فضاء ، لكن دون الاعتماد على أنواع الوقود التقليدية المستخدمة حالياً التي يلزمها مستودعات كبيرة تشغل الجزء الأكبر من جسم مكوك الفضاء وتمثل أيضاً أكبر وزن فيه .

ولقد قامت بحوث كثير من العلماء منذ عدة سنوات على فكرة استخدام الطائرات ، لوقود يعتمد على الأكسجين الذي يستمد من الهواء الذي تطير فيه الطائرة ، وعلى الهيدروجين الذي يمكن أن يضغط سائلاً في مستودعات على متنها . ويتخلى عن الصورة التقليدية لحركات الاحتراق الداخلي المستخدمة حالياً ، فتصبح بذلك الطائرة أخف وزناً ، وأكثر قدرة على بلوغ مدارات في الفضاء ، وبالتالي تصبح قادرة على حمل حمولات أكبر وزناً ، كما سيكون بإمكانها الطيران بسرعات يمكن أن تبلغ بين ٢٠ ، ٣٠ مثلاً لسرعة الصوت . (سرعة الصوت = ١٢٢٤ كيلو متراً في الساعة على سطح الأرض) . ولا شك أن هذه التفسيرات الجذرية في تصميم الطائرات الجوية الفضائية تقف أمامها بعض العقبات

الأوروبية ، وبخاصة المحطة « كولومبوس » التي ستوضع على مدار قرب نهاية هذا القرن ، كما سيمنحه أن يكون شاحنة فضاء تمد المحطات المدارية بالمؤن والعتاد .

المحطة المدارية « كولومبوس »

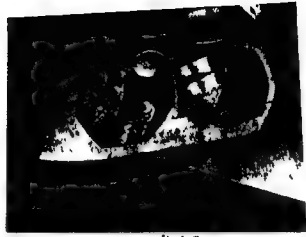
وضعت « وكالة الفضاء الأوروبية » خطة لتصنيع محطة مدارية تتكون من أربع كبسولات مختلفة التصميم والأغراض ، لمواصلة استكشاف الفضاء ، ومداومة إجراء البحوث العلمية اللازمة من هذه الكبسولات ، وسيكون ذلك بواسطة الوسائل الالكترونية المستخدمة ، أو بواسطة رواد الفضاء ، ولذلك أطلق على كل كبسولة اسم مختلف ، وستوضع بها معدات وأجهزة تختلف عن الأخرى .

وتقدر التكلفة الاجالية لهذا المشروع بـ ٣,٩ مليارات دولار ، ومن المقرر أن يفرغ من المراحل كلها قرب عام ١٩٩٨ ، وهو موعد لا يبعد كثيراً عن الموعد المحدد لإطلاق المستعمرة الفضائية الأمريكية . وأكبر الكبسولات الفضائية الأوروبية يمكن أن يتسع لثلاثة رواد فضاء ، وسيتم إطلاقها بواسطة مكوك أمريكي عام ١٩٩٦ تقريباً لتصبح جزءاً من المحطة المدارية الأوروبية .

أما المعمل الثاني فيكون العمل فيه إلكترونياً ، ويمكن أن يتردد عليه رواد فضاء من آن لآخر ، إذ سيمثل العنصر الأساسي في المحطة المدارية الأوروبية ، وسيكون إطلاقه عام ١٩٩٨ بواسطة صاروخ « أريان - ٥ » .

أما الكبسولتان الثالثة والرابعة فستعملان إلكترونياً دون أي تدخل من الإنسان ، وستكون إحداها مخصصة للتحليل على مدار يمر فوق قطبي الأرض ، بدءاً من عام ١٩٩٧ م .

ولضمان استمرار العمل في المحطة المدارية الأوروبية يجري تصميم شاحنة فضائية ، سيطاق عليها اسم (أوربكا - بي) ، وهي عبارة عن معمل صغير لحمل أدوات ومؤن ومعدات يبلغ وزنها أربعة أطنان إلى المحطة المدارية الأوروبية ، وسيمنح تكرار إطلاق هذا المعمل .



المحرك الأوروبي هرس

عن تصميم المحرك الجديد ، واقصر اقتراحهم على أن يعمل الخبراء الأوروبيون تحت إشرافهم المباشر ، لكي يحفظوا صناعة الطائرة هوتول التي تعتبر طائرة جوية فضائية ، وذلك بغية أن تمتد المنظمة الأوروبية ، من المضي في إنتاج المكوك الفضائي « هرس » الذي يعتبر مشابها للمكوك الأمريكي ، بل أصغر منه . ولا شك أن للفكر البريطاني وجهاته ، لأنه سيجعل للأوروبيين نصيب السبق إلى شيء جديد . هو جمع مزايها الطائرة والمكوك في جسم واحد . وسيضع البشرية أمام نوع جديد من المحركات ، سيطور في صناعة النقل الجوي في المستقبل ، وينفتح آفاقا جديدة لما يمكن أن نطلق عليه تمييز « السياحة الفضائية » للركاب العاديين الذين ليس لزاما أن يكونوا روادا للفضاء ، ذوي لياقات بدنية ونفسية عالية . وسيكون له ميزة الاقتراب من واقع الحياة بسرعة نقل الركاب بالطائرات المدنية التي لم تتجاوز سرعاتها حتى الآن ٢٠٢ ماخ (سرعة الصوت) ، إذ سيكون في مقدور « هوتول » أن تقطع المسافة بين لندن وأستراليا خلال ٤٥ دقيقة فقط ، لكن كثيرا من الخبراء الأوروبيين ما زالوا يشككون في الافتراضات البريطانية لاستغلال أكسجين الهواء ، ويعتقدون أن الأفكار البريطانية من « هوتول » لا تصدق أن تكون لونا من ألوان التمصب والجري وراء السراب .

ومن هنا أنت المعارضة البريطانية لشروعات أوروبا الفضائية ، إذ امتنع ممثلوها عن التصويت في مؤتمرهم الأخير في لاهاي . وهكذا لن تمضي حقبة التسعينيات ويبدأ القرن الجديد إلا وستكون حلبة المنافسة في سباق الفضاء قد غصت بأعضاء جدد إلى جانب الروس والأمريكيين .

كما سيكون أيضا في الحلبة أعضاء آخرون ، ما زالوا يقفون على حثبات التخطيط ، وهم الصينيون واليابانيون . ولا شك أن الطفرة التقنية التي سيصنعها برنامج حرب الكواكب الأمريكي ستضع العالم أمام واقع جديد ، سيجعل من الفضاء ساحة مزدهرة بإنجازات جديدة غير الأفعال الصناعية وسفن الفضاء . □

لني أهمها ضرورة تركيب سيالك معنفة جديدة ستطبع الصعود للدرجات الحرارة العالية ، لقوامة لاحتماك بجواء الغلاف الجوي .

فضلا عن أن الوسيلة التقنية لن تيسر بعد لاستخراج الأكسجين من الجو أثناء الطيران غير أنه في عام ١٩٨٢ قد توصل مهندس بريطاني شاب يدعى « آلان بوند » إلى اكتشاف معادلة علمية ، تسمح بفصل أكسجين الهواء من الجو ، لاستخدامه في محركات الطائرات كمعامل لحرق الألدروجين . وقد تبنت بعض الشركات الكبرى البريطانية هذا الاكتشاف ، وعلى الأخص شركة « رولز رويس » الشهيرة بصناعة محركات الطائرات ، وما زال هذا المشروع سرا من الأسرار الصناعية التي تحفظها بريطانيا لنفسها .

واستغلا للنس الفكرة قامت شركة « بريتش إيرويس » عام ١٩٨٤ بصنع نموذج مصغر لطائرة أطلقوا عليها اسم « هوتول » لتعمل بنظرية الشاب « آلان بوند » ، وذلك على فرض أن هذا النموذج تصغير لطائرة ، لو صنعت لسيكون طولها ٦٢ مترا ، ويمكنها أن تصعد إلى سقف ارتفاع لحدود ٢٦ كيلومترا ، بصمولة قدرها ٢٠٠ طن ، ويمكنها أن تطير بسرعة تبلغ خمسة أمثال سرعة الصوت ، ولن تستغرق للروح هذه السرعة بعد الانفلاع غير ثماني دقائق فقط ، وسيكون بإمكانها أيضا الصعود إلى مدارات في الفضاء الخارجي والعودة منها .

ولم تلق الفكرة البريطانية للطائرة « هوتول » ترحيبا في أوساط وكالة الفضاء الأوروبية ، لأن البريطانيين رفضوا الكشف عن الأسرار العلمية لاستخلاص أكسجين الهواء ، كما رفضوا الكشف

وجهاً لوجه



الجنرال دراغونستاي ٥ سليمان الشيخ

■ الصهيونية .. حركة سياسية عنصرية فاشية تاجر بالدين

■ الوطن السوفيتي لجميع شعوبه . لمن يؤمن بدين . ومن لا يؤمن

■ الإنسان الحر لا يسططه الأحرار . وهذا عكس ما يفعل القهاينة

■ الضابط العربي كفاء . والعيب رتبا في صاحب القرار السياسي !

■ الفضل الآني أو الواحد ليس قدرا مستمرا أو دائما

الجنرال دافيد ابراموفتش دراغونسكي من مواليد سنة ١٩١٠ ، في قرية سفياتسك التي تقع على الحدود الروسية بين روسيا الاتحادية وأوكرانيا ، وبيلوروسيا ، تخرج في أكاديمية فرونزه العسكرية سنة ١٩٤١ ، ثم تخرج في أكاديمية الأركان العامة سنة ١٩٤٩ . منح لقب بطل الاتحاد السوفيتي مرتين: الأولى سنة ١٩٤٤ والثانية سنة ١٩٤٥ . حاصل على أوسمة ونياشين وميداليات مهمة من أهل المؤسسات في الاتحاد السوفيتي وخارجه . خاض وشارك وقاد معارك مهمة ضد القوات النازية الألمانية في كثير من جبهات الحرب ، وأصيب بأكثر من جرح فيها . عضو للجنة المركزية للرقابة منذ سنة ١٩٧١ . منح رتبة فريق أول منذ ١٩٧٥ ، عمل مديرا للأكاديمية العسكرية لتدريب الضباط الأجانب منذ سنة ١٩٦٩ إلى سنة ١٩٨٥ التي درس وتخرج فيها عشرات الضباط العرب من أقطار عربية عديدة ، يرأس الآن الجمعية السوفيتية المعادية للصهيونية .

اختلعت الشعوب والقوميات لدينا وضمنهم من يؤمن بالديانة اليهودية ، وحصل التزاوج والتمازج ، وكثيرون لم يعد بينهم الدين أو الأصل السابق ، إن الاتحاد السوفيتي دولة أممية . زوجتي روسية ، وابنتي تزوجت رجلا أوكرانيا ، وعندما بلغت ابنة ابنتي ١٦ سنة من عمرها طلبت أن يكون لها جواز سفر خاص بها ، وجاءت تسألني من أكون ؟ . وإلى أي شعب أنتمي ؟ أجبتها : أنت فتاة جميلة ، أنت سوفيتية .

هناك جمهوريات وقوميات وشعوب عديدة في الاتحاد السوفيتي ، لها مكوناتها الثقافية الخاصة ، لكن لا يوجد مطلقا ما يمنع انتقال هذا الفرد أو ذاك إلى جمهورية أخرى ، كما لا يوجد ما يمنع من أن يعلن الفرد أنه أوكراني مع أنه قد يكون من أبوين داخستانيين ، وكثيرون يعلنون أنهم روس مع أن موطنهم الأصلي قد يكون استونيا أو مولدافيا أو أرمينيا أو تركمانيا ، أو غير ذلك ، وقد يحدث العكس .

لقد خضت معارك كثيرة ، في جبهات عديدة ، وكان يوجد بين ضباطي وجنودي من يتبنون لحواشي ٣٠ قومية من قوميات الاتحاد السوفيتي ، بعضهم يدين بالمسيحية أو الإسلام أو اليهودية ، أو لا يدين

سألت الجنرال الذي مازال يحتفظ بلباقة بدنية تجعله يبدو أقل من عمره الحقيقي بحوالي عشرين سنة :-

• يرحي اسمك بأنك تتبع الديانة اليهودية ، فهل يمكن أن يعادي اليهودي الصهيونية ، وأن يكون حل رأس الجمعية التي تعاديا ؟ !

- إن اليهودية ديانة كبقية الديانات ، أما الصهيونية فهي حركة سياسية تتاجر بالدين أحيانا .

صحيح أنني ولدت لأبوين يهوديين لكنني عشت وناضلت في صفوف الحركة الشيوعية المعادية للنازية والفاشية والصهيونية ، وهانا أتابع نفس الطريق ، بل إنني حل رأس الجمعية المناهضة للصهيونية في بلادي ، إنني مواطن سوفيتي في الدرجة الأولى . إن بلادنا تحتوي حل عشرات القوميات والشعوب ، لكن ولاءنا في الأساس للدولة السوفيتية ، كما أنه توجد أديان عديدة في الاتحاد السوفيتي ، وبعض الأفراد متدينون ، لكن الوطن السوفيتي للجميع ، لمن يؤمن بدين ، ولن لا يؤمن .

لا يوجد عندنا من يسأل عن قوميتك أو دينك ، بل يهمهم أخلاقك وأفعالك وسلوكك ، لقد

● وجهاً لوجه : الجنرال دافيد دراغوفسكي .

تخضره جميع الأطراف ، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية لإعطاء الفلسطينيين حقوقهم .

● وهل يمكن عقد مثل هذا المؤتمر وهل رأس الدولة « الاسرائيلية » حزب الليكود ، أو حتى تجمع المعراخ - العمل - ١٩

- إنني أعتقد بأن قيادة شامير لن تحقق سلاما حقيقيا في المنطقة ، لكن وجود شامير يجب ألا يمنعنا من رؤية نمو حركة تقدمية ، وسوف يفهم الناس في « إسرائيل » الأخطاء التي حدثت ، وسيميلون نحو السلام إن عاجلا أو آجلا . لقد كنا نعتبر كل الماني عدوا أثناء الحرب العالمية الثانية ، ومع ذلك فإن جمهورية المانيا الديمقراطية قد ولدت في تلك الأيام ، وسارت على خط يماضي النازية . إن الزمن ليس وليد مرحلة واحدة ، وعلى الإنسان ألا يبنى حساباته على لحظات آتية ، صحيح أن العرب مشتتون الآن ، وقد يكون فيهم ضعف ، إلا أن ذلك ليس قدرا غير قابل للتغيير .

لقد اجتمعت ببعض نواب « الكنيسة » وحلزمهم من المستقبل ، وقلت لهم : إن التطور ليس ملك يمينكم فقط ، ولن تستمر المساعدات والحماية الخارجية في تثبيت أركانكم ، عليكم بالسلام مع جيرانكم . وأذكر في هذا المجال ماكانت تردده والدتي :

« الجار الحسن ، أفضل من الأقارب الأغنياء » . ولقد اتسبنا أمام الغزو الألماني المفاجيء سنة ١٩٤١ حتى أبواب موسكو ، وقد استخدموا أفضل جيوشهم ، وأفضل صناعاتهم المتطورة ، فلم نفرو عليهم ، فانسحبنا ، لكننا استوعبنا الدروس ، وقويتنا أنفسنا ، وأعدنا الخطط المناسبة ، وانتقلنا من الدفاع إلى الهجوم ، ثم بلدنا قواهم ، ووصلنا إلى صامتهم برلين . لقد دفننا ثمتا باهضا ، وهذا صحيح ، لكننا حررنا بلادنا ، وأسهمنا في تحرير شعوب كثيرة ، وقضينا على الفاشية والنازية .

وإنني كثيرا ماأقول ذلك لبعض الإسرائيليين ، لكنهم ، أو على الأصح بعضهم يميني : ستقوم ،

بأي دين ، لكنهم جميعا كانوا يدافعون عن الوطن ، وقد طردوا المحتلين ، وانتصروا على النازية . لم تكن نسأل عن الهويات القومية أو الديانات ، بل كنا نقاتل من أجل انتصار الوطن وحذر المحتلين إن بلاد السوفيت لجميع شعوبها ، وهي ترفع راية ومبادئ أمة وتطبيقها .

الكيان « الإسرائيلي » :

● كيف تنظر لجتكم إلى الصهيونية ؟
وبالتالي كيف تنظر إلى الكيان الإسرائيلي ؟ وعما رتاته ؟

- إن الحركة الصهيونية ماهي إلا حركة عنصرية ، لأنها تضمن أديانها بأن اليهود شعب الله المختار ، إنها حركة البورجوازية اليهودية ، ربية الحركة الرأسمالية العالمية التي تقوم على استغلال الشعوب واستعمارها . وليست صدفة أن يقف ماركس ولينين ضد الأفكار البورجوازية بما فيها الأفكار الصهيونية .

أما بالنسبة للكيان « الإسرائيلي » فهو قائم على الأفكار الصهيونية العنصرية ، وقد وظف نفسه ضمن الآلة الرأسمالية الأمريكية ، ووقف ضد أمان الشعوب في التحرر والاعتناق .

لقد استخدم الصهاينة ضد الفلسطينيين وغيرهم من العرب نفس الأساليب التي استخدمها هتلر ضدهم ، فقد طردوا الفلسطينيين من أرضهم ، وعرضوهم للقتل والتدمير ، واتباعوا سياسة العدوان على أقطار عربية أخرى ، واحتلوا أراضيها . لقد كان اليهود ضحايا النازية ، ثم اتفقوا مع الرأسمالية الغربية ، فسهلت لهم الهجرة إلى فلسطين ، فاحتلوا أراضي الفلسطينيين ، واضطهدوهم . وإن اليهود في فلسطين ليسوا أحرارا ، لأن الحرة لا يضطهد الأحرار الآخرين .

● ماهو الحل حسب وجهة نظركم ؟

- إن وجهة نظرنا هي نفس وجهة نظر حزبنا ودولتنا ، أي أننا ندعو إلى عقد مؤتمر دولي للسلام ،

« المقاطعة اليهودية » ، ومازال اليهود فيها حتى الآن .

• لكنهم أقلية فيها ، على الرغم من أنها تحمل اسمهم ، وهم ليسوا الأغلبية في هذه المقاطعة .

- لقد تأسس المشروع بغرض تجميع اليهود في هذه المقاطعة ، إلا أن هذا الأمر لا يتم بالسر والضغط ، فإننا دولة أممية ، ويستطاعة المواطن السوفيتي - كما ذكرت لك - أن يستوطن أي مكان يريد ، وخاصة إذا ما وجد عملا مناسباً فيه ، لذلك فإن اليهود الآن يبلغ عددهم حوالي ١٧ ألف مواطن في بيروبيجان ، من بين حوالي مائتي ألف من السكان ، وقد وجد بعضهم أن موسكو هي الأنسب له ، من حيث العمل والمعيشة وتحقيق الذات فبقى فيها ، وغيرهم وجدوا أن الأمر مناسب لهم في أماكن أخرى ، فبقوا فيها . هكذا هي الحياة في الاتحاد السوفيتي .

• لكن بيروبيجان تختلف ، إنها المشروع السوفيتي المضاد للمشروع الصهيوني .

- لانتس أن الصهاينة قد بدؤوا العمل بمشروعهم منذ حوالي مائة سنة تقريبا ، وكرسوا له كل إمكانياتهم وعلاقاتهم .

• ألم يكن يسم السوفيت إنجاح مشروعهم في بيروبيجان ؟ لقد وجدت عائلات يهودية في بيروبيجان جاءت من الأرجنتين ، وبعضها جاء من ألمانيا وبريطانيا وغيرها ، وهذا دليل على أن السوفيت كانوا يخططون لتجميع أكبر عدد من اليهود ، وليس يهود الاتحاد السوفيتي فقط في بيروبيجان ، فما الذي حدث ؟

- إن الأمر يساطة يعود إلى أن السوفيت لا يستطيعون إجبار اليهود أو غيرهم على الانتقال إلى هذا المكان أو ذاك ، وبيروبيجان بلاد بعيدة ، تقع في الشرق الأقصى السوفيتي على حدود الصين ، والوصول

وستعتمد على أصدقائنا في أمريكا والدول الغربية . وكنت أقول : إن ذلك لن ينهي المشكلة ، ولن يفي الوضع على ما هو عليه زمنا طويلا .

بيروبيجان واليهود :

• لقد زرت بيروبيجان المقاطعة اليهودية السوفيتية ذات الحكم الذاتي ، ووجدت أن اليهود فيها أقلية ، علما بأنها كانت - كمشروع - هي الرد السوفيتي على المشروع الصهيوني ، فلماذا اليهود أقلية فيها الآن ؟ وهل كفت الدولة السوفيتية عن اعتبارها مشروعها المضاد للصهيونية ؟

- لقد تم تأسيس مقاطعة بيروبيجان منذ حوالي ٥٠ سنة ، والتحق بها اليهود وغير اليهود حسب رغباتهم وطلباتهم الحرة . صحيح أن المشروع في البداية كان يستجيب لرغبات بعض اليهود لكي يعيشوا في مجتمع خاص بهم ، ويراعي هذا المشروع مكوناتهم الثقافية الخاصة . وقد استجابت الحكومة السوفيتية لهذه الرغبة ، وبخاصة أن اضطهادا قد لحق باليهود أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وكان كثيرون منهم يعيشون في مناطق قريبة من ألمانيا وبولونيا (أوكرانيا بيلوروسيا ، مولدايا) ، وعندما حصل الاحتلال الألماني لتلك المناطق فإن كثيرا من اليهود لجأوا إلى مناطق أخرى في الاتحاد السوفيتي ، ثم قامت الثورة ، وأصدرت قوانين سمحت بموجبها أن يعامل اليهود تماما كما يعامل أي مواطن سوفيتي من أية جمهورية أو منطقة ، بعد أن كانت القوانين القيصريّة تحصر وجودهم في المناطق المشار إليها من قبل .

هكذا بدأت تجمعات اليهود تتزايد في موسكو ولينتفرد ثم في أوديسا وغيرها من مدن ، وصولا إلى آسيا الوسطى ، ثم وصلوا حتى إلى فلاديفوستك في الشرق الأقصى السوفيتي ، ثم طرح مشروع بيروبيجان سنة ١٩٢٨ كي يكون مقاطعة خاصة باليهود ، ومازال المشروع قائما ، ومايزال اسمها

- إننا نملك وثائق كثيرة عن حرب عام ١٩٦٧ ، لقد مضت أكثر من عشرين سنة على تلك الحرب ، وإن كثيرين من العسكريين قد درسوا هذه الحرب وقيموها .

لقد كان الدعم الأمريكي و للإسرائيليين ، كبيرا ، وهناك تفاصيل لم تنشر في حينها عن هذا الدعم . لقد تم التخطيط لهذه الحرب بالتعاون بين الأمريكيين والإسرائيليين ، ولقد مارس الإسرائيليون ، أعلى درجات الخداع وأشاعوا في إعلامهم أنهم يصد الدفوع وليس الهجوم ، لكنهم كانوا قد حضروا أنفسهم للهجوم ، وفي الوقت المناسب ياندروا بالهجوم .

لقد واجهنا وضعا مشابها مع الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد وقع السوفييت مع الألمان اتفاقية عدم اعتداء وهجوم ، إلا أن الألمان كانوا قد جهزوا أنفسهم للعدوان ، فاضلوا علينا ، مما اضطرنا للتراجع والانتكاف حتى حدود العاصمة موسكو ، إلا أن ذلك لم يستمر طويلا ، فأحدنا عدتنا ودرناهم وأسقطنا النازية .

إن الخداع قد لعب دوره الصاق عام ١٩٦٧ ، لكن ذلك لم يستمر طويلا ، لأنني كمسكري أتق بأن الفضل الآن أو الواحد لا يمكن أن يكون قدرا مستمرا أو دائمة لقد تحسن الأداء العسكري العربي في حرب سنة ١٩٧٣ ، وكان متميزا . أما بالنسبة للسلاح السوفيتي وعدم كفاءته فإني أعتقد بأن من يروج لذلك فإنه يروج لنكتة فظة ، إذ لماذا يكون السلاح السوفيتي كفوا في هذا المكان ولا يكون كذلك في مكان آخر ؟

إن الأداء العسكري العربي لم يستمر بصورة مناسبة سنة ١٩٧٣ ؟
لقد ذكرت لك من قبل أن المشكلة هي مشكلة صاحب القرار السياسي .

الإنسان والآلة :

أجبا أهم : الإنسان أم الآلة في الحروب المعاصرة ؟

إليها والعيش فيها كانت تكتنفه صعوبات كثيرة من قبل .

● إن بيرويجان كما أفهم وكما جاء في الأدبيات السوفيتية في مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن هي مشروع « قومي » لليهود ؟

- لقد كان ذلك في البداية ، إلا أن كثيرين لم يقبلوا على المشروع ، على أساس أنهم سوفيت وأمميون ، وتعلموا الروسية ، اللغة التي توحد بين شعوب وقوميات الاتحاد السوفيتي . وعاشوا في يشات خبروها وعرفوها وتعاشوا مع سكانها وأصبحوا جزءا منها ، فلمماذا يغادرونها إلى مناطق أخرى بعيدة ؟

العسكري والسياسي :

● لقد كنت على رأس الأكاديمية التي درس وتخرج فيها مئات الضباط الأجانب ، ومتهم ضباط عرب ، أود منك أن تجري مقارنة بين ضباطنا والضباط الآخرين في الاستيعاب والعقلية ؟

- هناك برنامج واحد موحد نظري وعملي في الأكاديمية ، وهو يطبق على جميع الضباط ، ويتولى نفس الأساتذة ، وقد كان الضباط العرب - حسب رأي مدرسيهم - من خيرة الضباط استيعابا وتحصيلا علميا ، بل إن بعضهم حصل على أعلى التقديرات ، إنهم يتعلمون بسرعة لغة وعلمنا .

● إذا لماذا ظهرت ومازالت تظهر بعض الثغرات في كفاءتهم عندما يعودون إلى بلدانهم ؟

- قد يكون ذلك ناتجا عن قصور في صاحب القرار السياسي أو الموجه السياسي .

● لقد شاعت مقولات إثر هزمتنا ١٩٦٧ بأن السلاح السوفيتي غير كفء لمواجهة الأسلحة الغربية فما هو تعليقك ؟

بحال تشجيع هجرة اليهود إلى خسارج الاتحاد السوفيتي .

• هل لجتكم وجدت لهذا الغرض ...
أي لأجل مكافحة الهجرة ؟

- لقد وجدت لأجل هذا الغرض ولأجل غيره ، إننا نعتقد الندوات والمحاشرات ، ونصدر المنشورات والكتيبات ، ونستعمل كل وسائل الإعلام المعروفة . لكن أهداف الصهيونية ، وتوضيح مضار الهجرة والمناذرة بإعطاء الحقوق الشرعية للفلسطينيين وغير ذلك .

الهجرة في الميزان :

• كيف تنظر لجتكم إلى موضوع الهجرة ، وخاصة هجرة اليهود إلى فلسطين ، وانعكاس ذلك على العلاقات العربية السوفيتية ؟

- علينا أن نضع موضوع الهجرة ضمن إطاره الصحيح ، هناك نص صريح من نصوص الأمم المتحدة ينص على جمع شتات العائلات والأقارب ، بعد أن شتت الحرب العالمية الثانية العائلات ، لذلك فإن الهجرة قد أصبحت حقاً قانونياً لمن يرغب فيها ، وخاصة إذا ما وجد أقارب يدعون الراغب ويتكفلون به . هكذا سارت الأمور بعد الحرب لدى جميع الدول ، لاسيما الدول التي شاركت فيها ، وكما هاجر الآلاف ، بل ومئات الآلاف من شتى قوميات الاتحاد السوفيتي إلى خارجه ، فإن الاتحاد السوفيتي قد استقبل مئات الآلاف من المعتادين أيضاً ، ومازال الأمر مستمراً إلى الآن .

أما بالنسبة لهجرة اليهود فإن هذا الأمر قد أصبح يستعمل سلاحاً مضاداً ، وخاصة في سنين « الحرب الباردة » ، والغريب أن الضجة والغبار والدعايات التي يستعملها أعداء الاتحاد السوفيتي تتجلى وتتضح ليكتشف العالم أن ما نسبته ١٠ إلى ١٥٪ فقط من اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفيتي يتجهون إلى « إسرائيل » ، والباقي يهاجرون إلى الولايات

- لقد كان الأمر دائماً ومنذ فجر التاريخ يعتمد على الاثنين ، الإنسان والآلة معاً ، ودون توافق بين الاثنين فإن خلافاً يحدث ، كما أنها يجب أن يكونا في حال جيدة .

• هل يصح القول بأن هذا السلاح دفاعي ، والآخر هجومي ؟

- أعتقد أن السلاح - أي نوع منه - كان منذ فجر التاريخ هجوماً ودفاعياً في نفس الوقت ، فإن المديّة تستعمل للدفاع والمجسوم معاً ، والدسبابة والصاروخ ، وأي سلاح آخر يستعمل للغرضين .

الصهيونية والاتحاد السوفيتي :

• هل الصهيونية قوية في الاتحاد السوفيتي إلى درجة دفعكم لتأسيس لجنة لناهضتها ؟

- إن عمل لجتنا لا يقتصر على داخل الاتحاد السوفيتي ، إن لنا علاقات عديدة مع منظمات وأنظمة كثيرة ، ونقوم بفضح الأفكار والنشاطات الصهيونية بواسطة كل الوسائل المتاحة كالصحف والبرامج الإذاعية والتلفازية ، ونقيم بالتنسيق مع منظمات أخرى ندوات ومحاضرات ضد الصهيونية ، ولا تقتصر علاقاتنا بمنظمات دول شرق أوروبا وأذات البعج الاشتراكي ، بل لنا علاقات مع منظمات معادية للصهيونية في أوروبا الغربية وأمريكا ومناطق أخرى ، وهذا يدل على أن وهي بعض الناس قد غما ، واكتشفوا حقائق الصراع ، فوقوا مع حق الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية على الرغم من الدعاية الصهيونية الكثيفة القوية .

أما من حيث نشاطنا داخل الاتحاد السوفيتي فيمكن القول بأنه لا توجد منظمة صهيونية لها وجودها العلني داخل الاتحاد السوفيتي ، إنما توجد عناصر تتأثر بالدعاية الغربية المضادة للاتحاد السوفيتي المؤيدة للصهيونية و « إسرائيل » ، ويشطون في

● وجهها لوجه : الجنرال دافيد دراغونسكي .

سبيل المثال - ٢٥٠ شخصا إذا بالعودة إلى الاتحاد السوفيتي في الأشهر الستة المنصرمة من عام ١٩٨٧ ، ويوجد ١٢٠٠ طلب تحت الدراسة أيضا .

ويدرس الطلب دراسة مستفيضة قد تمتد سنوات ، لاكتشاف دوافع العودة ، وألا يكون الشخص قد تورط مع جهات معادية للسوفييت إلخ . وبعد ذلك وعندما تنتفع الجهات المعنية بأن مقدم الطلب نادم ويريد التكفير عن هجرته بالعودة إلى الوطن ، فإنه يتم الإيعاز للجهات المختصة لتوفير عمل وسكن مناسبين له . إننا نأخذ اتفاقية هلسنكي - حقوق الإنسان - بعين الاعتبار ، ونفهم بأن المقدم على العودة شخص ارتكب خطأ بحق وطنه ، ويريد تصحيح هذا الخطأ .

● هل يمكن أن نقابل بعض العائدين ؟

- لقد تولت الصحف نشر مقابلات مع بعضهم ، كما تولي التلفزيون والإذاعة نشر مقابلات مع بعض العائدين ، ويمكن أن توفر لكم بعض الصحف التي نشرت المقابلات

● ولماذا لانقابلهم شخصيا ؟

- إن بعضهم يرفض المقابلات ، وغيرهم لا يسكنون في العاصمة ، كما أن الفصل هو فصل صيف وإجازات ، وقد غادر بعضهم العاصمة إلى مناطق الاصطياف في الاتحاد السوفيتي .

● ألا يمكن تدبير مقابلة حتى مع فرد أو عائلة من العائدين ؟

- إن الأمر صعب . (هكذا أجاب أحد مساعدي الجنرال ، وأضاف : أقترح أن تتركوا لنا أرقام غرف الفندق الذي تسكنونه ، وستصل بكم ، أو تتصل بوكالة توفوسي كي تخبركم إذا ماجد جديد) .

شكرت الجنرال ومساعديه بعد أن زودونا ببعض صور القصاصات من صحف سوفيتية أجرت مقابلات مع بعض العائدين .

وبدأت أسمى عن طريق علاقاتي الشخصية للوصول إلى بعض العائدين ، وفلسا فلاني قد وصلت . □

المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية وكندا وأستراليا وغيرها .

إن شعار حقوق الإنسان هو أحد شعارات « الحرب الباردة » الذي يستعمله الغرب لأجل خدمة المصالح الصهيونية فقط ، وكبي أطلع قراء مجلة « العربي » وبالتالي العرب والعالم أجمع على حقيقة الأمر فلاني أذكر بأن كثيرا من المهاجرين عندما علموا بأن « إسرائيل » وبعض الجهات المؤيدة لها يطالبون بتغيير خط رحلة طيران المهاجرين من فيينا إلى بوخارست ثم إلى « إسرائيل » مباشرة ، دون أن يمنحوا خيار السفر إلى جهات أخرى غير ذلك ، فإن كثيرين من اليهود سحبا طلبات هجرهم .

والأمر كما ترى مضحك تماما . إذا كان الغرب يتنادي بحقوق الإنسان فعلا وقولا فلماذا لا يمتنع على السلطات « الإسرائيلية » التي تريد مصادرة حق الهجرة والتنقل ، ونجبر المهاجر كي يتجه إلى تل أبيب بدلا من أن يكون حرا في التوجه إلى أي جهة يشاء ؟

الهجرة والعرب :

● ألا تؤثر هجرة اليهود إلى فلسطين المحتلة على العلاقات الفلسطينية السوفيتية بخاصة ، وعلى العلاقات العربية السوفيتية بعامة ؟

- إنها تؤثر ، وهي عامل سلبي ، لكن على أصدقائنا العرب أن يفهموا الوضع كما هو ، فإن هذا الأمر هو أحد الأسلحة الموجهة إلى سمعة الاتحاد السوفيتي وهيبته ، إضافة إلى أنه حق من حقوق الإنسان ، عليك ألا تنسى أن الكثيرين ممن يحملون الجنسية « الإسرائيلية » الآن قد هاجروا من الأقطار العربية .

ومع ذلك فإن لجتنا تتابع برنامجها في فضح الصهيونية وتوضيح مضار الهجرة .. إلخ .

● كيف تتعاملون مع من يرغب بالعودة إلى الاتحاد السوفيتي ؟

- لقد منحت السفارة السوفيتية في واشنطن - على


قراءة نقدية لكتاب المستقبل من حقل المستقبل رواية عن المستقبل من تأليف صبري موسى

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

هل كتابة رواية عن مشكلات الإنسان في القرن الرابع والعشرين نوع من الترف الفكري والفني ، أم أن كتابة رواية عن المستقبل يمكن من بعض الوجوه أن تكون مثل كتابة رواية عن الماضي محاولة لرؤية الحاضر من موقع مغاير بحثا عن إمكانية أفضل لفهم هذا الحاضر ، والحوار معه ، والتماسا للاتجاه الصحيح لتطور الإنسان ومساعدته على السير فيه ؟

تملك من الأجوبة ، وبالتالي فسوف تبقى الحاجة ماسة إلى التماس أجوبة عن هذه التساؤلات من أين يبدأ كاتب رواية الخيال العلمي ؟ أمن الفروض العلمية التي لم تتحقق بعد ، أم من النظريات العلمية المطبقة بنجاح في مجالات محدودة واحتمالات تطبيقها على مجالات أوسع وأخطر ؟ وماذا ينجم عن احتمالات تحققها ؟

وكيف يرسم كاتب الخيال العلمي شخصياته ؟ بل وما هو مفهوم الشخصية في مثل هذه الروايات ؟ وكيف يقدم الكاتب المعلومات اللازمة للقارئ ، لكي يتواصل مع هذه الشخصيات التي لا سبيل لفهم سلوكها فضلا عن التفاعل معه إلا من خلال فهم

 بغض النظر عن الفروق بين رواية عن التاريخ وأخرى عن المستقبل ، فالمستقبل المشترك بينهما هو أن الحاضر موجود فيها بشكل أو بآخر ، وأن هذا الحاضر هو مصدر الخبرة العامة المشتركة بين الكاتب وقارئة التي منها ينطلقان ، سواء لتمثل الماضي في رواية تاريخية أو تخيل المستقبل في رواية عنه !

وقد كان من الطبيعي أن تظهر الرواية التاريخية أولا إلى الوجود ، وأن يطور النقد الأدبي قريبا نقدية حوفا ، وأن تبقى رواية المستقبل أو ما يعرف باسم رواية الخيال العلمي حتى الآن تحتل هامشا محدودا على حافة أي حركة أدبية ، وأن تثير من الأسئلة أكثر مما

بعض قصص الخيال العلمي تقتصر على متابعة تحقيق فرض علمي وحيد في مجال بعينه ، مثل مسرحية « لو عرف الشباب » لتوفيق الحكيم التي كتبها في الأربعينيات ، وصور فيها إمكانية أن يسترد شيخ طاقة الشباب ، فماذا تفعل شخصية يتاح لها أن تمتلك المعرفة والطاقة في وقت واحد ؟
وبعضها قد يغامر بتصوير حياة عريضة في إطار متغيرات كبيرة ، في مجتمع بأسره ، مثل مسرحية « رحلة إلى عالم الغد » لتوفيق الحكيم أيضا ، ورواية عام (١٩٨٤) لأورويل ، ورواية « السيد من حقل السبانخ » التي تتناولها في هذا المقال . وإذا كان النوع الأول يمكن أن يظفر في العادة ببناء دقيق محكم فإن النوع الأخير يواحه تحدي الحاجة لتحقيق الانسجام والتوازن والوحدة ، وكلها ضرورية لأي رواية ولو كانت رواية من الخيال العلمي !

بناء الرواية

يرتكز بناء هذه الرواية على محورين أساسيين ، المحور الأول « حدث خروج » السيد هومو « من البرنامج المرسوم خلال عودته من عمله ذات يوم في حقل السبانخ » ، ومن هذا الحادث تتداعى أحداث القسم الأول من الرواية ، إذ تنصرف على جميع شخصيات الرواية من خلال مواقفها ، وطريقة تفسيرها لهذا الحادث ، ويكون هذا الخروج عن البرنامج بمثابة الشرارة التي تعجز المشكلات والأفكار والتسلؤلات . ويحدث صراع الشخصيات حول مغزى هذا الحادث المفجر ، وينضج هذا الصراع في تيارين أساسيين ، تيار يقوده النظام الحاكم في مجتمع القرن الرابع والعشرين ، ويرى في هذا الخروج مؤشرا على خلل في هذا الفرد ، ينبغي علاجه وتطويقه ، حتى لا يتوالى انتشاره ، وتيار يقوده « بروف » المعارض ، وهو عالم كان يجتث مكانا مرموقا في النظام . لكنه انفصل عنه ليقود المعارضة ضده ، ويرى في خروج السيد هومو وأمثاله دليلا على خلل في النظام ، ويتخذ من « السيد هومو » رمزا لتيار المعارضة



هذه المعلومات التي تؤثر في محيط الشخصيات ، وبالتالي في سلوكها ؟
وإذا كنا نعرف أنه لا توجد هناك صورة واحدة لمستقبل واحد ، بل هناك احتمالات لمستقبلات عديدة ، فهل ينحاز الكاتب لإحدى هذه الاحتمالات وتكون روايته تفسيراً لانهياره ، أم يختار مستقبلا عريضا تتصارع فيه التيارات كما هو قائم في الحاضر ؟ وكيف يكون الصراع بين شخصيات الرواية التي تمكس هذه التيارات ؟ هل سيكون سماعا فيه نبض حياة المستقبل كما يتجلىها الكاتب أم يسقط الكاتب في شرك الأفكار والاتجاهات والمعلومات ؟

وأين تكمن القيمة في مثل هذه الروايات ، هل في دقة المعلومات وجدتها ، أم في روعة الخيال القائم على هذه المعلومات ، وقدرته على الاقتناع والإثارة ، أم في صدق النبوءات التي تحتوي عليها الرواية ، وما يعنيه ذلك من تأجيل للحكم على قيمتها ؟^{١١٤}

المحور الثاني

محاضرة حول « مستقبل الجنس البشري » يقيمها النظام ليحسم فيها الصراع الدائر بينه وبين المعارضة ، ومن هذه المحاضرة والمناقشات الدائرة من حولها يتجلى الصراع عن فوز النظام وحصوله على الأهلية اللازمة لإقرار برنامجه الجديد من التطور الانساني في المرحلة القادمة ، ويختار « بروف » وتياره ومعهم « هومو » بطل روييتا (رجل السباتخ) أن يخرجوا من مجتمع القرن الرابع والعشرين الذي يستمد لمواصلة رحلته في الكون ، ويعودوا إلى الأرض القديمة التي قد أصبحت غير صالحة للحياة بعد الحرب الالكترونية الأولى في نهاية القرن العشرين ، يعودون للبحث عن إمكانية تحقيق مسار مختلف لتطور الإنسانية . وهكذا يسدو محورا الرواية ، وكأن أحدهما يدور ليفجر المشكلات والأخر يدور ليحسمها !

شخصيات الرواية

كما ألمحنا فإن الكاتب يقدم شخصيات الرواية من حيث علاقاتها بعادات خروج « السيد هومو » عن البرنامج ، وابتداء نعرف أن السيد « هومو » قد شعر فجأة برغبة خامسة في ألا يواصل السير في الطريق المعتاد لكن إلى أين ؟ ولماذا ؟ يبدو أنه لم يفكر طويلا في هذين السؤالين ، فقد أسلم نفسه لشعور غامر بالارتياح فقط لمجرد إحساسه بأنه كسر قلبك البرنامج ، وتمكن من الإفلات من قبضته ، لكن هذا الشعور بالارتياح لا يدوم طويلا ، فالشارع الذي يسير فيه يمضي بين جدارين مرتفعين من البلاستيك السميك الشفاف ، لا توجد به فتحات أو نوافذ أو دكاكين ، ويكاد يخلو من المارة ، هذا أعداد قليلة من العاملين في معامل البروتين النوعي التي توجد أسفل الأبراج السكنية ، وهم لا يعبأون كثيرا بتحتية التي يلتقيها عليهم ، فهم في طريقهم إلى أعمالهم وفق برنامجهم ، وينتهي به المسير إلى محطة السفر إلى الفضاء الخارجي ، التي لا يوجد فيها سوى أولئك

الذين حانت مواعيد سفرهم وفق برنامج مسبق ععد . ويبدو أنه خارج البرنامج - أي برنامج - لا مجال لشيء سوى الشعور بالتعب والإنهاك والوجع ، والغريب أن يصبح هذا هو الجديد المثير بالنسبة للسيد هومو ، فهو لم يجرب هذه المشاعر من قبل ، تلك المشاعر التي تشير المعلومات التاريخية أنها كانت تصيب الإنسان القديم ، وهكذا كان على السيد هومو في النهاية لكي يتخلص من وطأة الشعور بالتعب والوجع والإنهاك ، ولكي يتحدث أيضا عن ذلك لزوجه وأصدقائه ، أن يعود إلى البرنامج ، وأثناء غيبة السيد هومو في مغامرته يقدم لنا الكاتب السيدة ليالي زوجة هومو من خلال بحثها عن أسباب تأخر زوجها في العودة ، ثم تتعرف على صديقه « دافيد » ، لأن الزوجة بحثت عن زوجها عنده ، ثم تتصرف على أعضاء لجنة التحقيقات الممثلة للنظام ، لأن زوجها مثل في اليوم التالي أمام أعضاء اللجنة لسؤاله عن أسباب غروجه عن البرنامج ، ثم تتعرف على « بروف » في أحد ملاهي المناقشات العامة ، وهي أماكن أعدها النظام ليستطيع من يشاء من أفراد المجتمع في القرن الرابع والعشرين أن يقول فيها ما يشاء بصراحة تامة في أي شيء ولو كان ضد النظام (هايد بارك القرن الرابع والعشرين) . وقد ذهبت السيدة ليالي ودافيد إلى هذا الملهى لتابعة تحقيق اللجنة مع زوجها على شاشات العرض هناك قبل أن يسمح لها بمقابلته في مركز التحقيق . وقد استمعت إلى أقوال زوجها أمام اللجنة ، وإلى تعليقات المتابعين في ملهى المناقشات ، ومن أهمها تعليق بروف الذي كانت تراه لأول مرة . حول هذا المحور تتحرك أحداث الرواية في إيقاع هادئ نوعا ما ، ربما لأنه مقل بوصف الكاتب للملاح الحياة في مجتمع القرن الرابع والعشرين ، ومقل بتساؤلات كل شخصية عن مغزى خروج السيد هومو عن البرنامج ، وتفسيرها لهذا الحادث ، ومن هذه التساؤلات نتعرف على جوانب من هذه الشخصيات ، وجوانب من هموم العصر ومشكلاته وتطلعاته ، وتفتحتم عالم هذه الرواية .

تساؤلات أفراد أم تساؤلات عصر

أكثر ملامسة ، وأن المعادلة الصعبة التي يواجهها النظام هي : إنتاج أكثر لتحقيق عدالة وفيرة يتطلب تزايداً آلياً على حساب المساحة الطبيعية . ولا ينتظر السيد « بروف » حتى تنقل السيدة ليالي رسالته إلى زوجها ، بل يبدأ بالاتصال به في مركز التحفة ، ويحدد له موعداً للقاء ، ولا ينتظر حلول الموعد ، بل يشرح له فكرته باختصار عن أن سبب خروجه عن البرنامج هو افتقاده للطبيعة بسبب سيادة العبد الآليين « الريبوتات » الذين يقومون عنا بغالبية الأعمال التي كنا نقوم بها ، فهؤلاء العبد الآليين هم السادة الجدد ، وهم سر تلك الظواهر التي على التماسه التي بدأت تظهر هنا وهناك

وتصبح هذه الفكرة نوعاً من الإلهام « للسيد هومو » ، فقد كان قبل أن يتصل به « بروف » وبعد استجواب اللجنة له يتأمل في شجرة صناعية تسقط أوراقها كما كانت تفعل أي شجرة طبيعية ، وكان يفكر أن البشرية تطورت حقاً من عصر النحاس الأحر معدن الصناعات الكهربائية إلى عصر الألمنيوم معدن الطيران إلى عصر التيتانيوم معدن سفن الفضاء ، لكن من حق الإنسان المعاصر أن يتساءل إلى أين ؟ إن الشعار الذي يرفعه النظام الآن وهو : « من الإنسان الفرد إلى الإنسان الملاك » لم يعد قادراً على أن يمنحه الثقة القديمة . يقول لزوجته السيدة ليالي وهي تحاول أن توضح له أنه ربما يكون هناك نوع من الخلط في علاقتها الجنسية قد أدى إلى خروجه عن البرنامج

- لا ، ليست هذه هي المشكلة ، إنني أشعر أن كلام السيد « بروف » يقترب من الحقيقة ، فكلما ازدادنا تقدماً في الكون فقدنا إحساسنا بذواتنا ، وازدادت حاجتنا لابتكار أدوات وآلات أكثر تقدماً ، إننا قد نصنع كائنات تتفوق علينا ، بل لعلنا فعلاً قد أصبحنا عبيداً لهذه الآلات كما يقول السيد « بروف » .

لكن السيدة ليالي التي كانت تشعر بشروط زوجها وهو معها في الفراش كانت تتفاضل مع فكرة « بروف » بطريقة مختلفة ، فهي تدرك أن الإنسان

هل كان خروج السيد هومو عن البرنامج مجرد تصرف عفوي كما يقول أمام أعضاء اللجنة ، وأنه بممارسته كان يمارس نوعاً من الحرية أم أن تصرفه هذا يشكل ثغرة في النظام؟ ولو أنهم أطلقوا الحرية لكل فرد كي يتصرف على سجيته في أمر كهذا لانتفتحت في النظام آلاف الثغرات ، لتدخل منها كل عيوب البشرية القديمة ، مثل الإهمال والفضى والكسل والكذب ، كما يقول أعضاء اللجنة ؟

وهل يعالجون حاله - كما عالجوا حالات سابقة بدأت تظهر في الآونة الأخيرة - باعتبارها نتيجة لسأم من حياته الزوجية أو حياته المهنية ، فيلجأون إلى « الكمبيوتر » لإعادة ترويقه أو لتغيير مهنته مع أن « الكمبيوتر » هو الذي اختار له مسبقاً زوجته ومهنته ، ولم تسبق له شكوى من أي منها ؟!

أم أن المسألة كما قال « بروف » في ملهى المناقشات :

« ليست قضية افتقاد الحرية ، بل هي افتقاد الجمال ، فقد ابتعد مجتمع القرن الرابع والعشرين - بسبب اعتماده الساحق على التقنية المتطورة جداً - عن فطرة الطبيعة الخلابة وجعلها السخي الذي أصبحنا لانشاهده إلا في أفلام الأرشيف السينمائي القديم ، وأن هذا هو السبب في حالات الخروج عن البرنامج ؟ » .

إن حديث السيد « بروف » عن ضرورة العودة إلى الطبيعة في ملهى المناقشات يثير حيرة السيدة ليالي زوجة هومو وهي تبحث عن معنى لخروج زوجها عن البرنامج . كانت لديها تساؤلاتها الخاصة النابعة من علاقتها بزوجها ، فهل يكون لما يقوله السيد « بروف » من العودة إلى الطبيعة علاقة بذلك ، لقد طلب منها أن تخبر زوجها حين ترويه في مركز التحقيق أن يعتمد في دفاعه عن موقفه على فكرة افتقاد الطبيعة ، وليس افتقاد الحرية ، لكن دافيد صديق زوجها يؤكد للسيدة ليالي ، أن العودة إلى الطبيعة مستحيلة ، فنحن نحيا بالفعل في طبيعة بديلة

إن أوضاعنا في عصر العسل لا تهدد الذكاء الانساني فقط باعتمادنا على المييد الآليين (الروبوتات) ، بل إنها تطمس الإرادة الفطرية التي تقود غريزة الارتقاء في البشر .
- أتريد أن تقول إن لحظة التوقف التي انتابك هي وليدة انتباه مفاجيء لافتقاد الإرادة .
- أجل ، أن نجد نفسك تفعل فقط ما هو متوقع .
ومتعاد أن تفعله !

جدل الشخصية والقضية

واضح من استعراض هذا الجزء من الرواية أن القضية المحورية فيها هي قضية التطور . من أين وإلى أين وكيف ؟ وأنتا تتعرف على كل شخصية من خلال تكيفها أو عدم تكيفها لذلك التغير الذي يحدثه التطور التغي الهائل في الطبيعة ، سواء طبيعة الأرض أو طبيعة الإنسان الذي يعيش عليها ، ومع أن الكاتب بدأ الرحلة من موقف محدد هو خروج السيد هومو عن البرناتج ، ثم مواقف الآخرين منه ، فإننا مع مسار الأحداث كنا نتصرف على الشخصية من خلال موقفها من الفكرة ، وأحيانا على الفكرة من خلال حديث الشخصية عنها أو تفكيرها فيها . وقد يلاحظ القاري في الصفحات الماضية طغيان الفكرة على حساب الشخصية ، وأن احتياجات توضيح الفكرة وشرح أبعادها للقاريء كان هو الذي يفرض الجرعة والأولوية ، وشيء مثل هذا قد حدث بالنسبة للمعلومات ، ففي صفحة ٣٧ من الرواية ، وأثناء التحقيق مع « هومو » يستطرد مندوب النظام العام في حديث عن إنجازات النظام في توزيع العمل والطعام والكماليات ... الخ .

وهذا الحديث لا يقتضيه الموقف ، حيث يتوجه به إلى « هومو » ، والفروض أنه يعرف جيدا ، لكن الكاتب في الحقيقة كان يبتال لتقديم هذه المعلومات لقاريء القرن العشرين عما تم إنجازه في القرن الرابع والعشرين ، وواضح أيضا أن جوهر الدراما في هذه الرواية هو دراما الأفكار والاتجاهات المتصارعة ، وأن الأساس النفسي لهذا الصراع كان

وحده هو النوع الوحيد الذي تحصل فيه الأنتى على إنشوة الجنسية ، وأنه استطاع أن يوفر لنفسه شكلا من أشكال التناسل يقوم على الاختيار الذي ينتج التنوع والتغاير ويدفع بالتطور إلى الأمام ، ولقد ظل هذا الإنسان عبر مسيرته الطويلة متأرجحا بين رغبته في اشباع غرائزه من ناحية وبين احترامه بالمسؤولية الاجتماعية من ناحية أخرى ، وليس في الحيوانات كلها من واجه تلك المشكلة ، فالحيوان إما أن يكون فرديا أو اجتماعيا ، والإنسان هو وحده من تطلع إلى أن يكون فرديا واجتماعيا في وقت واحد ، وهما قد وصلت أداة الاختيار الجنسي بالإنسان في هذا العصر إلى أنهم يصنعون بطريق التكاثر الخلوي في الأنابيب نسخا متماثلة من أم حيولة وذكية وأب قوي وبارع ، وهم ينتجون من هذه النسخ في المعامل بالآلاف .
للمعمل في الخطط الانتاجية المبرجة

أنتكون تلك هي الحياة التي ارتكبها الإنسان وهو يقف على قمة تطوره ضد الطبيعة ، فبدأت الطبيعة تنتم منه ؟ أما « دافيد » فقد جلس يستمع إلى « هومو » بعد أن عاد من التحقيق ، وهو يعقد مقارنة مثيرة بين حال الإنسان في القرن الرابع والعشرين وهو يعيش بعقل مسترخ في كسل تأملي لذيق ينسج الوجبات الباردة والساخنة تأتي إليه عبر الأنابيب ، وبين الكائنات الضخمة التي انقرضت في الماضي البعيد لأن أجسامها الثقيلة ظلت تربطها بالأرض تحت ظلال أشجار الغابات الاستوائية السحيقة القدم ، بينما تطورت الثدييات لأنها أخذت تسلك الأشجار العملاقة ، وتتاح لها فرصة التحرك والتأمل في عالم رحب من الأضواء والأزهار والبراعم والحشرات .

ويتساءل دافيد باستنكار :

- لكن من المؤكد أن لدينا عقولا تعمل لتدبر هذا المجتمع الذي يوفر الحياة السعيدة لكل فرد ، فالذين يشملون المراكز القيادية على جانب كبير من الذكاء .
- نعم ، لكن في المقابل فإن جميع الذين لا يشغلون المراكز القيادية مطلوب منهم سهولة الانقياد والمهارة الحالية من « العاطفة » ثم يتابع « هومو » :

قسم خاص بالفرائز والانفعالات ، وقسم خاص بالمتنق والتفكير ، وأنه بينما تطور القسم الخاص بالسائق بقي القسم الخاص بالفرائز دون تطور ... »

الطفل البشري يظل عاجزاً ومرتبكاً بوالده مدة أطول بكثير من المدة التي يقضيها أي صغير آخر من المخلوقات الأخرى وبسبب هذا الالتصاق الطويل ينمو مع هذا الطفل التمسك الأعمى للأفكار والمعتقدات الموروثة دون تفكير .

إن العملية التربوية القائمة على فصل الأطفال عن وعاء الأم سواء في المرحلة الجنينية أو مرحلة الطفولة من خلال خطة الولادة المعملة التي بدأ تطبيقها في - نصف القرن الأخير قد أثرت نتائج متجردة من الإحساس الفردي ، ومرتبطة تماماً بالنظام العام وأهدافه التطورية .

إن هؤلاء الطلائع يعملون منذ سنوات مسئولية التنمية البشرية في المجتمعات الجديدة فوق سطح كوكب القمر ، وهي مهمة تستدعي البقاء في الفضاء الخارجي عشرات السنين ، وهو شيء لا يستطيع احتماله الأشخاص الذين ولدوا ونشأوا في أوضاع هائلاتهم ، حيث يستولي عليهم الحنين والقلق ، ويؤثر على تفكيرهم وطيقتهم في الأداء ذلك الشعور بالاختراب عن الأسرة .

هذا أياً السادة فإن خطة التوصل إلى بشر عقلانيين التي يسير فيها النظام بتدرج يجب أن تسير بسرعة أكبر ، فالوقت لا يسمح بهذا الترف الوجداني بالعودة إلى التفكير في الطبيعة التي تميز عنها تلك الحالات الشاذة التي بدأت تظهر على بعض الأفراد هنا وهناك ، إنها نذر بأن الشعور الفردي الذي يفود إلى المخالفة والتعصب ما يزال كامناً يهدد المسيرة البشرية الجديدة .

ثم يبدأ المحاضر بناء على هذه الفروض والرؤية المبينة عليها بطرح برنامج النظام الجديد الذي يقوم على فكرتين :

- مواجهة الحالات المارضة للانقطاع عن البرنامج بمعالجة عقول أصحابها كيميائياً بحيث تمود

شاحبا ، وبإمستثناء شخصية « هومو » التي كانت تراجيدية بمعنى من المعاني ، وشخصية زوجته ليالي فإن بقية الشخصيات كانت أحادية الجانب ، لا يبرز منها إلا ما يتصل بالموقف من قضية التطور .

إن الإيقاع السائد في هذا الجزء من الرواية ما هو إلا إيقاع التساؤلات الجائرة بحثاً عن إجابات غير مؤكدة ، وفي هذا الجزء من الرواية يتم التركيز على الأصوات التي تصنع المعارضة ، وإذا كنا قد سمعنا أشياء عن وجهة نظر النظام خلال التحقيق مع « هومو » ، فهي من النوع الذي يبيى القاريء للاستماع لوجهة نظر النظام الكاملة وهي التي يرد بها عن الأسئلة الجائرة في الجزء الأول من الرواية ، وذلك في المحاضرة التي يلقيها ممثلو النظام في القاعة الكبرى ، حيث تواجد بروف وهومو على اللقاء - أثناء التحقيق - في ثالث أيام الإجازة الأسبوعية ليقودا المعارضة ضد النظام . !

مستقبل الجنس البشري

في القاعة الكبرى المعلقة التي بنيت على شكل منح بشري لأنها هي التي احتضنت بكل ما تبقى من الحضارة الإنسانية في القرن العشرين بعد أن دمرت الحرب الالكترونية كل شيء ، وقف مندوب النظام يلقي محاضرته التي هي عبارة عن برنامج ثوري للخطوة التطورية القادمة ، وللمعالجة حالات الخروج عن البرنامج التي تكررت في الفترة الأخيرة .

وفي القاعة كان بروف وهومو ومن معهم من المعارضين يجلسون ليستمعوا إلى المحاضرة ، ويعلقوا عليها قبل التصويت على البرنامج الذي

صوت النظام

وتقوم المحاضرة على الخلاصات التالية :
تذكير الناس بالنظرية التي ترجع الكوارث الكبرى التي حدثت للإنسانية وعاقبت تطورها ، والتي كان آخرها الحرب الالكترونية في نهاية القرن العشرين إلى أن دماغ الإنسان يتخوي على قسمين ،

ذلك القرض القائل بأن طول فترة حضانة الطفل البشري تسهم في خلق مناخ للتنصب والفسدية والاختلاف ، لكن ماذا عن مشكلات البديل الذي يقترحه النظام ؟ فطول فترة حضانة الطفل متعلقة بخصوصية طفولة البشر وليس بالزواج ، واحتمال أن يحل التنصب للنظام محل التنصب للأسرة والوطن قائم ، المهم أن مشكلات البديل لم تطرح ، بل لم تعرف على نطاق تحريبي واسع ومن يملك حق الحديث عنها ؟؟

تلجأ الرواية إلى منج أقرب إلى الجسم بين التيارات المتصارعة في المجتمع الإنساني ، مع أن الجدل بين هذه الاتجاهات قائم في ذات الفرد مثلما هو قائم بين القوى الاجتماعية ، والسؤال هو : هل التحدي المطروح هو إزالة الاختلاف بين الأفراد مع أنه أحد مصادر الثراء والتنوع والتفرد ثم التطور وأحد مصادر الجمال حين يؤدي إلى التكامل والتناغم ؟

أم أن التحدي الحقيقي هو المحافظة على الاختلاف والتنوع دون أن يقودنا ذلك إلى التنصب والدمار ، بمعنى أن يتعلم البشر كيف يقبلون الاختلاف ، ويتعاملون معه بنجاح لخدمة التطور ؟ ويتم ذلك من خلال صيغة أو مركب جديد يذيب التناقض السابق ويؤدي إلى خطوة تطويرية أكثر تقدماً .

على الرغم من أن الصراع في الرواية بالدرجة الأولى صراع أفكار وتيارات ، يمتد على نطاق عديد من القضايا ، فقد حققت الرواية درجة عالية من الوحدة والانسجام بين حركة الشخصيات والأفكار والرؤى ، وأكدت ما تميز به الكاتب الروائي صبري موسى في كل أعماله السابقة من جدية والتزام بقضايا تضيح في رأسه ، ومهارة فنية عالية . □

إذا مارأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه ، وأنت تعصيه ، فاحذره .

(الإمام علي)

إليهم السيطرة العاقلة على أنفسهم .
- إعلان إلغاء مؤسسة الزواج ، وبهذا الإلغاء يتحول الشعور تجاه الابن المجهول تلقائياً تجاه كل الأبناء في المجتمع البشري .

صوت المعارضة

• إن النظام يتحدث عن تطوير العقل وإلغاء الفرائز دون أن يلاحظ ذلك الهبوط المستمر في مستوى الذكاء البشري ، نتيجة لسيادة المنطق الآلي الميكانيكي ، دون أن يلاحظ التناقض بين هبوط ذكاء الإنسان في الوقت الذي تزداد كفاءة العقل الصناعية حتى أصبحت فاعلة على الاختراع ، ووضع التصميم واختزال الخبرات السابقة .
إن البرنامج الذي تترجمه سوف يجعل عقول الأشخاص تعمل دون إرادة أصحابها ، وأن تناهم وهي مستقلة عن ردود فعل أصحابها .

• إن الإنسان الفرد هو البداية والنهاية ، وهو الغاية والوسيلة ، ودون ذلك فأنتم صائرون إلى حالة تشبه ما هو قائم في مملكة النحل ، وهي صورة قديمة من صور الحياة ، ومن التنظيم الاجتماعي .
وقبل التصويت الذي يسم من فوز برنامج النظام تستمر المساجلات بين المؤيدين والمعارضين التي تنسج لها الرواية ، ولا يهتم لها هذا المقال .

نظرة شاملة

إذا كان من الممكن مناقشة الجوانب الفنية في مثل هذه الرواية في هذا المقال ، فمن الذي يملك حق مناقشة الجوانب العلمية الموزعة على شق العلوم البحتة أو الاجتماعية ؟ ومع ذلك فلا أقل من إثارة بعض التساؤلات .
في ضوء التجربة البشرية التاريخية قد يبدو مقبولا



يَدُ رَجُلٍ مِثْلَهُ !

بقلم : محمود الرماوي

- الاضراب يعني أن تغلق المحلات أبوابها ، ولا تذهب الناس الى اصنامها ، ولا يذهب الاولاد الى المدارس ، ولا يتحدث أحد مع جنودهم ، أنت تعرف ذلك يا حاج .
- أعرف ، لا تجعلهم يسمعون ، خذ كبريتك واعرف أين تولعها ، تتحدث مثل ابني محمد ، اخلوه ، هل تعرفه ؟

- طبعاً أعرفه ، سيخرج محمد - تأكد الحاج (الذي على نية الحج) أن جرار الطاولة ليس به تقود ، اطمأن وتهد ، وانجه الى باب الدكان ليعلقه قرفص ، وأخذ يعالج القفل ، فإذا بجندتي يعتمر خوذة يلكره من الخلف في كتفه .
- أنت ماذا تفعل ؟

- أغلق دكاني .
- لماذا تغلقها ؟
- تريد أن تشتري شيئاً ؟
- لا أريد أن أشتري .

ما ان استعد لأخذ مكانه وراء الطاولة حتى سمع نحية الصباح من أول « زبون » جاء يشتري حلبة كبريت نعم ، حلبة واحدة تكفي رد النحية وهم بمناولته ما طلب ، فلذا بالشاب يقترب منه ، ويرسل إليه نظرات ثاقبة ، ويقول بصوت منخفض لكنه مسموع : اليوم إضراب يا حاج .
لماذا فتحت الدكان ؟

(استغرب الحاج لم يكن يعرف .)
- هل يجب أن أغلق الدكان حتى ينجح الاضراب ؟ لا أحد يشتري ولا أحد يبيع ، أليس هذا إضراباً ؟

قال ذلك بنبرة متبرمة ، وهو يتفرس في الشاب الذي يعرف قسماته ، ولا يعرف من هو وما اسمه ، لم يكن متأكداً من صحة ما قاله ، وكل ما في الأمر أنه لا يريد أن يترك نفسه هبياً للهرج ، أمام هذا الشاب الواثق . الصحيح أنه لا يعرف بالاضراب ، ولعله اليوم الأول .

محمد ابن السادسة عشرة الوحيد الذي عندهم ، أما إخوته الأكبر منه فانهم خارج البلاد ، وأخته الوحيدة متزوجة منذ خمس سنوات . أخذوه في الواحدة بعد نصف الليل ، انتزعوه كالوحوش من سريره ، وضربوه ، وليس عنده سلاح ، لماذا تأخذونه ؟ هكذا خاطبهم وهو يندفع اليهم ، فدفعوه بعيدا ، ثلاثة أمسكوا بمحمد ، وأخذوه بسرعة ، ولقد مضى على ذلك عشرة أيام . منذ ذلك اليوم والحاج لا ينتم ، والحاجة لا تنتم ، ولا حتى الأرض ولا الملائكة ولا السماء تنتم ، لا أحد يقبل الظلم ، لا العباد في الأرض ، ولا رب العباد في السماء ، الدنيا تغيرت في أيام ، والناس ما عادت تخاف أو تحسب حسابا لشيء .

كل شيء له أوان ، فما طار طائر وارتفع إلا كما طار وقع ، الجنود فقط هم الخائفون ، ومع كل هذه الأسلحة والطائرات والدبابات والمراوات فهم خائفون . فكيف لو كانوا بلا أسلحة ؟ وكيف لو كان معنا نحن أسلحة ؟ ولم يرههم خائفون كما يرههم هذه الأيام .

- لا تذهب من هذا الشارع يا عم .

- لماذا ؟ ومن أي شارع سأذهب ؟

- من أي طريق ، فالجنود يضربون الشباب .

- والشباب ... ؟

- يضربون بالحجارة .

- بالحجارة ؟! ماذا تنفع الحجارة يا بني ؟

- وهل الكلام هو الذي ينفع ؟ . اختر لك طريقا آخر .

انتظر قليلا حتى ذهب الشاب ، ولم يختار طريقا آخر ، بل أكمل طريقه بطيئا ، وسمع أصوات طلقات الرصاص ، ورأى سحب الدخان ، هناك ضرب صحيح . كان يمشي على مهل ، ثم يتوقف لاستطلاع ما يجري حوله ، كأنما ينتظر هاتفا ينيبه أين يذهب الآن ، وماذا عليه أن يفعل . الشباب ليسوا كلهم شبانا ، فهناك الصغير والكبير ، يناديه بعضهم بعضا ، ويظهرون ويختفون بلمح البصر ، بعضهم ملثمون وبعضهم مقننون . ما أشجعهم . عندما

- لماذا تسأل ؟ هذه دكاني أغلقها وأفتحها متى أريد .

- قف وتكلم معي ، قف ، يقولون لك لا تفتح فلا تفتح ، افتح فتتح .

- من هم يا أفندي ؟

- المخربون ، أنت غريب مثلهم .

- نعم ؟ خفيفة على لسانكم هذه النعمة ، لا أحد يخرب البلاد غيركم .

لم يجب الجندي المتأهب ، فقد هرب الى زاوية الشارع ، وانضم الى مجموعته ، إذ رأى صبية ينسرا كضفادع أطلق الحجاج الباب وتلفت يمينها وشمالا ، ومشى في السوق عائدا الى البيت . لم يكن على عجلة من أمره . فهل خرج من البيت ليعود اليه بعد ساعة واحدة ؟ تطلع حواليه ، المحلات جميعها مغلقة ، إنه إضراب حقا ، قال لنفسه « لو على الإضراب بنضرب ١٠٠ سنة » ، وشعر بالرضا لانه تحدى الجندي وأغلق الدكان . كان لا يفلح الحاج الدكان إلا للذهاب الى الصلاة ، وقد شعر وهو يتصمن في الشوارع الخالية ، بشيء من الخشوع السني يسبق الصلاة : « ماذا يفعلون بـ... »

الآن ؟ ، ودمعت عيناه ، وتغنى لو أنه كان موعد صلاة ليصلي ، ويدعوه له من كل قلبه .

- قف أنت الى أين تذهب ؟

- الى البيت .

- أين البيت ؟

- تصرفون أين البيت ، البيت الذي أخذتم منه

محمد .

- أسأل عن البيت فتقول محمد ، من محمد هذا ؟

- محمد ابني وأنا أبوه ، لماذا أنت خائف ؟ دعني أمر .

- أنت مجنون .

- أنت خال .

أكمل الحاج طريقه ، لكن لم يذهب الى البيت ،

فماذا يفعل هناك ؟ لكن أين يذهب ؟ لقد أطلق تجارته اللبنة ، وما هو يمشي كالمأخوذ ، لماذا لا يطلب مقابلة محمد ؟ لن يوافقوا ، سيذهب ، إن ذهب فليسمع الاهانات فقط ، لأنهم لا يتجملون .

ألا يبى الحجر بيتا ويرفع سورا ومندنة . ويشع
رأس كل محتال رثيم ؟ ما بك واقف ؟ هل أنت
عريب ؟ أنت مع من ؟

انحى الحاج فجأة كأنما بهم بالركوع ، أو كما
ينحني مزارع على ثمار الحقل ، وتناول مثلهم أول
حجر صادفه ، التقطه واستدار وقذفه هـ

هل أصابهم ؟ وبعث من حجر آخر ، حجر أكبر ،
وقدغه بعزيمة أشد هـ . وتناول حجرا آخر
وصوبه حيدا هذه المرة نعم إنه يشعر بالحجل
لأكثر من سبب ، ويعال حبسه بتصبوب المرید من
الحجارة ورحم الميسر ها ، إلا أنه لم يحجل حين
سقطت كوفته ولم يرمها ، فليس به حاجة إليها
الآن ، وقد استبد به لثا حار طويل متقطع ، جعله
يلهج بالشكر واللغات ولا يدري على من ومن
لا يسرى عـ مد سطره سوى ذراعه الحاملة
للحجارة ولا يسمع سوى الصراحت والمهاتات
والطلقات تنمت من جميع الجهات والساء تشهد
على ما يجري بعصم يحاول أن يمسده الى
الوراء ، فيرميه ، ويتقدم حتى استيقظ هناك ، في
المستشفى ، ورأى حوله حلقات كثيرين مصابين مثله ،
وعرف أن الحالة لم تبدأ ، وفتح يديه فإذا هما
سليمتان لم أكن أن أعرف أنني قادف حيد

هذا يكفي هذه المرة إنها أول مرة بدخل فيها
ممركة ، فليشكر القوي القهار وأحد يصحك
مع نفسه كالأخود عبر المصدق اشتاق إلى محمد
دون أن يساوره قلق عليه . ولم يعرف بالصبط
وهو على هذه الحال إن كان قد عاد الى صباه ، إلى
عمر محمد ، لم أنه الآن فقط قد دخل مرحلة الرحولة
الكاملة ١٢

وكلما نظر الى راحة يده كتم صحبته ، وتولته
مشاعر مريخ من الرهو والحجل والحيرة ، ثم أحد
يعرك راحتي يديه متأبيا للخروج دون أن يسأل عن
حرحه وسأل نفسه الى أين ؟ ثم أصاب
ستقودي طريقي كما حدث في المرة الأخيرة وأيقظته
حلبة حوله سيدخل الخنود الى المستشفى ، فهب
واقفا وتقدم الى ملاقاتهم □

كنت صميرا ، في عمر محمد ، لم يمكن أصغر .
كنت أسمع عن الثورة ، ورأيت بعض الثوار
بينادقهم الطويلة ، نعم كان معهم بنادق ، فهل من
المعقول أن تقوم ثورة بالحجارة ؟

فتح راحة يده ونظر إليها فرأى الشقوق المحفورة
فقط في اليد الخافتة ، وحاول أن يتذكر ملمس البندقية
في يده ، يد رجل مثله لا ، لم أحمل بندقية ، فقد
كنت صميرا وبتيا أيضا ، ولم يعطني أحد بندقية ، ولم
أعرف من أين تؤخذ الننادق ، كنت صـ ١٠٤
١٥ سنة ، أصغر من محمد ولكنك
كبرت سائق هنا الآن ، فقد يمر أحد أعرفه
ها هو دكان العطار معلق وهذا صالون أبي رباح
معلق ، ومقهى أبي يوسف معلق أيضا أين ذهب
الناس ؟ متى العمر ولم تحمل سلاحا وها هو
محمد مثلك شجاع نعم ، لكنه لم يحمل سلاحا
وأنت تقول للجنود صادقا بأنه ليس عنده سلاح ،
فكل الأسلحة مع اليهود ، هل خلق الله الأسلحة
لليهود ؟ لا إله إلا الله لست مدسا ولست
فخورا ، ولا يصح أحد بمثل ذلك

هز رأسه بأسى وتدم ، وفتح راحة يده مرة
أخرى . فرأى الشقوق المحفورة ، وكاد يطعمها ،
يطعم يده بية قة ، ثم تمنع ، فمادا لوراه أحد يفعل
ذلك ، ألا ينته بالخنود ، كما فعل الحسدي
« الاسرائيلي » (الخالغ) ؟ ثم انتبه إلى أنه واقف في
مكانه يحدث نفسه ، فانتعص ، ودفع كتفيه ، وعبر
أول عمر حائني مادا يحدث هنا ؟ لقد أصبح في
منتصف المسافة تقريبا بين حشد الخنود وخموم
المظاهرين ، وأحدثته المصاحاة حتى أنه لم يكثر
بسحب الدخان الكثيفة والحجارة المتطايرة ، ولم
يوقفه سوى إطلاق نار عرير بالتمه المظاهرين .
وانحناء مجموعة من هؤلاء على أحددهم وقد سقط
أرضا لا تقل إنه محمد ، محمد بعير ، وهذا الشاب
يعلم الله مدى خطورة أصابته هذا الذي يحدث
أمامك ، وأنت لاتبكي لماذا إذن هذه الدموع ؟
وكاد يجثو بينا الشباب يقدفون مصادر الدخان
والنيران بمزيد من الحجارة ، بالحجارة ، لم لا ١٢

معارك الاستنزاف بين البيئة والإنسان

بقلم : الدكتور سمير رضوان

لطم إنسان القرن العشرين البيئة على خدّها الأيمن ، فلم تدرك له خدّها الأيسر ، بل لطمته على خديه وشدّت أذنيه . ! وما لم يتعظ الإنسان من هذا الدرس القاسي فهو إنما يقامر بوجوده ، وقد يصبح عليه في المستقبل غير البعيد أن يرحل عن كوكب الأرض بلا رجعة . . !

أحدث الدراسات التي أعلنت نتائجها هذا العام ، والتي اعتمدت في قياس عمر الكون على مقارنة نسبة عنصر كوي في صورته المشعة إلى صورته غير المشعة - وهي أحدث طرق القياس المتاحة الآن وأدقها - قد بينت أن هذا التفرير مبالغ فيه - وأن الرقم الأقرب إلى الواقع هو ١٠ إلى ١٢ ألف مليون سنة وقد نوقش موضوع عمر الكون في مؤتمر عالمي عقد في العام الماضي في مدينة نورديكرشن بألمانيا الاتحادية ، كما نوقش فيه أيضا كنه المادة الأولى التي تشكل منها الكون في ذلك الزمن القديم شارك في هذا المؤتمر حوالي ٢٥٠ باحثا في شتى فروع الفيزياء ومن النتائج التي اتفقوا على صحتها أن الدرات التي تتكون منها المادة ومكونات أنويتها المعروفة مثل البروتونات والنيوترونات ليست في الواقع هي المحطة النهائية » عند البحث عن أدق وحدة للمادة . إذ ثبت أن كلا من هذه المكونات يتركب بدوره من جسيمات أكثر دقة يترايط بعضها ببعض ترايطا وثيقا يصعب فك عراه وتجري في معاهد علمية أوروبية عديدة دراسات تعرض من خلالها

تسم معارك الاستنزاف بأنها طويلة المدى ، وأن الغلبة فيها مكتوبة في النهاية لذي النفس الأطول الذي يقوى على امتصاص الضربات وردّها بصورة أقسى وأشد . ولقد بادر إنسان القرن العشرين بالعدوان على بيئة الأرض ولم يكن الدافع من وراء عدوانه هذا شرا متصلا في نفسه إنما وقع هذا التعدي من باب العملة في عمرة تقدمه العلمي والصناعي . وكان من الطبيعي - طبقا لسنة الخلق - أن تقلب البيئة للإنسان ظهر المجن علّه يرتدع ويعلم أنه مجرد أحد أنواع الأحياء التي تحوي عليها فينة الأرض أقدم في الخلق وأثبت من الإنسان - أحدث الأحياء - بل ومن جميع الأحياء قاطبة ، ومن عاداها مدحور بلا أدنى شك منها أول من أساليب القوة ، فهي الأطول نفسا - وهي الأكثر قدرة على تحمل الضربات وردّها الصاع صاعين وثلاثة وأكثر - إذا لزم الأمر .

الأرض قديمة والكون أقدم :

كان يعتقد - إلى عهد قريب - أن عمر الكون يتراوح ما بين ١٦ إلى ١٨ ألف مليون سنة ، إلا أن



كائنات اسحر والبلوت انصار

فيه تنق الأحياء مؤثرا بعضها في بعضها الآخر وفي المادة الصلبة والسائلة والغازية المحيط بها وليس هناك كائن حي واحد إلا ويؤثر في هذه السلسلة ويتأثر بها ، على أنه تأثير يمكن أن يسمى التأثير «العمري» الذي يقع دون تدبير أو قصد من الكائن الحي فالأحياء حين تنفس الأكسجين وتنفذ شرا أكسيد الكربون إنما تؤثر في كيمياء الجو وميكروبات التربة التي تعصم المادة العضوية فيها لتتعدى بها فائرة مواد معينة إنما تؤثر في كيمياء التربة ، ومثل ذلك يحدث أيضا في الماء وباستمرار على أن هذا التأثير العمري في البيئة محسوب ومتوارى ولا صمد من ورائه حتى الحيوانات الضارية لا تؤثر في مسرات الأحياء إلا بمقدار محسوب فمن المعروف أن معظم الحيوانات الضارية لا تعتدي على الفريسة إلا عند الشعور بالجوع ومن أجل سد الحاجة الغذائية فحسب ، وعلى ذلك فلم نسمع عن أن نوعا من الحيوانات انقرض فقط بسبب انقراضه من قبل الصوري

البروتونات والنيوترونات لوابل من درات تندفع بسرعة الضوء بغية فك عرى هذا الارتباط الوثيق والمهدف من وراء هذه الجهودات هو الحصول على الصورة الأولى التي كانت عليها المادة الكون قبل أن تتكثف وتتشكل على صورة نجوم وكواكب وتحدد الإشارة هنا إلى أن العلماء لم ينجحوا بعد في الحصول على هذه الصورة الأولية الأهم على الطريق الصحيح إلى هذا الهدف

كانت هذه المقدمة ضرورية لالقاء الضوء على أصل كوكب الأرض فالأرض مثل شتى الكواكب والنجوم مكونة من درات تكثفت من الصورة الأولى التي سمى العلماء للحصول عليها لدراسها وكشف أسرارها وكوكب الأرض نشأ منذ حوالي ٥ آلاف مليون سنة ، تعرض خلالها لصنوف معقدة من التعمرات التي لم تتوقف في الماضي ولن تتوقف في المستقبل ولقد احتار الله هذا الكوكب ليصبح البيئة التي يعيش فيها الإنسان إلى أن تقوم الساعة وعمر الإنسان على الأرض لا يجاوز مليونا واحدا من السنين وكانت قد سبقته إلى كوكب الأرض جميع المخلوقات الحية الأخرى من ميكروبات ونباتات وحيوانات وقد ظهرت أوائل الأحياء على الأرض منذ حوالي ٣ آلاف مليون سنة

نخلص من ذلك إلى أن الأرض أقدم من الإنسان بكثير وأن الله لم يخلقها بيئة حاصنة به كي يتكرها بل أن الإنسان هو الذي طرأ على جمع الأحياء وكان عليه - لكي تستقيم حياته وحيوات الكائنات الأخرى - أن يتعامل معها ومع البيئة التي تصهمم جميعا بحكمة غريزية أوحدها الخالق فيه بالفعل

كل الأحياء تؤثر في بيئة الأرض :

ولفهم ذلك لا بد لنا أن نتعرض لما هو المقصود « بالبيئة » فنقول إنها هي الطبقة الرقيقة من كوكب الأرض التي تشمل سطح هذا الكوكب وتمتد إلى أعماق قليلة تحت هذا السطح كما تشمل الغلاف الجوي المحيط بهذا الكوكب إلى ارتفاع يبلغ عشرات قليلة من الكيلومترات ، هذا هو ما اتفق العلماء على تسميته « بالغلاف الحيوي » أي الغلاف الذي تعيش

لم يؤثر مخلوق في البيئة كما فعل الانسان :

الارض بعد ظهور النوع البشري قد بلغ ٤٠٠ ضعف لمدلات الانقراض قبل ظهوره ، وهذا يوضح تماما الأثر الحاسم لهذا المخلوق في بيئة الارض ، ولقد كان اختراع الزراعة إحدى الخطوات الأولى التي قضى من خلالها الانسان على أعداد لا تحصى من أنواع النباتات . وذلك من أجل أن يحفظ عددا محددا من الأنواع الأخرى . فالمعروف أن المساحة المزروعة على الارض تبلغ اليوم حوالي ١٠٪ من مجموع مساحة اليابسة، يزرع الانسان حوالي نصفها بثلاثة أنواع فقط من النباتات هي القمح والذرة والأرز . أما الأنواع التي قضى عليها في سبيل الحفاظ على النباتات الثلاثة فتبلغ عشرات الألوف . ومن المعروف أيضا أن انسان القرن الأخير قد قضى على أنواع شير من الحيوانات ، وان كان بعضها قد أمكن الحفاظ عليه من الانقراض في المراحل الأخيرة بعد جهود مضنية

وكثيرا ما كان يقضي الانسان على الحيوانات التي تضمها بيئته بحماقة تدعو الى الاستغراب مثال ذلك الجاموس الأمريكي الذي كان الثروة الحيوانية الرئيسية عند الهنود الحمر قبل أن يحتاج الرجل الأبيض أمريكا . هذه الثروة الحيوانية الكبيرة أوشكت أن تستنزف تماما بسبب هوية الصيد عند الرجل الأبيض في أوائل القرن الحالي . كانت قوافل الصيد تخرج بالمركات الوثيرة لتتوقف بالقرب من قطع الجاموس الذي ينعم بالمرعى في سلام . فيترجل الصيادون ويمطرون الحيوانات بهوابل من الرصاص ثم يتركونها صرعى ويمودون الى مركباتهم وينطلقون بعيدا . هل هناك حاقة أخرب من هذه ؟ لمجرد إشباع شهوة القتل لدى بعضهم أوشك نوع بأكمله أن يقرض لولا أن تداركه المعين بشئون البيئة فجمعوا الأعداد القليلة قبل أن تنتهي وتمهدوها بالرعاية في حدائق وطنية حتى بلغت أعدادها اليوم عدة آلاف ونحن لا نسمي هنا الى حصر ما قارفه الانسان من عدوان على البيئة . إنما قصدنا ذكر أمثلة قليلة فحسب . ويقضي الانقراض أن نذكر هنا أن هذا العدوان لم يكن بمعته في الغالب إلا غفلة الانسان

عندما أنزل الله الانسان الى الأرض منذ حوالي مليون سنة كان تأثيره على البيئة متواضعا ولم يكن يختلف عن تأثير الأحياء الأخرى ، فقد كان هذا التأثير يتسم « بالفرعية » المطلقة . إلا أن الانسان يختلف عن جميع الأحياء الأخرى إذ ميزه الله « بالعقل » الذي تفتقر اليه كل الأحياء الأخرى . وثمة فرق عظيم بين المخ . وهو العضو الموجود في أعداد كبيرة من أنواع الحيوانات - ومن ضمنها الانسان - وبين العقل الذي يتفرد به الانسان ، والذي يستطيع به أن يأتي أفعالا مقصودة ومدبرة فضلا عن الافعال التي تتحكم فيها الغريزة . ولنا بحاجة إلى أن نذكر أن العقل هو مصدر قوة الانسان وسيطرته على الأحياء الأخرى . فالقرد مثلا - وهو أقرب الأنواع للانسان بيولوجيا - لا يمتلك إلا قدرا سيرا للغاية من القدرة على التدبير المقصود لا تزيد عن قدرات الحيوانات الأخرى ، وذلك على الرغم من إمكان تدريبه بعد مشقة على مهارات تبدو عقلية . خلاصة القول أن عقل الانسان قد يسر له استحداث تأثيرات مدبرة مقصودة في البيئة إضافة بالطبع الى التأثير الغريزي الذي أشرنا اليه . ولقد كانت اثار الانسان الأول على بيئة الأرض تغلب عليها السمة الغريزية ويقل فيها التدبير والمقصد . ومع الزمن ، ومع تدرج الانسان في سلم الترقى ، ومع تعقد حاجاته باطراد تزايدت ملكاته التدبيرية ، ومن ثم تأثيره في البيئة .

عدوان الانسان على البيئة :

تدل نتائج الدراسات البيولوجية على أن النوع البشري قد أثر تأثيرا عميقا في البيئة وكان من نتيجة ذلك أن اختلت الموازين السائدة بين شتى الأحياء على الأرض عدة مرات . ومن المستغرب ان أنواع الأحياء التي تعيش على هذا الكوكب اليوم لا تمثل إلا حوالي ١٪ فقط من مجموع الأحياء التي شهدتها الأرض خلال رحلتها الطويلة . معنى ذلك ان ٩٩٪ من أنواع الأحياء قد انقرضت بغير رجعة . كما أثبتت هذه الدراسات أن معدل انقراض الأنواع على

ذكرناها ترتفع مطه شديد في الجو وتستمر حوالى ١٠ سوات كمي تصل الى غلاف الأورون على ارتفاع يراوح بين ٢٥ و ٤٠ كيلو مترا عن سطح البحر والمعى الخطير لذلك أن الشربة لو استطاعت اليوم أن تمتع تماما استعمال هذه العارات - وهو هدف تسعى اليه بالفعل كثير من الدول الصاعه - لما استطاعت على الرغم من ذلك أن توقف تاكل طفة الأورون على الفور بل سوف يستمر هذا التاكل سوات عشرا أخرى على الأقل وهي الفترة التي تستمرقها العارات التي رششها اليوم في رحلتها ويذكرها أن العالم السويدي لارس - مكتشف هذه الطقة - قد أعلن منذ شهور قليلة ان معدل تاكل غلاف الأورون قد انخفض الى حد ما ولكنه مازال في الحدود المرحه

الانسان قضى على أحياء نافعة

لقد قارف الانسان ذلك بالأسلوب عبر الماشر كما قاربه بالأسلوب الماشر أما الأسلوب عبر الماشر فيعود سامة أخرى إلى طاهرة التلوث ، إذ أن هذه الطاهرة قد أدب بالفعل إلى اعتيال أعداد لا حصر لها من الأحياء بل وإلى انقراض الكثير من الأنواع ولا ند أن القاريء قد سمع عن الموت الجماعي للأحياء البحرية الضحمة كالخيتان والدلافين ويميل كثير من العلماء إلى الاعتقاد بأن تلوث المحيطات هو السبب في هذا الموت - ولابد أن القاريء قد سمع أيضا عن موت الأسماك وجميع أنواع الحياة في شتى أقاليم العالم ، وأحر ذلك ما أعلن في الصيف الماضي عن تسمم مقطع من أسالي ببر الرايين في الأراضي السويسرية ، إذ أثبت فحص يجري بصورة دورية « روتينية » على أحياء البحر أن جميع صور الحياة قد ماتت بسبب تلوثها بـ ٩٠ / وشمل ذلك الأسماك - صغيرها وكبيرها - والأحياء الدقيقة التي تمتد عليها هذه الأسماك وقد ظل العلماء السويسريون يصرون أحاسيا في أسداد حول أسباب هذه الطاهرة الماحقة حتى أعلن العلماء الألمان والفرنسيون أن التلوث بالسموم هو السبب فقد حللوا عينات من المياه التي أخذت من الجزء الجنوبي

وحله فهي عمرة التقدم العلمي والصاعى عانت عن الانسان حقائق كثيرة ، أو لنقل تجاهلها دون أن يدر مدى خطورة هذا تجاهل فكانت النتيجة انه اصاب بشه بأضرار نالته يذكر فيما يلي بعضها

الانسان سبب البيئة

لم يشهد الغلاف الحيوي في أية حقبة من عمر كوكبا قدرا من التلوث مثل القدر الذي أصابه خلال العقود القليلة الأخيرة من هذا القرن فقد لوث الانسان التربة والمياه والهواء وطبقات الجو العليا اما التربة فقد لوثها بما ألقى فيها من سموم إما كمتحسسات واسمدة أو كمخادبات للأعشاب والحشرات والأفات أو كمخادبات لمصاعته المدينة ولوث المياه بمخلفات المحاري والصناعة وكمثال وحيد يذكر الأطباء من مساحيق السيل الى سبي الى الأهار والبحار مما رفع نسبة العوسف فيها الى حدود حرجة كما لوث الانسان الهواء بمواد الساراب والمصانع مرفع تركيز ثاني أكسيد الكربون في الجو ولوثه بمخادبات أخرى سامة لم تكن موحدة فيه من قبل مثل أكاسيد الكبريت واليتروحين الناتجة عن احراق الوقود وعن عملية السمد هذه الأكاسيد هي التي تنسب فيما أصبح يسمى المطر الحمضي ، وذلك عندما تدوب في مياه الأمطار التي تصبح أحماضا محمعة تتركز مع الرمن في التربة لتقصي على شتى صور الحياة فيها كما لوث الانسان طبقات الجو العليا وعلى وجه الخصوص غلاف الأورون ، وذلك من خلال الاستعمال المتزايد لمعادن « كلور فلور هيدروكربون » كعاب طارد في عوات الرش المختلفة

يرتفع هذا المعاد بعد تحرره من عوة الرش الى الطبقات العليا فيتفاعل مع الأورون حتى أصبح غلاف الأورون اليوم على درجة من الرقة والصف لم يلمعها من قبل وطقة الأورون هي التي تحمي الحياة على الأرض حيث تمتص الاشعاعات الكونية المهلكة فلا تصل الى سطح الأرض ومن المؤلم أن صور التلوث هذه قد بلغت اليوم بالفعل حدا يصعب معه السيطرة على اثارها السيئة مخادبات الطرد التي

قليلة منها بالوصف . واقتضت سنة الله في خلقه أن تتحرك البيئة من جانبها لكي تصحح هذا الخلل ، وكما هو متوقع كان رد الفعل من قبل البيئة مساويا في عمقه لفعل الانسان مما أدى إلى كوارث حقيقية .

الكوارث الطبيعية في السنوات الأخيرة :

وقعت في السنوات الأخيرة في أنحاء شتى من العالم كوارث عديدة لم تكن تحدث من قبل ، من أمثلة ذلك هطول الأمطار بغزارة في مناطق كان المطر فيها معتدلا ، وانقطاع الأمطار غاما في مناطق كان المطر يهطل فيها ولو نادرا . لقد كان الصيف الماضي في أوروبا مثلا غزير المطر بشكل غير عادي مما أدى إلى تلف المزارع وإلى سيول وانزلاقات وانهيارات أرضية خاصة في المناطق الجبلية . وتسبب ذلك في موت البعض وجرح البعض وتشريد البعض . وتشير الدلائل إلى أن هذه الظواهر الطارئة لها علاقة مباشرة بتمدي الانسان على البيئة . فهل كان هذا التمدي حقا سببا أدى إلى مثل هذه الكوارث ؟ وفي بداية إجابتي على هذا التساؤل أود أن أسجل إحصائية مفزاهة على قدر كبير من الخطورة . تدل القياسات الفيزيائية على أن درجة الحرارة في جو الأرض ترتفع باطراد ، كما تدل أيضا على أن معدل هذا الارتفاع سوف يزداد زيادة كبيرة في المستقبل . لقد ارتفع متوسط درجة حرارة الجو في خلال العشرة آلاف سنة الماضية بمقدار درجة واحدة مئوية إلى درجة ونصف درجة فقط . أما في السنوات الخمسين القادمة وحدها فسوف يرتفع متوسط درجة حرارة الجو طبقا لقياسات دقيقة ما بين ٣ إلى ٥ درجات مئوية . وهذا قدر لا يستهان به على الإطلاق .

ولقد ارتفع تركيز ثاني أكسيد الكربون في جو الأرض في العصر الحديث من جراء احتراق الوقود في السيارات والمصانع ، كما أن مساحات الغابات الخضره التي كانت تستهلك قدرها عظيما من هذا الغاز في عملية التمثيل الضوئي قد تقلصت كما ذكرنا . وهذا هو السبب في ارتفاع حرارة الجو باطراد أضف إلى ذلك أن الباحثين قد اكتشفوا في طبقات الجو العليا غلافا من غاز الميثان (غاز

لنهر الراين . وأثبتوا وجود نسبة مرتفعة من مضاد حشري . كإن يستخدم في هذه المنطقة ، لا بد أنه تسرب إلى النهر متسببا في هذه الكارثة . على أن من أخطر ما تسبب فيه التلوث هو بلا شك موت الغابات في شتى بقاع العالم . ففي أحدث الدراسات التي نشرت عن موت الغابات الصنوبرية في أوروبا مثلا ثبت أن هذا الموت قد بلغ حدودا مرعبة . إذ بلغت نسبة موت الأشجار في هولندا ٥٩٪ وفي ألمانيا الغربية ٥٣٪ وفي سويسرا ٥٢٪ وفي تشيكوسلوفاكيا ٤٩٪ وفي فرنسا ٣٨٪ وفي السويد ١٧٪ . كما بينت هذه الدراسة أن التلوث الصناعي هو المتسبب في هذا الموت . وتتضح هذه الحقيقة من اكتشاف علمي حديث أثبت الدارسون من خلاله أن الغازات التي تنصاعد رأسيًا من المداخل المرتفعة - مهما بلغ ارتفاعها - سرعان ما يتغير اتجاهها في طبقات الجو العليا بزاوية قائمة تماما فتنتقل السواكن موازية للأرض أفقيا مع اتجاه الريح مكونة ما أصبح يعرف « بطبقة الانعكاس » . وفي استطاعة العلماء تحديد ارتفاع هذه الطبقة بدقة ، وكانت المفاجأة أن جميع القياسات قد أثبتت أن معظم موت الأشجار التي نكسو الجبال والمرتفعات يحدث على مستوى طبقة الانعكاس هذه . مما يوفر دليلا ماديا على أن التلوث الصناعي هو المسئول عن موت الغابات .

كيف ردت البيئة على عدوان الانسان ؟ :

ذكرنا بأن كوكب الأرض يبلغ اليوم من العمر حوالي ٥ الاف مليون سنة ، ظل خلالها يتبدل ويتشكل تحت تأثير عوامل طبيعية وكيميائية وبيولوجية لا حصر لها . ولقد كانت الأوضاع السائدة على هذا الكوكب في أية لحظة من عمره المديد هي في الواقع محصلة التوازن الدقيق بين ما أفضت إليه هذه العوامل . ولم يكن هذا التوازن يتعرض لخلل إلا في حدود محسوبة ، وسرعان ما كان يتم تصحيح الخلل مرة أخرى ، دون أن تشعر الأحياء بما يجري في البيئة من حولها . إلا أن إنسان القرن العشرين قد استطاع - بما حباه الله من عقل - أن يتسبب في تغيرات عميقة مقصودة ، تناولنا أمثلة

تصادف طبقة صباء فتجتمع بغزارة هناك مما يخلخل هذه الطبقة فتكسح السيول بسهولة الطبقة التي تعلوها فإذا وقع ذلك على منحدر مثل سلسلة جبال حدثت انبهارات جبارة كالتى سمعنا عنها في منطقة جبال الألب مثلا . ولكن ما علاقة ذلك كله بتدخل الانسان في البيئة ؟ على الأقل في المناطق التي قضى فيها الانسان على الغابات بالتلوث أو بالاجتثاث تبدو هذه العلاقة واضحة جلية . فالمعروف أن الأشجار تمتص كميات هائلة من مياه الأمطار بمجرد هطولها وتميدها بخارا للجو خلال عملية التتح .

الأخطار في المستقبل أعنى وأشد :

ما لم يغير الانسان من نمط سلوكه تجاه البيئة تغيرا جذريا وما لم يتعلم من دروس الماضي القريب فلا شك أنه سوف يرحل عن هذا الكوكب في المستقبل . فهو ليس بقادر على أن يحارب ضد قوانين الطبيعة بأي حال من الأحوال . لقد تجنبنا في مقالتي الخوض في أمور كثيرة - لا يتسع المجال لها - مثل الإشعاعات النووية التي يقتل الانسان الحديث نفسه بها كما يقتل نفسه بالتلوث . تدل أحدث إحصائيات على أن معدل موت البشر بسبب استنشاق مواد سامة ملوثة للجو قد ارتفع في عام ١٩٨٦ بمقدار ٧,٩٪ مقارنة بعام ١٩٨٥ . أكرر أن هذه الزيادة حدثت خلال عام واحد فقط . ولست بحاجة إلى التذكير « بتشيرنوبيل » ولا بأمراض السرطان والحساسية التي تسببها الملوثات . حتى أن مسادة مثل بيركلورواثيلين التي شاع استعمالها في تنظيف الملابس بالبخار أثبتت البحوث مؤخرا أنها تصيب حيوانات التجارب بأنواع من السرطان . على أنني أذكر في الحتام بأن الارتفاع المطرد في درجة حرارة الجو سوف يؤدي يوما بالضرورة إلى ذوبان الجليد في القطبين مما سوف يرفع منسوب المياه في البحار والمحيطات إلى مستوى يفرق تحت مناطق كثيرة من العالم أهلة بالسكان . والأرقام والحسابات مسجلة ومحفوفة لمن يريد أن يقرأها ، ومن قرأها بالإمعان الذي تستحقه تأكدت لديه ضرورة أن يهادن الانسان يشته بل أن يخبط ودعا وأن يدللها . □



حريق ... وتلوث واضح للبيئة

المستنفعات) هذه الطبقة التي نشأت في الزمن الحديث تعكس إشعاعات الحرارة التي تفقدها الأرض عادة في الفضاء . فتعود مرة أخرى لترفع من حرارة الجو . وغاز الميثان هذا تنتجه أنواع لا هوائية من بكتيريا التربة التي تنتمش كلما زاد تركيز ثاني أكسيد الكربون وكلما تشبعت التربة بمياه الأمطار ولكن ما علاقة ارتفاع حرارة الجو بغزارة الأمطار في مناطق مثل أوروبا وندرتها في أفريقيا ؟ يهطل المطر عندما ترتفع - بتأثير الحرارة - طبقات الهواء المشبعة بالبخار إلى أعلى وتصادف برجا باردة تكثف بخار الماء . هذا ما يحدث الآن في أوروبا بغزارة لا مثيل لها من قبل خاصة أن درجات الحرارة ترتفع باطراد كما ذكرنا . أما المناطق الجافة فواضح أن ارتفاع الحرارة يزيد بها جفافا على جفاف . فتريتها أصلا فقيرة في الماء . ومن ثم فالهواء الساخن الذي يصعد إلى أعلى لا يحمل بخارا . لكن ما علاقة غزارة الأمطار بالانزلاقات والانهيارات الأرضية التي سمعنا عنها في أرجاء شتى من أوروبا وأمريكا وآسيا هذا الصيف ؟ لقد درس علماء اليابان أسباب ظاهرة الانزلاقات الأرضية فوجدوا أن معظم الانزلاقات تحدث عندما تتسرب مياه الأمطار في التربة حتى

أرقام

بقلم : محمود المراغي

المهاجرون

العربية المصدرة للبترول رقم يقول : إن عدد العاملين العرب في الخارج يتراوح بين (٥,٥ - ٥) ملايين شخص ، وأن ربع هؤلاء على وجه التقريب يعمل في بلدان غير عربية ، مثل الجنوب الأوروبي الذي ينتشر فيه القادرون من أقطار المغرب العربي .

والأرجح أن هذا التقرير قد جاء متحفظا ، فتعداد المصريين والفلسطينيين واللبنانيين وحدهم يفوق بالتأكيد الرقم الاجمالي الذي أشارت له الدراسة ، ومع ذلك وإذا اعتبرنا الرقم الذي عكف على دراسته الاقتصاديون رقما يقترب من الصحة فإننا لا بد أن نسجل أننا أمام ظاهرة مهمة ، تحتل موقعا متميزا في الاقتصاد العربي ، وفي الخصائص السكانية للمنطقة العربية .

تعداد العرب الآن يقترب من (٢٠٠) مليون نسمة ، لكن قوة العمل التي تمثل القادرين والراغبين في العمل لا تزيد نسبتها عن (٢٨ ٪) ، أي (٥٦) مليونا .

ومعنى الأرقام أن المهاجرين من أجل العمل تبلغ نسبتهم (١٠ ٪) من قوة العمل تقريبا ، أو أن هناك مهاجرا واحدا بين كل عشرة من المشتغلين ، سواء كانوا من الإناث أو الذكور

لكن إذا حاولنا قياس التأثير الاقتصادي فإنه يفوق ذلك بكثير ، فمتوسط دخل المشتغل في الخارج

الترحال نشاط عربي قديم ، وفي صدر الاسلام عرف العرب الترحال البعيد من أجل التجارة تارة ، ومن أجل نشر الدعوة تارة أخرى ، فخرجت القوافل ، وخرجت الجيوش ، وإن أخذت في معظم الأحيان شكل « الترحال المؤقت » .

أما الآن فيأخذ الترحال طريقا آخر ، فدول الأنهار كانت أكثر استقرارا من الناحية الزراعية والنشاط الاقتصادي والسكاني بشكل عام ، وكانت المهجرة منها محدودة للغاية ، لكن بعد أن أصبح العمل في السنوات الأخيرة سلعة قابلة للتداول وللتصدير تغير الوضع ، وأصبحت هذه البلدان - مثل المغرب ومصر والسودان - أكثر قدرة على تصدير قوة العمل .

لقد تغير المألوف ، وأصبحت أقطار عربية كثيرة في دائرة الجذب ، بعد أن كانت في دائرة الطرد . والأهم أن المنطقة العربية قد أصبحت واحدة من المناطق الرئيسية في العالم التي أصبحت تعرف ظاهرة المهجرة ، فاستقبلت وصدرت بالملايين .

العرب المهاجرون

في تقرير عن مستقبل الاقتصاد العربي حتى عام (٢٠٠٠) أعدته أمانة الجامعة العربية والصندوق العربي للإعانة وصندوق النقد العربي ومنظمة الأقطار

وادخاره يفوق دخل المشتغل بالدخل وإدخاره بعشرة أصناف

كما أن ذلك العدد المنتشر في أرجاء العالم كافة تنوع تخصصاته من بسيطة كعمال الساء ، الى مهين معقدة وحررات عالية طائفا أطلقا عليهم اسم « محبرة الأدمعة » ، والأكيد أن حررا كبيرا من الريف السوري الذي يتم من العالم الثالث ويتجه للعالم الأول مصدرة الوطن العربي وفي كل الأحوال فإن عصرنا رئيسيا للمحبرة يلعب دوره . وهو تماوت المسوى الاقتصادي . وثمن العمل في مختلف الأسواق

من الرواج الى الانكماش

رحفت العمالة العربية الى المحارح في فترات الرواج ، ومعظمها في فترة الرواج المعطى صحيح أن عمالة كثيفة قد انتقلت في وقت مكر من المغرب والحرائر وبلدحة أقل من تونس الى فرنسا وبعض الأسواق الأوروبية . وصحيح أن كمهات علمية سافرت من مصر ولسان والسودان وغيرها للعمل في الشمال الأمريكي أو الشمال الأوروبي ، لكن الأغلب الأعم حاء مصاحبا للرواج ، وحاء لشارك في عمليات الساء الأساسية التي شهدتها أقطار المعط العربية في السبعينات

لذا فعندما بدأ الانكماش في دول المعط ، وعندما عكس الركود في العالم الصناعي نفسه سات الانكماش في سوق العمل أمرا مطلقا وطبقا للدراسة السابقة فإنه من المتوقع أن يحمص عدد العاملين العرب خارج بلدانهم الأصلية نسبة تتراوح بين (٢٠ / و ٢٥) عام ١٩٩٠ ، أي نسبة ٤ /

مسويا تقريبا سد عام ١٩٨٥ حتى بداية الحقة القادمة

الأسباب واضحة ، قمع انكماش إيرادات المعط انحصت الاستثمارات والشايط الاقتصادي شكل عام ، ومع مرور السوات حدث تشبع في بعض الأنشطة الخدمية ، وما يتصل بالبيئة الأساسية والتشييد ، وكان من الطبيعي أن تحصر بعد ذلك هذه الأنشطة

الأسباب إذن متعددة ، وحطط دول المعط ترور أي نوع من العمالة يقع في دائرة الاستعفاء ، فالخطة الحمسية تستهدف تحمص العمالة الأحية التي بلغت ثلاثة ملايين مشتغل بمقدار (٦٠٠) ألف حلال سوات الخطة ، وبصمهم عن يعملون في التشييد

قطاع التشييد أول القطاعات الطاردة ، وتليه قطاعات أخرى في الإدارة والخدمات والتجارة ، لكن . وعلى القيص ، قد سمر قطاعات الصناعة والزراعة والقل قطاعات حادة

على أي حال فإن هذه التحولات في سوق العمل سوف يصحبها ارتفاع في الأهمية السية لمشاركة الوطنيين في دول المعط بالأنشطة المحلصة وعلى العكس سوف تكون عودة هذه العمالة التي نبدأ سالأقل مهارة مشكلة حقيقية في الأقطار العربية الأخرى التي طالما اعتمدت في الخقة الماصية على أعداد أكثر وتحويلات أكر للعاملين في الخارج

الآن تواجه هذه الأقطار مشكلة نقص في المواد ، خاصة من العملة الأحية ، كما تواجه مشكلة العائدين ، وبصمهم على سوق العمل إنها معصلة الحاجة الأكثر للاستثمار ، والقدرة الأقل في مصر الوقت ، فهل تستطيع ؟ □

● لا بدع قوم جهاد في سبل الله الا صرهم الله بالذل

(ابو بكر الصديق)

● لانسب الذين لا يعمل علمه دلسحه المعروفه . لا نمد ها

(ابو حبان الوحيدى)



سنة العربي

قضية

نحن لانزرع الشك !

بقلم : فوزى عبدالقادر الفيشاوي *

وردية تلك الصورة التي ترسمها أجهزة الاعلام الجماهيرية ، لذلك النوع من التقنية ، المسمى « الهندسة الوراثية » . وأخشى أن يكون التنقيب عن المشاكل والمعوقات ، والتفتيش - بدأب - عما تضره صدور المضارين والسماصرة في سوق الجينات مخيباً للأمال ، معتما للصورة . والحقيقة فان أي ظلال تصنعها المعرفة سوف تفيد - حتماً - في إعادة التوافق للشكل النهائي للصورة . إن الحديث هنا محاولة للبحث عن مواقع (الظلال) في صورة وردية لامعة . . !

مشاكلها . هذه التقنية ستخفض أسعار السلع والمنتجات . هذا المستحضر الجديد سيعالج السرطان . هذه التقنية ستحل مشاكل العالم الغذائية . هذه الفكرة ستجعل الأدوية أرخص . !! وحتى لا نكون كمن يفكر بمجموعة من « الأكليشيهات » الجامدة ، دون أن يحاول الاهتداء إلى الحقائق عن طريق البحث الحر النزيه ، فإننا ستحاول عرض القضايا والمشاكل الحقيقية التي تواجه

يبدو أن تاريخ العلم سيسجل بأن علماً من العلوم لم يحظ بمنزل ما حظيت به الهندسة الوراثية من دعابة وترويج وتلليل في أجهزة الاعلام الجماهيرية ، ومن ثم فإن هناك هدفاً رئيسياً لجذلي هنا ، وهو أنه من الواجب أن يكون تجاهونا مع هذا اللغو الدعائي الذي يحيط بالهندسة الوراثية تجاهونا نقدياً ، فالدهش حقاً أنك حينما وجهت نظرك ستجد تسليحاً خيالياً مبالغاً فيه : هذه التقنية قد حلت

أربعين سنة . أرأيت - إذن - أن المسألة أعقد مما تصور ؟ !!

هذا بالإضافة إلى أن هذه الجينات تقوم بعمليات منظمة لا تعرف طبيعتها بشكل دقيق ، فالمعروف أن أي خلية في الجسم تحتوي نواتها على الامكانيات الوراثية الكاملة اللازمة للقيام بكل التفاعلات الضرورية للكانن ككل ، ومع ذلك يظل أكثر من ٩٥٪ من المخزون الوراثي لكل خلية في حالة صامته ، حيث يتم (كبت) كل الجينات ، ما عدا تلك التي تقوم بوظيفة خلية الكبد أو الدم أو الطحال ، وهكذا . ولا يعرف تماماً كيف يحدث ذلك ، وبالتالي سيكون الشروع بالعبث في هذه الخلايا وتحريك الجينات بينها - دون توافر المعرفة الكافية عن كيفية عملها - مسئولية بالغة الخطورة . !

بكتيريا « فرانكنشتين » في حالة مخاض

قبل عقدين من الزمن ، وفي بداية عصر نسخ الجينات ، رأى كثيرون ومنهم العلماء أخطاراً كبيرة محتملة للهندسة الوراثية . وقد أدت هذه المخاوف إلى صدور قرار رسمي بتعليق هذه الأبحاث مدة ثمانية عشر شهراً (من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٧٦) . وقد تركزت تلك المخاوف في احتمال تحول بعض هذه الكائنات الدقيقة غير الضارة نسبياً إلى كائنات شديدة الخطورة عند نقل جينات إليها في شكل جزيئات DNA مطعّم . وقد تساءل بعضهم : ماذا لو أن بكتيريا ايشيريشيا كولاي - التي تعيش غالباً في أمعاء الانسان - حملت جينات لانتاج الكحول مثلاً ، ثم تسربت إلى أمعاء الانسان ، ألا يمكن أن يؤدي ذلك إلى أن يصبح البشر جميعاً مدمنين للكحول ؟ وتساءل آخرون : ماذا لو حملت تلك البكتيريا جينات جديدة (لتحطيم السليولوز مثلاً) ، ثم تسربت إلى أمعاء الناس ، فهل ستسبب مشاكل غير متوقعة ؟ . ومن طريف ما يروى في هذا الشأن أن دكتور « آندا شاكرا باري » الذي يعمل في معهد جنرال اليكتريك للبحوث والتنمية بنيويورك كان قد نجح في عزل جينة الميكروب المشلول عن هضم

هذه التقنية الجديدة ، والتنقيب تحت ما يصل إلى أسماخنا من ضجّة إعلامية ، مع إبراز التضمينات الاجتماعية للهندسة الوراثية للمناقشة الواسعة بكل موضوعية .

دائرة معارف الجهل

ضحك العالم طويلاً حيناً أصدرت إحدى دور النشر الانجليزية في الآونة الأخيرة أول « انسيكلويديا » دائرة معارف للجهل قد ضمت إجابات أكثر من ٦٠ عالماً دولياً لسؤال مفاده : ماهي الأسرار التي لم تعرفها البشرية بعد عن الكون والطبيعة والانسان ؟ وفي مجلدين ضخمين جاءت ردود العلماء لتؤكد بأن هناك مناطق جهل كثيرة ، وفراغات واسعة في المعرفة الانسانية بالعام من حولنا . !

ولو شئنا لاتبعنا نفس المنهج عند مناقشتنا مدى القصور الذي يعتري المعرفة الانسانية بطبيعة الجينات الوراثية ، وهي العوامل الأساسية التي صارت لعبة العلماء المفضلة فيما تعارفوا على تسميته « الهندسة الوراثية » . فماذا لو علمت أن الانسان يمارس - الآن - لعبة خطيرة ، وهو يجهل أصول اللعبة ومفرداتها ، فالمعرفة الانسانية بوظائف « الشيفرة » الوراثية محدودة للغاية ، ومعظم هذه المعرفة تتركز على إحدى سلالات بكتيريا تسمى ايشيريشيا كولاي E. Coli ، وهي السلالة (K12) ، ولم تزد معرفة الانسان على مدى الثلاثين عاماً الماضية على حل رموز « الشيفرة » الوراثية في ثلث ملايين من الشريط الوراثي (DNA) لتلك البكتيريا ، البالغ طوله مليون متر واحد ، والذي يحتوي على ٥٠٠٠ جينة بسيطة في التركيب الوراثي بالمقارنة مع غيرها من الجينات في الكائنات الأعلى كالتنديات ، ففي الخلية البشرية يصل طول الشريط الوراثي حوالي مترين ، ويصل عدد الجينات المعروفة منها حتى الآن حوالي ثلاثة آلاف جينة فقط ، ولهذا لكي نستطيع التعرف على تركيب الشريط الوراثي الكامل للانسان نحتاج إلى ستة آلاف باحث يعملون مدة

الحميرة ، فلعلمها تكون أكثر أماناً . !
وفي أحيان أخرى يتعطف هذا الميكروب المعدل ،
فيمطيك ما تريده دون مظاهر السمية ، لكنه
بتكاليف أهل بكثير عما لو أنتج بالطرق التقليدية .
فقد بدت للعالم إمكانية إنتاج زيت النخيل من
البكتيريا ، وحينما قدرت التكاليف كانت المفاجأة ،
فقد وصلت ألفي جنيه للطن الواحد ، في الوقت
الذي يبيع فيه سعر طن زيت النخيل المنتج بالطرق
التقليدية حوالي ٤٠٠ جنيه ، وكان معنى ذلك ألا
نهتم بالانتاج الميكروبي لكل ما يتكلف إنتاجه بطرق
الاستخلاص الحالية من المادة النباتية .

والآن هل أدركت أصول اللعبة ؟ إن اللعبة على
المعوم هي أن تحتضن شركات الهندسة الوراثية ،
الطلب على العقاقير والمنتجات (غالبية الثمن) ،
حيث تستطيع تطبيق مجال المنافسة لضمان استرداد
تكاليف التطوير الباهظة . إنها لا شيء !
مكلفة . !

أسطورة الدواء الرخيص

لعلك تذكر معي قائمة الأدوية التي يُنتظر مساهمة
الهندسة الوراثية في إنتاجها (الانسيولين ،
الانترفيرون ، هرمونات النمو ، مستحضرات
الدم ، أنزيمات يوروكيناز) . ألا نلاحظ بأنها جميعا
مجموعة من الأدوية (العلاجية) (غالبية الثمن)
لمجموعة من الأمراض (المربحة) ؟ وتلك يا
سيدي ، هي محاور نشاط شركات المستحضرات
الطبية التي تبحث دائما عن منتجات جديدة يمكن أن
تباع بكميات كبيرة بهامش ربح كبير ، حتى تسترد
تكاليف التطوير والترويج ، فالانسيولين - على سبيل
المثال - يفي بالكثير من معايير المستحضر الناجح
المربح ، فهو من ناحية يعتبر الحبل الأمل لعلاج
مرض السكر الذي يعاني منه كثيرون في العالم ،
حيث يبلغ الاحتياج العالمي له أكثر من ٤٠٠ مليون
مليون دولار ، والمتوقع تضاعف حجم هذه السوق
باستمرار ، ومن ثم فقد قدمت شركة « إيلي ليلي »

السليلوز في أمعاء المواشي وزرعها في الشريط
الوراثي لبكتيريا القولون التي تعيش في أمعاء
الإنسان ، وبعد أن تمت التجربة بنجاح تخوف من
إمكان انتشار هذا الميكروب المعدل في أمعاء البشر ،
فعل الرخم من أنه سيقوم بهضم سليلوز الخضراوات
التي نتناولها ، ويحولها إلى سكر سهل الامتصاص من
أمعائنا إلى دمائنا ، لكن ذلك قد يكون له آثار جانبية
ضارة . ومن يدري ، فربما أحدث هذا الميكروب
إسهالا مزمنًا ، أو قد يؤدي إلى تكوين غازات كثيرة
قد تحدث الانتفاخ ، (ومن أجل ذلك) قام
(الرجل) بتدمير هذا الميكروب . وعلى حد قوله :
(حق لا تحمل وزر أمر خير محمود العواقب) .

وهكذا فقد استقر رأي العلماء على ضرورة إحكام
السيطرة على مثل هذه الكائنات ، بينما يرى آخرون
بأن هذه البكتيريا المعدلة ، قد ذلت في المعامل
بدرجة مفرطة ، بحيث أصبحت غير قادرة على
منافسة البكتيريا التي تعيش في الأمعاء .

حينما يحصدون السراب

ذكرنا بأن معظم معلوماتنا الوراثية عن وظائف
الجين قد بنيت على أساس الأبحاث التي أجريت على
بكتيريا القولون ، ومن ثم فلم يحظ أي ميكروب
بمثل هذه العناية والدراسة والتدليل ، حتى صارت
شهرة في أبحاث الهندسة الوراثية على كل لسان ،
لكن - كما يقولون - لكل ميكروب (هفوة) ، فقد
أعلنت شركة جينيتك Genetech عن ردو. فعل
معاكسة للدفعات الأولى التي أنتجتها من هرمون
النمو البشري المسمى « سوماتوستاتين »
Somatostatin ، وقد أرجعت ذلك لوجود الجند
الخلوية البكتيرية التي تحتوي على مادة سامة تسمى
Lipopolysaccharide endotoxin ، وهي مركب
سمي ، يصعب فصله تماما عن الأدوية المنتجة من
إيشيريشيا كولاي . أرايت ؟ ! حتى هذا
الميكروب المدلل أحيانا يجيب الآمال ، ويتعين علينا
البحث عن (بديل) ميكروبي ليحل محله ، وتتم لهذا
السبب دراسة أنواع أخرى من البكتيريا أو

● نحن لا نزرع الشك !

النوعين الأولين من الانترفيرون المنسوخ ، قد أظهرنا بعض الفاعلية ضد أنواع معينة من السرطان ، لكنها يظهران في معظم الوقت أقل فاعلية من طرق العلاج التقليدية ، كما قد يسيان أعراضا جانبية تشبه الانفلونزا ، كما أن نجاح الانترفيرون في علاج بعض الأمراض الفيروسية مثل التهاب الكبد الوبائي والهيريس والرشح الاعتيادي لا يعد مبررا لمثل هذه الضجة ، فالنظرة المنصفة للأمور تبين أن الملايين ممن تصيبهم الحصبة أو شلل الأطفال أو الالتهاب الكبدى وغيرها من الأمراض الفيروسية هم في الأغلب من الفقراء المحرومين من الرعاية الصحية الذين لا يمكنهم بأي حال الحصول على الانترفيرون ، ذلك الدواء الأرستقراطي ، ومن يعانون أصلا من سوء التغذية ، بحيث لا يستطيعون مقاومة تلك الأمراض ، فيبدو أن الكثير من الفيروسات لا يقتل إلا من أضعفهم الفقر والاستغلال !

أما عن هرمونات النمو فيكفي أن نذكر بما قاله مدير شركة سلتك ، من أن حجم سوق هرمون النمو البشري يبلغ في أمريكا نحو مائة مليون دولار سنويا ، هذا بالإضافة إلى تقدير آخر ظهر عام ١٩٨٢ يقول بأنه من الممكن تسويق ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار سنوياً من هرمونات نمو الماشية والخنازير ، فالهدف إذن ما يزال البحث عن الربح ، على الرغم من أن الممارسات الأخيرة تزيد من احتمالات ترك بقايا الهرمونات في اللحم ، فترة ليست قصيرة عقب الذبح ، ومن ثم فمن الممكن أن يتلقى من يأكلونه جرعات من هرمون النمو ذات آثار جانبية طيبة خطيرة تؤثر بشدة على الغدد الصماء في الأطفال . وليست ذكرى ما حدث للأطفال في بورتوريكو متا بعيدة !

أما عن العلاج بالجينات فالكثير من العلماء يعتقدون بأنه طب تجريبي شديد التعقيد ، مستهلك للموارد ، فسي أنيمسيا البحر المتوسط (التالاسيميا) ، يفكر العلماء في علاجها عن طريق ابتلاع جينات طبيعية إلى خلايا نخاع ،

للأسواق نوحا من الأنسولين البشري ، تم إنتاجه من بكتيريا معدلة ، لكن المهم أن هذا الأنسولين لن يكون رخيصا ، كما قد يأمل بعضهم ، وهكذا ترى أن جهود شركات الهندسة الوراثية تتجه أصلا ببخونها باتجاه يرسخ في الأذهان : أن لا مفر ، فالمرض مؤكد ، ودائما معنا ، وليس أمامنا إلا علاجه . هكذا يروجون ، دون أي محاولة للاستفادة من الهندسة الوراثية في محاولة وقف زحف هذا المرض ، وليس علاجه المستمر بحلق الأنسولين ، حيث إن مرض السكر يستحضر معه دائما أضرارا للمعينين والقلب والجهاز الدوري والأطراف والاصابة بالغرغرينا ، وهذا وضع لا تحلقه شركات الأدوية ، لكن من الضروري أن نؤكد أن هذه الشركات تشتبك في جريمة استمرار هذا المرض بسبب تركيز بحوثها وجهوداتها التسويقية باتجاهاتها الحالية . إنه جدل حول العلاقات الاجتماعية التي تحدد الأولويات الأجدر بالرعاية : بحوث الطب الوقائي لمحاولة خفض الطلب على الأنسولين ، أم بحوث تطوير الأدوية والعلاجات التي يتزايد الطلب عليها باستمرار مع تقدم المرض وتفاقمه . لكن يبدو أن هذا هو عين الهدف المطلوب !

أدوية وعلاجات أرستقراطية

منذ أن نجحت مجموعة « تشارلز وايزمان » في دفع بكتيريا معدلة لإنتاج « انترفيرون » بشري قامت الدنيا ولم تقعد حتى الآن ، وصاحب ذلك ضجة إعلامية مدوية ، يدعى أنه العلاج الأمثل لمرض السرطان وكثير من الأمراض الفيروسية ، ولا يخفى أن هذه الضجة يخف من ورائها بالتمويل شركات دوائية عملاقة ، يمحها مزيد من الترويج في الوقت الذي يعتقد فيه كثير من العلماء بأن هذا الادعاء باطل فالانترفيرون ليس بالعلاج الأمثل للسرطان ، لأن هناك طرقا عديدة أقل إثارة يمكن أن نطرحها لنزع السرطان ، غير أنها - ويا للأسف - لا تتوافق مثل توافق الانترفيرون مع البناء الاجتماعي والاقتصادي للدول الصناعية الكبرى ، فالشابت - علمياً - أن

.. الجسم عمله الطبيعي الذي اقتده منذ ظهور المرض ..

ويرى كثير من العلماء بأن من الصعوبة بمكان املاج الجينات في خلايا النخاع بطريقة مأمونة مضبوطة فاعلة ، والأهم من ذلك أن هذه التقنية - عالية التكلفة - هي مجرد محاولة (لمعالج) أفراد ، وليست أبدا أسلوبا للوقاية الشاملة من المرض .

وحق لا نسترسل دعنا تسأل : من يستفيد من كل هذا النشاط ؟ بعض الناس ، بالتأكيد ، لكن المؤكد أنهم سيكونون تلك الأقلية (المقنطرة) التي تزود حاليا بكل ما تحتاجه من مستحضرات وخدمات طبية راقية ، وحتى تكاليف توفير العلاج هؤلاء المرضى لن تنخفض .

وهكذا إذا كانت التطبيقات الطبية للهندسة الوراثية سوف تقلل من معاناة الانسان ، وتسمح بمعالج بعض الأمراض بشكل أكثر فاعلية ، كما ستضيء بعضاً من مناطق الجهل الطبي الحالي ، وهذا لا شك يعد تقدماً ، إلا أن العلماء لا يعتقدون بأن الهندسة الوراثية سوف تخفض أسعار الأدوية ، أو أنها ستولي اهتماماً أكبر للأسباب الاجتماعية للأمراض ، أو أنها ستمنح الناس سيطرة أفضل على تطوير الرعاية الصحية ، ذلك لأن شركات « البيوتكنولوجيا » يبدو كما لو كانت تستخدم الهندسة الوراثية أساساً لتطوير الطب العلاجي ، بحيث يصبح مصدراً لمستحضرات أو علاجات لبعض الأمراض . مستحضرات وعلاجات تهمل تماماً دور الطب الوقائي بما يمثله من تحصين ضد المرض ، كما تهمل تماماً دور العمليات الاجتماعية

والاقتصادية التي تصيب الانسان بالمرض . ولعل ذلك مما يعتم الصورة اللامعة للهندسة الوراثية ، ليس لأن معظم القاصمين على شركات المستحضرات الطبية لا يتحمن بأن صهمهم لن يس حياة ملايين من الناس أبداً ، بل لأن لهم أولويات وأفكاراً - غير إنسانية - عن الطب والعلاج . إن فكرهم - بساطة - أنه عليك أولاً أن تجمع الثروة ، ليتمكنك بعد ذلك أن تشتري الصحة وإلا فلا صفقة . !

إن هناك علماً قد ولد ، وإن هناك علماء يعملون ، على الرغم من المشاكل وتعقدها ، ومع كل يوم يتبد جانب آخر من مناطق الجهل العلمي ، وتتضخم المعرفة الانسانية بشكل أدق وأشمل ، لكن المهم ألا نفعل المراجعة الاجتماعية الدائمة لتلك العائلة ، أقصد تلك الطرق الحديثة لصناعة الأشياء المسماة « الهندسة الوراثية » .

إن أحداً لا ينكر أننا نعيش الآن مرحلة « محورية » في تاريخ العلم ، تفتح فيها منافذ لقوى هائلة للتدخل في عمليات الحياة ، وما يجري الآن من مجالات الابتكار هو من الضخامة والخطورة بحيث يتطلب الضمض الكامل والمراجعة الاجتماعية قبل التنفيذ ، إلى تقييم موضوعي للأشياء ، نزع فيه عن عيوننا تلك التوهيمات الهلالية التي تروج لكل شيء على أنه التقدم الخالص ، الميسر من الميب ، ولتساعدنا على تصور مستقبل حقيقي بكل ما يتطوى عليه هذا المستقبل من خسائر وأرباح محتملة . ! □

● اذا قبلت عليك الدنيا فانفق فانها لاتغنى ، واذا ادبرت عنك فانفق فانها لاتبقى .

● النار فاكهة الشتاء ، والحلق دهليز الحياة . (من أمثال العرب) .

● كم من عليل قد تحطاه الردى ، فجاء ومات طبيبه والعود . (علي بن الجهم)

● ما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع . (عمر بن الخطاب)

الجدید فی العلم والطب



إعداد : يوسف زعلابي

● هذا مايشير به عقار قديم معروف اكتشف المليء بالصدفة فاعليته في تجديد حيوية الشيوخ ، وقد أثبتت هذه الفاعلية ، التجارب العلمية العديدة التي أجروها عليه في الآونة الأخيرة ، فبات مرشحا لترخيص جديد تصدره وكالة الغذاء والدواء في واشنطن ، وتبيح بيعه واستعماله من أجل تجديد الحيوية وتنشيط الخلايا ونحو الأوعية .

ذلك أن العقار راتين أ (Ratin-A) معروف في الأسواق منذ سنة ١٩٧١ حين رخصت وكالة الغذاء والدواء استعماله لمعالجة حب الشباب ، فالعقار اذن بحاجة الى ترخيص جديد يقر استعماله الجديد ، وقد تقدم العالم الباحث الذي طور هذا العقار بطلب هذا الترخيص الجديد الذي يتوقع الكثيرون صدوره عن الوكالة المعنية في مستقبل غير بعيد .

ومن طريف ما يذكر ان اكتشاف فوائد راتين - أ ضد الشيخوخة جاء بمحض الصدفة في أواخر سنة ١٩٨٧ ، فقد اتفق لبعض المعجزة اللواتي استعملن العقار - بقصد التخلص من حبوب ظهرت على وجوههن وتشبه حب الشباب - أن لاحظن اختفاء الكثير من تجاعيد وجوههن نتيجة استعمال العقار ، وهودة الكثير من نضارة الصبا التي فقدنها وتحررن على فقداها منذ زمن بعيد ، فحلت النشوة محل الحسرة ، بقدر ما حلت النضارة محل التجاعيد .

وما أسرع ماوصل خبر هذا الأثر السحري الى العالم الدكتور البرت كليجمان استاذ امراض الجلد في جامعة بنسلفانيا ، وهو الباحث الذي نجح في تطوير العقار قبل عشرين عاما ، فماد يجري التجارب والتحليل من أجل الثبت من حقيقة ذلك الأثر ، وفوجيء العالم الباحث بما أثبتت تلك البحوث العديدة الشاملة من فاعليات العقار (راتين أ) وأثاره ، فقد كانت مذهلة بحيث اضطر « البروفيسور كليجمان » الى تكرار تجاربه وأبحاثه وتحاليله حتى اذا ثبتت حقيقتها بما لا يقبل الشك تقدم الى وكالة الغذاء والدواء يطلب الترخيص الجديد على نحو ما أسلفنا .

ونوجز فيما يلي تلك الفاعليات المثيرة :
* أسهم العقار في تجديد خلايا الجلد .

هل في الامكان

رجوع الشيخ

إلى صباه ؟



الالب الت
يوما عماره بردد على
السة الشيوخ ، لكن
هل يحسم عفار راس في
تحديد حيويه اخلاسا
وشاطها وعمو الاوعه
وعلاح الشجرحه ؟

• ساعد على غو الأوعية الدموية

• نشط انتاج الياف (الكولاجن) و (الاكتين)

• تنفى من الحروق الجلدية التي يسببها الافراط في التعرض لأشعة الشمس
وتجدر الاشارة الى أن طريقة استعمال راتين أ - المرهم - بقصد مقاومة
الشيخوخة تكون بطلاء الحسم به مرة واحدة في اليوم وذلك على مدى ستة شهور
على ألا يغالي المرء في استعماله وإلا تعرض الجلد لالتهابات هو في عى عها
ومرهم الراتين لا يكسب مناعة ضد أشعة الشمس وان كان ذا قدرة على معالجة
الحروق التي قد تسبب بها ثم انه لايفيد كثيرا في حالة التجاعيد العميقة التي ترافق
سبه . خة الثمانينيات والتسعينيات



يحرص الجراحون كما هو معروف على رصد كيمياء دم المريض ، حين
يجرون لقلبه العملية الجراحية الخطيرة (القلب المفتوح) وهم يولون
للذوائب أو الشوائب الكهربية (electrolytes) مزيدا من اهتمامهم ، والقصد
من ذلك انما هو المحافظة على محتويات الأكسجين وثاني أكسيد الكربون في الدم
ضمن الحدود السوية ، وقد درجوا على إرسال عينات الدم من غرفة العمليات إلى
أقرب مختبر يتوافر لديه جهاز التحليل المطلوب (Bench-top analyzer) ، لكن
هذا الجهاز لا يؤدي مهمته بسرعة ، وقد يحتاج الى نحو ٤٥ دقيقة لانجاز
التحاليل ، ثم إنه بالغ التكاليف . من هنا كان الاهتمام البالغ بالجهاز الجديد الذي
طوره مؤخرًا إحدى الشركات الأمريكية والذي أطلقت عليه اسم (GEM-6) ،
فهو جهاز صغير نسبيا ، ويوصل بأجهزة القلوب والرئات الصناعية التي لا غنى
للمريض عنها أثناء العملية ، ويقوم الجهاز المذكور بالتحاليل المطلوبة في غضون
دقيقتين فحسب . ويقوم بها « أوتوماتيكيا » لدى الضغط على زر من أزواره
فأنت لا تكاد تصفط على هذا الزر حتى يتطلق الجهاز في عمله ، فيسحب من

جهاز جديد

لعمليات القلب



جهاز حدد سمحه في
عملات الذهب - هـ سمه
التحليل انطاله حلال
مفسر الى الصعظ حل
احد ا هـ

دم المريض ٢ سم وذلك عبر الرقة والقلب الصناعين ، ثم يتولى تحليل أو تحديد ٦
محتويات موجودة في الدم هي : (الأكسجين) و (ثاني أكسيد الكربون)
(البوتاسيوم) و (الكالسيوم) و (الهماوكريت أو نسبة الخلايا في الدم)
(توازن PH أوت ١) ، فالزيادة أو النقصان الذي يطرأ على هذه المحتويات في
دم المريض أثناء العملية ، ذو خطورة كبيرة على حالته

ويتم ذلك بواسطة خرطوشة أو لفافة جمعت فيها الشركة مقومات التحاليل
المطلوبة جميعها ، وهي تحتوي على كل العناصر الهامة (محاليل) و (وصاء
للغذائيات) و (قطب كهربائي elec.rude) ، أضف إلى ذلك أن هذه الخرطوشة
معدة للاستعمال مرة واحدة وللطرح في سلة المهملات بعد أداء مهمتها

وتجدر الإشارة إلى أن ثمن جهاز (GEM-6) الواحد يبلغ (١٦٠٠)
دولار ، يضاف إلى ذلك ثمن الخرطوشة البالغ (٣٠٠٠) دولار ، وتلك هي
الأثمان المقررة لأسواق الولايات المتحدة وأوروبا واليابان



ساد الاعتقاد بأن الباحث على طرف الميون إنما هو جفاف الجو وحاجة العين
إلى الرطوبة. لكن البروفسور جون سترن ، أستاذ علم النفس في جامعة
واشنطن في سانت لويس يتساءل : إن كان ذلك هو سبب طرف الميون حقاً ،
فلماذا لا تطرف عيون الأطفال الرضع إلا قليلاً ، طرفة واحدة كل بضع دقائق ؟
ولماذا تؤكد الدراسات والاحصاءات أن لا علاقة تذكر بين رطوبة الجو وجفافه وبين
كثرة طرف الميون أو قلته ؟ » .

لقد دلت الأبحاث العلمية الدقيقة على أن لطرفة العين علاقة بما يختزنه المرء
من معلومات ، وما يتخذه من قرارات ، وما يتجزئه من أعمال عقلية شاقة ، ودلت
أبحاث أخرى على أن للتمب والقلق علاقات وثيقة بطرف الميون ، بحيث يزداد
هذا كلما كثر ذاك .

لماذا تطرف الميون ؟



اليونسكو..

عطاء الثقافة والعام والتربية

استطلاع : صلاح خرين



في موقع غير بعيد عن برج إيفيل في العاصمة الفرنسية ، باريس ، يقوم
مبنى فريد في معماره ، يحيطه سوران ، واحد من الاسمنت ، وآخر من أعمال
١٦٩ دولة هي أعضاء الدول المشاركة في منظمة اليونسكو التي تحتل هذا
البناء .

فهل هي المفارقة أم الصدفة ، التي جمعت رمز فرنسا انوطني وهذه
المنظمة الدولية في هذه الرقعة الضيقة من إحدى عواصم العالم الثقافية ؟ .

منذ بدأ المؤتمر العام أعماله قبل ذلك بنحو أسبوعين ،
وسط أقوال بأن ذلك هو أهم مؤتمر تمعده منظمة
اليونسكو في تاريخها .

كانت النقاشات قد انتهت ، والاتفاقات قد
تمت ، والمراهنات قد أرسيت ، وأصبحت النتائج
شبه مؤكدة ، ومع ذلك فقد جاء كل هذا الحشد
ليشهد نتيجة حدث عرفت مسبقاً ، وكان هذا بعد
ذاته دليلاً على تاريخية اللحظة وتفردها .

كان المدير العام السابق للمنظمة أحمد مختار امبو ،
الذي شغل هذا المنصب منذ عام ١٩٧٤ قد أعلن
سحب ترشيحه ، ورشح المجلس التنفيذي للمنظمة
الدولية السيد فيديريكو مايور لهذا المنصب . وحسب
ما هو معروف فإن من الصعب عدم انتخاب شخص
رشحه المجلس التنفيذي ، لأن ذلك يعد نوعاً من
الطعن في هذا الترشيح . وهكذا كان ، فقد انتخب
مايور بأكثرية ١٤٢ صوتاً من أصل ١٤٩ صوتاً ،
وبدأ فصل جديد من تاريخ اليونسكو ، فما هي هذه
المنظمة ذات الاسم الغريب ؟ متى تأسست ؟ وما
أهميتها حتى تكون موضع نقاشات واتفاقات في
أروقة المبنى الكبير يقوم بها ممثلون لدول تغطي
مساحاتها الأرض كلها ؟

الحروب وحصون السلام

في عام ١٩٤٦ ، وبعد أن خرج جزء كبير من
عالمنا من حرب مدمرة كلفت البشرية أكثر من ٥٠
مليوناً من القتلى ، قررت عقول مستتيرة مثقفة أن
تتبني فكرة سقراط القديمة الداعية إلى القضاء على
الجهل ، وعلى التضايف من أجل الحؤول دون اقتال
الناس مرة بعد أخرى ، وهكذا ولدت اليونسكو ،

قال لي الأستاذ الطيب صالح ، ونحن نقف
بباب القاعة الرئيسية في مقر منظمة اليونسكو
بباريس ، نرقب نتيجة التصويت لانتخاب مدير عام
جديد للمنظمة خلفاً لمديرها السابق أحمد مختار امبو
« انك الآن تشهد لحظات تاريخية من لحظات هذه
المنظمة ، حيث يترجل فارس كبير ظل يحتل قمة
اليونسكو عدة سنوات قدم خلالها للثقافة خدمة
لا تنسى » .

كان ذلك في السابع من نوفمبر من العام الماضي ،
يوم انتخب المؤتمر العام لليونسكو السيد فيديريكو
مايور الابيان الجنسية مديراً عاماً للمنظمة ، خلفاً
للسيد أحمد مختار امبو الذي تسلم الإدارة العامة
للمنظمة دورتين متتاليتين بين عامي
١٩٧٤ ، ١٩٨٧ .

كانت القاعة تنفس بالحضور . وفي البهو
الخارجي لم يكن هناك موضع للقدم ، وفود رسمية ،
صحفيون ، مصورون ، موظفون ، زائرون ،
ومدهون ، جامعو من أربعة أطراف العالم ليشهدوا
هذا الحدث التاريخي الذي أشار إليه الأستاذ الطيب
صالح ، المدير الاقليمي لليونسكو في منطقة الخليج
العربي . وكان الانتخاب ذروة لأيام من المناقشات
والمشاورات والاتفاقات بين ممثلي الدول المختلفة
حول انتخاب المدير العام الجديد . وعلى منصة
الرئاسة جلس رئيس المؤتمر والأعضاء يشرفون على
عملية الاقتراع ، وانجمت أصيخ الجميخ إلى
الصندوق الزجاجي الذي توسط المنصة ، احتشد
المصورون الصحفيون ، ومثلو وكالات الأنباء ،
وأجهزة الاعلام العالمية ، ليسجلوا عملية الاقتراع
ولحظة إعلان النتيجة التي شغلت الاوساط العالمية

بعض هؤلاء يعمل في مشروعات ميدانية أو في المكاتب الإقليمية للمنظمة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، والبعض الآخر يعمل في مقر المنظمة الدولية ، في ساحة فونتونا ، على مقربة من برج إيفل الشهير ، الذي يعد رمزاً ليباريس ، وهو مجمع معماري فريد عرف بشكله الثلاثي المميز ، لكن هذا البناء واحد من عدة أبنية تشكل مجموعتها مقر اليونسكو .

وإلى جانب ذلك ، فهي الكبرى بين منظمات الأمم المتحدة ، نظرا لانتساع نطاق أنشطتها ، إذ يبلغ عدد موظفيها نحو ٣٥٠٠ موظف ويشارك في هذه الأنشطة عدد لا يحصى من الشخصيات والمؤسسات ، إلى جانب أعضاء اللجان الوطنية التي تتوزع على أراضي ١٤٠ دولة ، فضلا عن علماء وكتاب وفنانين وأدباء ينتمون إلى ٤٥٠ منظمة غير حكومية في جميع أنحاء العالم ، تنح للمونسكو المجال للاستفادة من الموارد الفكرية في كافة أرجاء المعمورة .

ولكن رغم هذا الاتساع والتنوع في أنشطة اليونسكو فإن كثيرا من الناس لا يعرفون بالضبط ما هو مجال هذه الأنشطة وأين تنتهي حدودها . بل إن صورها ترسم بحسب صورة المكان الذي يعيش فيه هؤلاء ، فبالنسبة لكثير من الأفارقة مثلا تأخذ اليونسكو صورة المنظمة التربوية التي تشرف على تخريج كوادر المعلمين ، وهي في المنطقة العربية تأخذ صورة الهيئة الدولية التي تشرف على إنقاذ الآثار وترميمها ، وربما تدعى إلى الأذهان الحملة المجيدة لانقاذ آثار النوبة بمصر في نهاية الخمسينيات ، عند بناء السد العالي ، أو الحفاظ على المناهج التربوية ، وحرية البحث العلمي ، خاصة فيما يتعلق بالمشكلات الناجمة عن ظروف الاحتلال الاسرائيلي ، وللأراضي العربية . وبالنسبة لرجال العلم فإنها الهيئة التي أنشأت في جنيف المنظمة الأوروبية للبحوث النووية ، وبالنسبة للكتاب والناشرين ، فإنها الهيئة الدولية التي ترمي الاتفاقية العالمية لحقوق المؤلف ، والتي تؤمن حق المؤلف أو

التي كان أحد أهدافها توفير الثقافة للجميع . السلام والثقافة إذن هما الكلمتان اللتان تتمحور حولها أنشطة المنظمة الدولية منذ نشأتها في ذلك العام التالي على انتهاء الحرب المدمرة . لذا كانت الجملة الأولى في الميثاق التأسيسي لليونسكو هي : « لما كانت الحروب تولد في عقول البشر ، فحق عقولهم أيضا يجب أن تبني حصون السلام » ، وعليه فإن كل ما تقوم به اليونسكو منذ إنشائها يستهدف السعي إلى إحلال السلام بين الشعوب

وتنص الفقرة الأولى من المادة الأولى على أن « الهدف من إنشاء هذه المنظمة ، هو الاسهام في مجال السلم والأمن ، من خلال نشر روح التعاون بين الدول بالتربية والعلوم والثقافة . وهكذا جاء اسم المنظمة مكونا من الأحرف الأولى لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة .

UNITED NATIONS EDUCATIONAL SCIENTIFIC AND CULTURAL ORGANIZATION (UNESCO)

وتضم اليونسكو ١٦١ دولة عضوا ، وثلاثة أعضاء متسبين ، ودولة لها صفة مراقب هي الفاتيكان ، وتشمل هذه الدول الاتحاد السوفيتي بمساحته الشاسعة التي تعادل سمس الكرة الأرضية ، وجمهورية سان مورينو التي لا تتجاوز مساحتها عشرات الكيلو مترات المربعة ، وجمهورية الصين الشعبية التي يتجاوز عدد سكانها المليار نسمة . وهذه الدول جميعا أصوات تدلي بها في أوقات الانتخاب وفي أي عملية تصويت أو اقتراع أخرى جنبا إلى جنب ، وعلى قدم المساواة .

واليونسكو أيضا هي الأشهر بين أربع عشرة هيئة من هيئات الأمم المتحدة التي لها اختصاصات محدودة ، فهي أشبه بأمانة دولية يعمل فيها مواطنون من كافة بلدان العالم ، منهم الإداريون والاختصاصيون والخبراء في مجالات مختلفة ، مثل علم الزلازل والمصادر الجديدة للطاقة ، وتمويل مشروعات التربية ، وتنظيم الأسرة ، وغيرها .



● رئيس المؤتمر يعلن فوز قدر يكم ما به نصيب القدير العبد النبوي



1940



Journal of Management Inquiry 18(6)

الناسر . وتحفظ له في جميع أنحاء العالم . . . وهكذا . . .

متاعب وأزمات

في بداية أعمال المؤتمر الأخير لليونيسكو ، شدد المدير العام السابق للمنظمة على ضرورة الاستمرار في بذل جهود ملحوظة من أجل تحسين صورة اليونسكو في أوساط الرأي العام الدولي كما تحدث عن المآزق المالي الذي تواجهه ميزانية ، والذي يرتبط أساساً بتقلب أسعار الدولار ، وذكر أن ميزانية اليونسكو ، قياساً بمظنومة الأمم المتحدة ، هي منذ عام ١٩٨٠ الأقل حظاً ونحواً .

ولم يكن حديث المدير العام السابق عفويا على أي حال ، إذ أن له ما يربطه بجمعة أحداث جعلت اسم المنظمة الدولية يتصدر عناوين الصحف وأخبار وكالات الأنباء العالمية ، كما أن له ما يربطه بسير أعمال المؤتمر ، أدى فيما بعد إلى سحب أحد مختار امبو لترشيحه وسير الأمور بعد ذلك نحو ترشيح المجلس التنفيذي ، وهو الهيئة التي تدير أعمال المنظمة بين مؤتمرين ، للمدير العام الجديد فيدريكو مابور ، فما هي قصة الأزمة المالية ؟ وما هي أسباب الحديث عن ضرورة تحسين منظمة محترمة من منظمات الأمم المتحدة لصورتها في أوساط الرأي العام العالمي ؟

للإلام بالصورة بشكل أوضح ، علينا العودة إلى عام ١٩٨٣ . ففي شهر ديسمبر من ذلك العام وجه وزير خارجية الولايات المتحدة جورج شولتز رسالة إلى المدير العام للمنظمة تتضمن إشعاراً بانسحاب الولايات المتحدة من اليونسكو ، اعتباراً من ٣١ ديسمبر ١٩٨٤ . وفي فبراير من عام ١٩٨٤ ، أثار عضو الكونغرس الأميركي جيس شوير أثناء لقائه بالمدير العام ، إمكانية إجراء دراسة لأعمال اليونسكو ، فوافق الأخير على أن تتم هذه الدراسة وفقاً للمواصفات المتبعة في منظمات الأمم المتحدة ، وفي مارس من العام نفسه أبلغت الحكومة الأمريكية المدير العام بنتها إرسال ممثلين لمتكثف تدقيق الحساب التابع للكونغرس إلى المنظمة ، وفي الشهر التالي

بعث وزير التنمية لما وراء البحار في بريطانيا رسالة للمدير العام لليونسكو ، يوضح فيها سياسة بلاده تجاه المنظمة ، وفي ١٦ أغسطس من العام نفسه وجهت هولندا رسالة للمدير العام بشأن سياسة بلادها تجاه المنظمة . وتتسارع الأحداث رغم محاولات بستها الهيئة التنفيذية للجنة الوطنية الأميركية لنونسكو ، لاقناع الولايات المتحدة بالمدول عن عزيمها الانسحاب من اليونسكو ، فتم الانسحاب بالفعل في ٣١ / ديسمبر ١٩٨٤ ، وتبعتها بريطانيا بإشعار بالانسحاب . وفي الشهر نفسه تعلن ستغافورة عن رغبتها في الانسحاب من المنظمة أيضاً .

مايلفت النظر هو أنه في هذه الاثناء صدر بيان باسم مجموعة « ال ٧٧ » في المنظمة الدولية أشار إلى تنازلات ملموسة قدمتها الدول النامية عبر مندوبيها في المجلس التنفيذي لليونسكو .

إذن فهناك الدول النامية وهناك الدول الغربية الكبرى ، الولايات المتحدة ، وبريطانيا وهولندا وكل من هذين الطرفين يقف في جهة وهناك صراع خفي خلف ما هو معلن ، وهناك تنازلات وتنازلات ملموسة . . .

ولكن ما هي القضية التي أدت إلى انسحاب الولايات المتحدة من المنظمة الدولية ، ومن بعدها بريطانيا وستغافورة ؟ لقد أثار إعلان الولايات المتحدة الأميركية قرارها بالانسحاب ، أصدااء واسعة تناقلتها وسائل الاعلام العالمية ، ونشرت دعاوى ومزاعم مختلفة تتعلق بالتهجمات المنظمة ، وأنشطتها ، وكيفية إدارتها . وقد تحدثت تلك المزاعم عن نوع من العصر الذهبي ، كانت المنظمة خلاله بعيدة عن التوترات العالمية ومثار إعجاب الجميع دون استثناء ! عما يعنى ضمان أن المنظمة دخلت حيز التوترات العالمية ، وأن الماضي المجيد للمنظمة وثى إلى غير رجعة ، ووجهت اتهامات لليونسكو بظغيان الاعتبارات السياسية على عملها وذلك عبر تعاون الموظفين ومثلي الدول من البلدان الاشتراكية ورعايا العالم الثالث ، كما أثبتت مسألة المونوات التي تقدمها المنظمة لحركات التحرر الوطني

خارج الميزانية مساوياً للتمويل العادي تقريباً ، لكنه في الفترة الأخيرة زاد عن الميزانية العادية ، وتحت هذا البند - بند التمويل الخارجي - قام الكثير من المشاريع في بلدان العالم المختلفة ، وكان لوطننا العربي نصيب كبير منها

وكلا الأسلوبين من أساليب التمويل يشكلان المورد الأساسي الذي تقوم عليه كل الأعمال العظيمة التي صنعت لليونسكو هذا الاسم الكبير .

ولأن وطننا العربي لا يسبح فوق بحر من النفط كما يحلو لأجهزة الاعلام الغربي أن تقول ، بل يقوم فوق مواقع أثرية وتاريخية وبجوارها ، فإن صورة اليونسكو في أذهاننا نحن العرب ترتبط بعمليات التنقيب عن الآثار والحفاظ على الآثار المكتشفة وحمايتها من المخاطر ، سواء كانت هذه المخاطر على شكل احتلال كالاحتلال الصهيوني للجنات على جزء من أرضنا العربية ، أو كان عوامل طبيعية كالزلازل ، أو العجز المالي عن الحفاظ على هذا الكنوز الأثرية ، أو عدم وجود خبرات تستطيع القيام بهذه المهمة غير السهلة .

هذا كله كانت العمليات الخارجية في مثل أهمية العمليات الأخرى التي نمولها اليونسكو باعتبارها جزءاً من مهمتها ، وربما كانت العمليات الخارجية أكثر أهمية ، ففي السنوات الأخيرة كانت ميزانية تمويل العمليات الخارجية أكبر من الميزانية المخصصة للعمليات المذكورة من داخل اليونسكو .

ويشرف على تنسيق أنشطة العمليات والتمويل الخارجي السيد « بقدر ولد علي » الذي توجهت إليه « العربي » وطرحته عليه سؤالاً عن العمليات الخارجية والتمويل الخارجي وجوابه المختلفة .

قال ولد علي : إن التمويل الخارجي قد يكون عن طريق دولة أو بنك ، أو مؤسسة مالية . في البداية تجري الدراسات الميدانية ، وبعد ذلك يأتي دور التمويل ، وهذه النقطة البسيطة ظاهرياً تلخص جوهر الفرق بين العمليات التي تقوم بها من خارج الميزانية ، وبين العمليات الممولة بالميزانية العادية والتي تهدف أساساً إلى دعم التعاون الفكري بين

وقضايا خلافية أخرى .

وبالطبع فإن كل هذه الاتهامات تعكس وجهة نظر واحدة ، لأنرى بروز دور دول العالم الثالث التي تحررت من الاستعمار بين تاريخ تأسيس المنظمة عام ١٩٤٦ ، وبين الثمانينيات . وتسمى أن لكل من الدول الأعضاء مثلاً في اليونسكو يحمل وجهة نظر بلده السياسية ، وأن المنظمة أنشئت تطبيقاً للمقولة التي ذكرناها سابقاً ، التي وردت في بداية الميثاق التأسيسي لليونسكو ، والتي تقول :

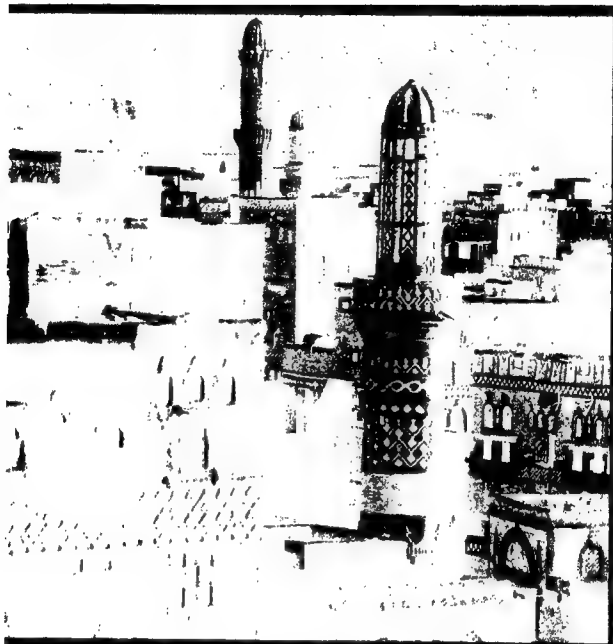
« لما كانت الحروب تولد في عقول البشر نفس عقولهم يجب أن يبنى حصون السلام » .

وفي هذه المقولة يبرز ذلك الرابط القوي بين السياسة والثقافة ، والذي على أساسه قامت فكرة اليونسكو ، التي تتكون من دول لكل منها سياستها الخاصة .

لكن انسحاب الولايات المتحدة لم يكن مسألة هينة ، فهي صاحبة أكبر نسبة مساهمة في تمويل أنشطة اليونسكو ومشاريعها ، ومن هنا كان حديث المدير العام السابق عن الأزمة المالية التي عانت منها المنظمة ، ومازالت تعاني ، حتى بعد انتخاب مدير عام جديد ، حظي انتخابه بأغلبية ساحقة . فمن المعروف أن برامج اليونسكو يتم تمويلها من خلال المنظمات الأعضاء فيها ، وذلك بنسب تتفاوت حسب ثراء هذه الدولة وغناها واستعدادها ، ومن هنا كان انسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا صربة مؤثرة ، وربما كان من إنجازات المدير العام السابق أنه استطاع أن يستوعب هذه الصربة ، وأن يستمر في تسير العمل منها وتنفيذ مشاريعها دون أن يلجأ إلى طلب مساهمات مالية إضافية ، كما قال في كلمته التي أشرنا إليها سابقاً .

العمليات الخارجية

ولكن مسألة التمويل لا يحكمها هذا البعد الواحد فقط فإلى جانب الأنشطة التي تقوم بالميزانية العادية التي تتكون من مجموع حصص الدول ، هناك أنشطة أخرى ، لاسيما أنشطة العمليات الخارجية ، التي تمول من خارج الميزانية . وقد كان التمويل من



● (هرق) مدينة صنعاء
واحدة من مدن أثرية علي
وضعت ضمن قائمة التراث
العالمي . و (أسفل
القدس ، لها وضع استثنائي
ضمن قائمة التراث العالمي

مشاريع في دول قادرة على التمويل ، لكنها غير قادرة على تقديم الخبرة ، وأبرز مثال على ذلك بناء متحف بليبيا يتمول ليس وخبرات قدمتها لهم البنسكو ، وقد قامت المنظمة بأعمال مشابهة في الاسارات ، والجزائر وغيرها من الاقطار العربية .

ومن الاجراءات المثبتة في مثل هذه الحالات قال ولد على ان الحكومات المعنية تقوم بالاتصال بالبنسكو بشأن مشكلة تتعلق بصلب اختصاصنا فان كانت لدى الحكومة خبرة كافية بالموضوع ، فانها ترسل لنا الملف كاملا ، والا فاننا نقوم بارسال خبراتنا لدراسة الامكانيات المالية ، ونجميع المعلومات الأساسية ، وقد نتصل نحن بجهات التمويل المناسبة باعتبارنا همزة الوصل بين الطرفين . وبعد ذلك نبرم اتفاقيات مع الحكومات الممولة ، والتي من حقها معرفة كيفية الصرف ، فلا يبقى بعد ذلك إلا المرحلة العملية . وهكذا فإننا نقوم بدور حيادي نلعبه باعتبارنا موظفين في منظمة دولية بغض النظر عن اختلاف جنسياتنا .

التربية . . والنقط

ولكن ماذا عن المنطقة العربية ومدى استفادتها من عمليات التمويل الخارجي ، خصوصا بعد انخفاض أسعار البترول ؟

يجيب « ولد على » :

بالنسبة لنا معظم المشروعات التي نفذت في المنطقة العربية كانت حول التربية ، والنصف الآخر حول الاعلام وما يتعلق به ، مع بعض الاستثناءات بالطبع ، فقد كان لنا الشرف لأن نبادر إلى دراسة مشروع عن الزلازل في المنطقة العربية ، وانطلاقا من هذه الدراسة التي لقيت استقبالا جيدا في الوطن العربي تم تمويل خمس مشروعات في المغرب ، والجزائر واليمن الشمالي وسوريا ، ومازال العمل جاريا في هذه المشروعات .

أما المشروعات الأخرى ، والتي نصفها تربوي كما ذكرنا ، فهناك مشروع التجديد التربوي ويتضمن شبكة لايصال المعلومات بين بلد وآخر من وطننا العربي . . وهناك مشروع آخر لادخال

الطرفين . وذكر ولد على أساء السويد وألمانيا الغربية ، واليابان والسعودية ، والعراق ، وليبيا والكويت باعتبارها أمثلة للدول التي تسهم في تمويل العمليات الخارجية . وبالتالي ، فإن انسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا لم يؤثر على سير العمليات الخارجية . . نظريا على الأقل .

أجاب : إن التمويل الخارجي قد يكون عن طريق دولة أو بنك ، أو مؤسسة مالية في البداية تجري الدراسات الميدانية ، وبعد ذلك يأتي دور التمويل ، وهذه النقطة البسيطة ظاهريا تلخص جوهر الفرق بين العمليات التي تقوم بها من خارج الميزانية ، وبين العمليات الممولة بالميزانية العادية والتي تهدف أساسا إلى دعم التعاون الفكري بين الطرفين . وذكر ولد على أساء السويد وألمانيا الغربية ، واليابان والسعودية ، والعراق ، وليبيا والكويت باعتبارها أمثلة للدول التي تسهم في تمويل العمليات الخارجية . وبالتالي ، فإن انسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا لم يؤثر على سير العمليات الخارجية . . نظريا على الأقل .

ولم ينس « ولد على » أن يشير إلى أهمية دور العمليات الخارجية بالنسبة للعالم الثالث ، ومنه أقطارنا العربية ، وضرب مثلا على مشروع في أوروبا يستفيد منه العالم الثالث أيضا ، وهو مشروع المشكلات الثقافية للعمال المهاجرين في أوروبا . لكنه لم يتبلور بعد .

وحدد جهات التمويل من خارج الميزانية بأنها جهات دولية مثل صندوق التنمية للأمم المتحدة ، والمعروف باسم (UNDP) والذي يمول ٥٠ بالمئة من هذه المشاريع ، أو بنوك أو صناديق التمويل ، وهي صناديق الثمانية مثل البنك الأفريقي ، والبنك الاسلامي والصندوق العربي في الكويت وغيرها . وحكومات مثل ألمانيا ، الكويت ، السعودية ، السويد ، العراق وغيرها .

وأشار ولد على إلى نوع آخر من التمويل كان متطلبا بسرعة في الوطن العربي لكنه تقلص وتراجع بعد انخفاض أسعار النفط المالية . وهو يتضمن تنفيذ

« الكمبيوتر » في العملية التربوية ، ومشروع ثا لتطوير الصناعات التربوية ، وذلك عن طريق مساعدة وتوزيع وتسويق أدوات الدراسة بـ شرائها من الخارج

وفي هذا المجال ذكر « ولد علي » بعض الحقائق المرة ، فقال « اننا في الوطن العربي لامتلك مصرا لأقلاء الرصاص على سبيل المثال »

ومضى يمدد المشروعات التي يتهتم بمويلها حارحيا ، مشروع لمحو الأمية في موريتانيا ومشروع للحفاظ على التراث القديم ، ومدرسة لتدريب المعلمين في المغرب ، ومشروع لتحفظ التربة في الجزائر ، ومشروع مكتبة الوطنية لخرق ، ومشروع لتوسيع التربة في تونس ، ومشاريع سرودت في ليبيا مثل مشروع عبود البحار ومشروع جامع بنغازي وطرابلس ، ومشروع كـ في مصر يموله البنك الافريقي للتنمية ومشروع عن معلومات في سوريا ، ومشروع لتطوير التعليم المهني في العراق ، وعدة مشاريع السمودية ، أحدها بالتعاون مع مؤسسة الملك عبدو كمؤسسة وليس كدولة

وبالمقابل فقد توقف مشروع في البصرة بسبب الحرب ، واوقف الكثير من الأنشطة في لبنان ، حالت طرود بتدوير المظفر في تنفيذ مشرو لحامدة الفلسطينية المفتوحة ، وذلك بعد أن قلده نقر برا شاملا عنها مستحقين في ذلك بحراء فلسطينية عديدة

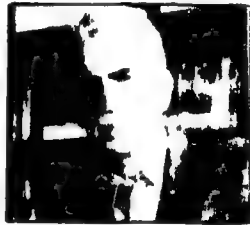
وتما لو أنه ود أن يهي حديثه بالتذكير بتعام أوضاعنا العربية التي كدنا نساها ونحن نتحاور أرجاء المبنى الضخم ، قال « ان وراء التربو العرب واقفوا على تمويل بحثات دراسية للطلبة الفلسطينيين ، لكن لم نحصل الا على ١٢٠ ألف دولار ، وهو مبلغ زهيد بالمقارنة مع ثروات الوطن العربي .

التراث والاحتلال

كان هذا حديث التمويل والخبرات ، وفي المجال التربوي بشكل خاص ، إلا أن صورة اليونسكو و



● «الطرب صا» امنا الاقلمس للوستولندول
لعمرية في الحلب



● بشدور ولد عسى ، مسزون تسق اشطه
لعمليات والتحويل احارحي



● مير موشاقي مسؤل الحملات الدولية
ومشاريع العمليات بمسم لتراث الثقاف

العالمى ، وافقت عليه ٩٦ دولة أسهم فيه الأعضاء بنسبة ١٪ من نسبة مساهمة كل منها في المنظمة ، وشكلت لجنة دولية ينتخب أعضاؤها بشكل دورى للإشراف على مثل هذه العمليات .

وعن الطريقة المثلى لوضع مدينة ، أو موقع أثرى ضمن قائمة التراث العالمى قال السيد بوشناقى إن لكل دولة الحق في تقديم طلب بالمواقع الأثرية التي تريد الحفاظ عليها ، أو التتقيب فيها ، أو وضعها ضمن قائمة التراث العالمى فتقوم المنظمة بعرض الأمر على اللجنة التي تتعاون مع مؤسسة مختصة بالتراث لتقوم بدراسة الموقع والبث في شأنه ، وقد وضعت قائمة بأسماء المواقع والأماكن الأثرية تشكل مجموعها عملاً الذي تقوم به الآن وتضم القائمة مدينة شيبام في اليمن المدعراطى ، وصنعاء في اليمن الشمالى ، وصور وبلنجان ، والبصرة في الأردن ، قرطاج في تونس ومواقع عديدة في سوريا أهمها مدنها تدمر الأثرية

للقديس وضع خاص

وصاد عن القدس ، تلك المدينة العظيمة المقدسة والتي يروح الحزب الشرقى القديم منها تحت الاحتلال الصهيونى مد أكثر من عشرين عاماً ؟ يجب مسؤول الحملات الدولية ومشاريع المصمات بالقدس وضع خاص ، منذ ١٥ سنة اتخذ قرار بإيلاء أهمية خاصة للقدس ، بحيث أخرجت من إطار لجنة الحفاظ على التراث ونقلت الى اختصاصات المجلس التنقيدى والمؤتمر العام ، وهما أعلى هيئتين من هيئات اليونسكو والقدس هي المدينة الوحيدة في العالم التي تتمتع بهذا الوضع ، وربما كان هذا من الأسباب التي دعت الى انزعاج « إسرائيل » وأمريكا وبريطانيا ودول غربية اخرى ، فهي المدينة الوحيدة في العالم التي توضع صورها أمام العالم أجمع ، وليس أمام لجنتنا فقط . فالقدس مدرجة ايضاً ضمن قائمة التراث وضمن قائمة التراث تحت الخطر ، وهي قائمة أخرى ، وقد كان ذلك بقرار عربى جماعى ، وهذا يجعل « إسرائيل » تتردد أكثر من مرة قبل ان تقدم على

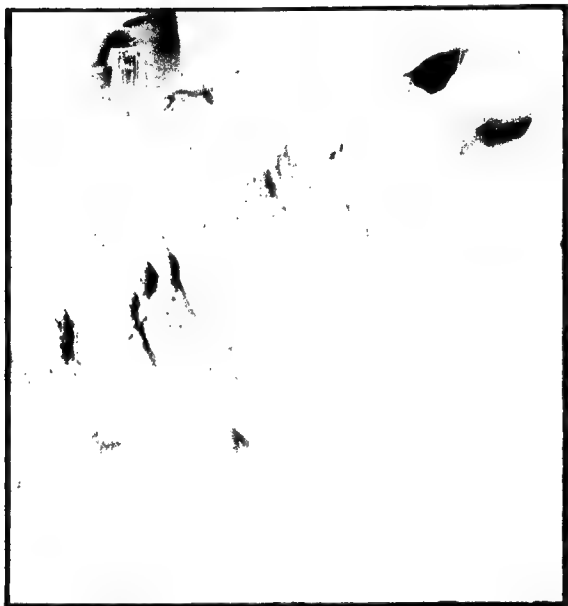
أذهانتها كعرب ارتبطت بالتراث الحضارى الذي تزخر به متقلتنا العربية من أقصاها الى أقصاها ، وبالحفاظ على الأماكن الأثرية التي كثيراً ما تتعرض لمشكلات تنجم عن اضطرابات تصنف بالمنطقة بين حين وآخر . وربما كانت حملة إنقاذ آثار النوبة في الخمسينيات أول فرصة برز فيها اسم المنظمة الدولية على النطاق العربى في هذا المجال فرسمت لنفسها هذا الانطباع الأول الذي مازال سائداً حتى اليوم .

وفي السادس والعشرين من أكتوبر من العام الماضى أصدر المدير العام السابق لليونسكو نداء للدولة بحملة دولية للحفاظ على المواقع الأثرية في « صور ، وحولها ، والتي أصبحت الآن في حالة بائسة

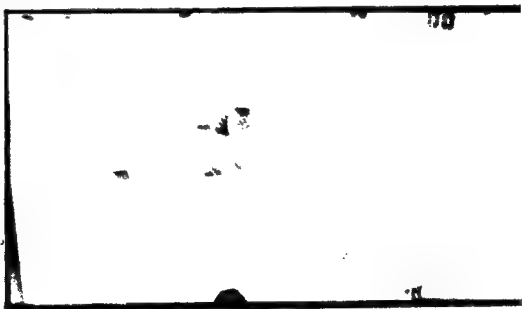
ولست « صور » هي المدينة الوحيدة التي تصعب آثاراً إنسانية خالدة ، وتمش في الوقت نفسه في حالة مائمه ، فحينئذ مر الاحتلال الاسرائيلى توجس العالم ، تحصر حملة ، وتدهست الى الأدهان صور السطو « آثار وتاريخيه من ملات البحر الميت ، وحتى ساحة معصر الكتوز الأثرية من كنيسة القمامة ، « الة أحياء بكاملها » المدينة المقدسة بعد الاحتلال بقليل ، وذلك ما رُفِض من ان ناهها يعود الى عصور قديمة ، ويحم البشرية حماء المحافظة عليها ، ورحمة الأحياء نفسها مدعق أثرية . إلى جانب دولها أماكن للسكنى

مير بوشناقى . هو مسؤول الحملات الدولية ومشاريع العمليات الذي يتبع قسم التراث الثقافي التابع بدوره لقطاع الثقافة والاعلام عندما توجهت إليه « العربى » بدأ الحديث وكأنه عرف السؤال مقدماً :

قطاع التراث الثقافي معروف جيداً لأنه يقوم بعمليات إنقاذ وترميم الآثار ، ونحن الذين قمنا بتنفيذ مشروع إنقاذ آثار النوبة . ونعتقد أن من أهم إنجازاتنا أننا جعلنا العالم يعرف أن التراث الذي يوجد في بلد ما هو تراث للعالم كله . لذا وضعت مديرية الآثار والتراث الثقافي نصوصاً قانونية وافقت عليها أكثر من ٩٠ دولة ، يتعلق بعضها بحماية التراث العالمى ، كما تأسس صندوق للتراث



● النصف العلمي
الكروي (فوق)
ساحل اليوسكو
تقديم أنشطته
وتنظيمه والنصف
الليبي بطرابلس (إلى
اليمن) أشرفت
اليوسكو على
تنظيمه



وقاعة لمعرض الفن الاسلامي وتنظيم أرشيف للمخطوطات الاسلامية ومتحف يضم كل الوثائق والمخطوطات العربية الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس ، وقد بدأنا العمل الذي لم ينته بعد والذي كلف أكثر من ١٠ ملايين دولار دفعته السعودية .

طلبات صغيرة

ولكن هذه المشاريع الكبيرة التي تمولها دول غنية ليست كل شيء ، فهناك أحيانا طلبات صغيرة أخرى من جانب بعض الدول التي تمولها الميزانية الاعتمادية للمنظمة ، مثل طلب سوريا المساعدة في شراء فرن لترميم فسيفساء المسجد الأموي ، وطلب من البحرين لترميم قلعة هراد وطلب من قطر لبعض الخبراء لاجراء دراسات في مدينة زبارة .

وأسأله عن آخر طلب عربي فيجيب السيد بوشناقى :

الأردن طلب منا المساعدة في حياطة قطعة أثرية نادرة ، وحين سألته عن آخر أعيان السراقات الأثرية ايتسم وقال : مازالت هنا تشكايات بهذا الخصوص فهناك نزاع بين الأردن والولايات المتحدة حول قطعة أثرية مهمة تقوم حاليا بالتوسط لفضه ، والكونغرس تطالب بلجيكا بإعادة أكثر من ألفي قطعة أثرية من الخشب المنحوت على شكل تماثيل وطواطم تعتبر من أفضل أعمال النحت الخشبي في العالم .

ليس هذا سوى بعض ما يمكن أن يقال عن دور هذه المنظمة الدولية في الحفاظ على التراث ، ونشر العلم والثقافة والوعي التربوي ، فعمل أربعمائة من العطاء في مجالات الثقافة والعلوم والتربية أكبر من أن تحفظه دفنة كتاب منها عظم حجمه . وقبل أن نهي حديث العلم والثقافة والتربية ، يجز لنا في مجلة العربي أن نذكر تجربة بسيطة لكنها عظيمة الدلالة ، ففي عام ١٩٨٥ اختارت اليونسكو مجلتنا لتبنى فكرة إنشاء مؤسسة عربية للخدمات الصحفية المصورة وعقدت ندوة لبحث هذه الفكرة في الكويت في أبريل من العام نفسه ومازال العمل مستمرا ، ومازالت اليونسكو كما كانت منذ أكثر من أربعمائة عاما تواصل عطاء الثقافة والعلوم والتربية . □

انتهاك حرمة الاماكن التاريخية هناك . لكن هذا بالطبع لا يمنع « اسرائيل » من القيام بالانتهاكات إلا أنها تبقى محدودة بفضل هذا الوضع للمدينة المقدسة .

طوال فترة الحديث عن آثارنا القديمة العظيمة . لم تغب عن ذهني صورة لمصوّر الآثار الذين كتبت عنهم الروايات وأنتجت الافلام السينمائية ، حيث يظهر فيها لمصوّر أتوا على هيئة خبراء في الآثار الى بلادنا ليسرقوا هذه الآثار أو يشتروها بثمان بخص ، ثم يهودوا إلى بلادهم ليبيها بأثمان باهظة ، وتكوين ثروات غير مشروعة من ورائها .

وطرحت ماجال يذهني على السيد بوشناقى ، وعن الدور الذي تقوم به اليونسكو لمنع مثل هذه الاعمال .

قال السيد بوشناقى ضاحكا ، ليس لدينا قوة شرطة تمنع السرقة وتميد المسروقات الى أصحابها ، فعملنا اساسا هو التوعية ، فنحن نقوم بتزويد المتاحف بنوع من التوعية عبر مجلتنا المتاحف التي تتضمن سجلا بالقطع الأثرية المتسربة ، حيث يقع على عاتق كل دولة من الدول محاربة تسرب القطع الأثرية من اراضيها ، وعلى المتاحف عدم شرائها ، كما أن هناك وثيقة تمنع تصدير واستيراد الممتلكات الثقافية . . وأضاف ، إن من الصعب جدا حصر عملية السرقة لأنها قريية من عملية تهريب المخدرات ، ومعظم السرقات تأخذ طريقها إلى سويسرا ومن هناك إلى الولايات المتحدة ثم إلى أمريكا اللاتينية حيث تباع .

لكن هذا ليس كل ما تقوم به لجنة المصليات ، فهي تسهم أيضا في القيام بمسح أثرى لبعض المواقع وتنظيم المتاحف أو بناء مراكز ثقافية ، ففي عام ١٩٨٦ طلبت الكويت من اليونسكو تنظيم العمل في المتحف العلمي ، وقد تم لها ذلك عن طريق المجلس الدولي للمتاحف (الايكوم) وهي منظمة غير حكومية ، حيث حضر بعض الخبراء إلى الكويت ومكثوا فيها مدة تقارب الشهرين ثم عادوا بعد انجاز مهمتهم .

وفي السعودية أبرمنا عام ١٩٨١ عقدا لبناء مكتبة



كهربائية الجسم

والامراض النفسية

بقلم : الدكتورة أمل المخزومي *

يرتقي الانسان ذروة سلم التطور إذا ما قورن بالمخلوقات اخية الأخرى ، وإذا كان هذا الرقي يتجلى في مجالات عديدة فإنه يبرز بشكل خاص في الجملة العصبية التي وهبها الله له ليسخر بواسطتها جميع الامكانيات التي منحت له على وجه الأرض .

تعمل الاشارات في هذه الشبكة العصبية على هيئة نبضات كهربائية، تقوم بنقل الرسائل من خلية الى أخرى . كما يعمل المخ بمنتهى السهولة نتيجة للتعاون الحاصل بين عشرة بلايين من الخلايا ، تتصل كل واحدة منها بحوالي ٢٥.٠٠٠ خلية من رفيقاتها .

يعمل الجهاز العصبي طوال النهار والليل وتتفاوت نشاطات الجهاز العصبي نيبا بناء على النشاطات التي يمارسها الشخص ، كما تختلف نشاطات الخلايا العصبية في اليقظة عنها في حالة النوم ، وما الاحلام إلا من نتائج النشاط العصبي النسي . يقدر طول أعصاب الانسان بحوالي ١٠٠.٠٠٠ ميل من الأعصاب المشابكة ، أما سرعة النبضات العصبية فتقدر بـ ٣٠٠ ميل في الساعة .

تتكون الجملة العصبية الانسانية من نظام معقد للغاية وقد استطاع الانسان بعلمه أن يصل إلى كشف بعض غموضها .

تنقسم الجملة العصبية الى الجهاز المركزي الذي يتضمن المخ والنخاع الشوكي ، ويتشعب النخاع الشوكي الى مجموعة من الاعصاب ، يتجه كل منها الى منطقة مختلفة من مناطق الجسم . يكون الجهاز العصبي اللاإداري مسؤولاً عن جميع نشاطات الاجهزة ، كجهاز الدوران ، وجهاز الهضم و افرازات الغدد المختلفة ، ويؤدي الجهاز اللاإداري أعماله ذاتيا أي دون تدخل الافراد ، كما يقوم بالعمل في أوقات النوم أيضا .

يتكون الجهاز العصبي من شبكة هائلة من الخلايا التي تتولى مهمة جمع المعلومات وارسال الأوامر .

• استاذة مساعدة في علم النفس الاجتماعي - جامعة أنقرة - تركيا .

تركيب الخلية العصبية

ويترتب على ذلك شدة وسرعة توتر وشدة الخلية والمكس بالمكس .

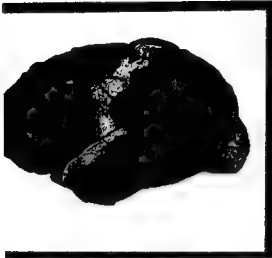
الفروق الفردية في الاستجابة :

هناك فروق فردية في نسبة الكهربية التي تولد في الأجسام المختلفة ، تبدأ هذه الفروق الفردية في لحظة تلقيح الحيوان للبويضة ، ونزولها الى الرحم ، حيث تتفاعل في داخلها عناصر حيوية كيميائية وميكانيكية وكهربائية ، وعندما يتعرض الحامل الى مثيرات شديدة تلاحظ أن الجنين يكثر من الحركة ،

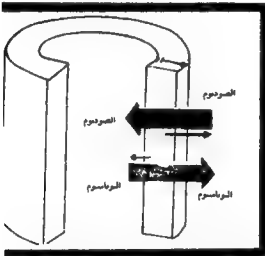
ويكون العكس عندما تكون الحامل في حالة استرخاء وراحة . قد تكون الحركة نتيجة لتلك الموجات الكهربائية الناجمة من شد الخلايا العصبية وتوترها من جراء تلك المثيرات الشديدة التي تعرضت لها الحامل وهكذا يستمر نمو الفرد من المرحلة الجنينية الى مرحلة البيئة الخارجية ، متعرضا لشقي أنواع المثيرات التي تسبب لديه شد الخلايا وتوترها وكهربائيتها ، كما تختلف هذه الكهربية من حيث الشدة باختلاف الافراد واختلاف الأزمان ، فلو عرضنا مجموعة من الناس لمشهد من المشاهد المثيرة لوجدنا استجاباتهم مختلفة لذلك الموقف ، إذ تختلف الاستجابة باختلاف شخصيات الافراد ومدى ما يتعرضون له من مثيرات شتى ، فهناك من يتفاعل ويتسلح ويرجع بنفسه بالموقف ، وهناك من يهرب من الموقف ، وأخر يقابل الموقف بعدم المبالاة ، كما تختلف الاستجابات باختلاف الاجناس والناطق ، فاستجابة سكان المدن تختلف عن استجابة سكان الريف ، والسبب يعود الى أن سكان المدن يتعرضون الى مثيرات أكثر مما يتعرض له سكان الريف ، وبالتالي نجد أن انفعالات رجل المدينة تختلف كثيرا عن انفعالات الريفي ، وهذا هو سبب التعرض الى الانبهارات العصبية الناتجة عن شدة وتوتر وكهربائية الخلية لدى سكان المدن ، وقد تؤدي الانبهارات العصبية الى الانتحار أحيانا . وهناك مثيرات يستجيب لها الريفي في الوقت الذي لاثير أية استجابة لدى رجل المدينة ، والسبب يرجع الى كثرة المثيرات التي يتعرض لها

الخلية العصبية هي الوحدة الرئيسية للجهاز العصبي ، تتحكم بجميع النشاطات الصغيرة والكبيرة ، كما أن لها القدرة على الاستجابة لجميع المثيرات الخارجية ، وتتصل الخلايا العصبية بعضها ببعض بواسطة الاشارات الكهربائية التي تصدر عنها . يحيط بالخلية العصبية غشاء يتكون من مواد كيميائية مختلفة في نوعها ونسبها ، ويحتوي الجزء الخارجي من الغشاء على كمية عالية من « البوتاسيوم » ، وكمية منخفضة من الصوديوم ، وتكون الشحنات موجبة في الحالتين . وتكون المواد في داخل الخلية على العكس من ذلك ، أي يكون تركيز البوتاسيوم منخفضا وتركيز الصوديوم عاليا ، كما أنها يحملان شحنات سالبة

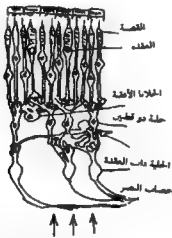
وعندما تسلم الخلية مثيرا من المثيرات الخارجية التي يتعرض لها الانسان يتقل هذا المثير في الخلايا العصبية بواسطة التفاضل في النسب والشحنات الموجودة في داخل الخلية وخارجها ، أي ينفذ جزء من الشحنات الموجبة الى داخل الخلية ، وتخرج شحنات سالبة الى خارجها ، كما يحدث اختلاف في نسب تركيز المواد الكيميائية يقل تركيز الصوديوم في داخل الخلية ويزداد في خارجها ، كما يزداد تركيز البوتاسيوم في داخلها ويقل في خارجها ، ويأخذ هذا التفاضل مساره عبر الخلايا العصبية على شكل نبضات أو موجات كهربائية ، كما تعيد الخلية توازنها الكيميائي بعد ذلك ، لكي تستمد لتسلم مثير آخر . وهكذا يستمر التفاضل والتوازن الكيميائي الحاصل باستمرار حياة الخلية العصبية ، مما يؤدي الى شد تلك الخلايا وتوترها . تنتقل الموجات الكهربائية عبر الخلايا كاتصال موجات الحرارة في الاجسام ، وتعتمد سرعة انتقال الموجة الكهربائية في الخلية العصبية اعتمادا كليا على شدة المثير أو ضعفه ، فإن كان المثير شديدا تكون الاستجابة شديدة أيضا ،



المخ في جسم الانسان .



تركيبية الخلية العصبية في جسم الانسان



تركيب العصب البصري لدى الانسان

وجمل المدينة ، حيث نهبت « ميكائزمات » جسمه للعمل على خربلة تلك المثيرات ، فلو استجاب جميع الناس لجميع أنواع المثيرات التي يتعرضون لها لأصيب جميع الناس بأمياريات عصبية ، ولوجدنا جميع سكان المدن منهارين أو نزلاء مستشفيات الأمراض العصبية والنفسية .

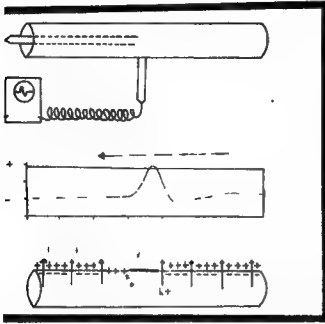
تؤثر فصول السنة على الانسان تأثيرا مباشرا ، فقد وجد بعض الباحثين أن الكآبة تزداد في فصل الشتاء ، وكان تحليل ذلك بعودة ليل الشتاء وطوله مما يجبر الافراد على البقاء في البيت خوفا من البرد ، ويؤدي بالتالي الى انزوال الافراد بعضهم عن بعض ، إضافة الى قلة الخروج الى الخارج للعيش في الهواء الطلق والشمس ، مما يكون سببا للاصابة بالكآبة . كما يؤدي طول النهار في الصيف الى تعرض الانسان الى مثيرات عديدة مختلفة ، مما يسبب استمرارية الاستجابة التي تسبب توترا وزيادة في كهربائية الخلايا . لقد أشار دوركايم من خلال بحثه عن الانتحار بأنه يكثر في فصل الصيف ، وعمل تلك الظاهرة بطول النهار في الصيف ، وتعرض الانسان الى مثيرات أكثر مما يتعرض اليه في نهار الشتاء ، مما يؤدي الى الشد المستمر والتوترات المستمرة التي تدفع بعض الافراد الى التخلص منها بالانتحار . كما أن سكان المناطق الحارة يمتازون بالتوتر وسرعة الغضب لنفس السبب المذكور سابقا .

تتعرض بعض أجزاء الجسم الى المثيرات أكثر من غيرها ، فالعين أكثر أجزاء الجسم تعرضا لتلك المثيرات المستمرة ، مما يترتب عليه أن تكون الموجات الكهربائية لهذه المثيرات مستمرة ، وأن يكون شد خلايا البصر وتوترها مستمرا ، والدليل على وجود تلك الكهربائية بشكل مكثف هو عندما تتعرض العين الى ضربة أو كلمة تتطابق الشراوات الكهربائية منها .

تأثير الكهربائية على العلاقات

للانسان قدرة معينة على استيعاب المثيرات ، يطلق على هذه القدرة اسم العتبة النفسية ، فإن زادت المثيرات عن حدتها ، وعجزت « ميكائزمات »

● كهربائية الجسم والأمراض النفسية



عملية التناهد في المواد الكيميائية الحاصل في الحلية العصبية

احتفلت الدول الغربية بعيد ميلاد الناهلون الخمسين في ٢٨/٢/١٩٨٧م ، وهذا يعني أن خمين سنة قد سرت على صناعة الناهلون . كما يشير المختصون في مجال صناعة البلاستيك بأنه سيتشر كثيرا في السنوات المقبلة ، وستبنى محطات فضائية متطورة من البلاستيك وكذلك تبنى الطائرات ، وسوف يكون ٣٠٪ من موادها من البلاستيك بعد أن كان ٥٪ . ويذكر بعضهم أن كمية البلاستيك المستعملة التي تدخل في جميع نواحي الحياة تعادل ٦٠٠ طن من البلاستيك في كل عام .

إن لاستعمال تلك المواد آثارا سلبية على الإنسان ، وخاصة على القلب والجهاز العصبي ، كما تسبب تلك المواد في اختلال التوازن في الشحنات الكهربائية في الخلايا العصبية والقلب مما يترتب عليه الإصابة بأمراض القلب المختلفة وأمراض الجهاز العصبي والأمراض النفسية المتنوعة .

اختلال التوازن الكهربائي

تشير الابحاث والدراسات التي أجريت على الرجال والنساء في الاضطرابات النفسية ، بأن الاضطرابات تكون أكثر شيوعا بين النساء عنها بين الرجال ، وقد يكون أحد الأسباب لذلك أن النساء

الجسم من التكيف معها أدى ذلك الى الاختلال في السلوك ، ويستجيب لذلك بالسلوك العدواني في أكثر الحالات .

قد يحدث الموقف معين أن يقع تحت إمرة مدير يكلفه بما لا طاقة له به ، خال من التمييز والاثابة ، فتجد الموقف يتلهم من الموقف ، ويكون في صراع بين رفضه لهذه المواقف وبين انقطاع لقمة العيش إن هو اصطلم بالمدير ، وتعمل ميكانيزمات الجسم على التخلص من تلك التوترات ، وذلك بافراغ ما يعانيه هذا الموظف على زوجته وأطفاله أو المربين اليه ، وعند ذلك يشعر براحة بعد أن أفرغ ما يعانيه من توترات وشحنات كهربائية زائدة عن الحد الطبيعي . إن لهذا الموقف حواقب وخيمة على الاطفال الذين ينشأون في تلك الظروف ، بحيث قد تجعلهم مهددين وجانحين ومجرمين في المستقبل ، لانعكاس تلك الصراعات العائلية والزوجية على سلوك الاطفال . وكثيرا ما نلاحظ الاطفال الناشئين في تلك الاجواء يصعبون عدوهم على دماهم . على سبيل المثال إن عنت الأم طفلتها نلاحظ الطفلة تمسك بدميتها وتمضغها بنفس الطريقة التي استعملتها الأم ، لان الافراغ والتقليد موجودان لدى الاطفال أيضا .

وقد يسلك الشخص المتوتر سلوكا معاكسا ، إذ يجعله ذلك التوتر ينصب على نفسه باللوم والتقريع والاهانة ، مما يزيد في الشد والتوتر والكهربائية للخلايا ، وتتمنح عن ذلك الزيادة في الابهيرات العصبية ، وبالتالي قد تدفع الشخص الى التخلص من كل ما يعانيه بالانتحار .

تأتي الشكوى من المعالجين بزيادة أمراض القلب والأمراض النفسية في السنوات الأخيرة ، وهناك من يعلل أسباب ذلك بخروج المرأة للعمل خارج البيت ، ومن يعلل ذلك بصعوبة الحياة وكثرة مطالبيها ، ومن يمزوها الى الصراعات السياسية ، الا أن هناك سببا قد يكون مباشرا للإصابة بتلك الأمراض ، ألا وهو انتشار استخدام المواد البلاستيكية والنايلونية بين الناس .

٣ - التسلسل :

وهو عبارة عن اضطرابات عصبية وظيفية ، تظهر في شعور المريض على الرغم من إرادته ، ويدرك المريض أنها غير منطقية ، ولا يستطيع التخلص منها . يتميز هذا المرض بتسلسل الأفكار والأفعال ،

وتعني بتسلسل الأفكار تلك الوسواس التي تستحوذ على ذهن المريض وتسيطر عليه ، بينما يعتبره المريض غير مألوفة لديه غريبة عنه ، ويعجز عن التخلص منها .

وتسلسل الأفعال أي القهر النفسي هو أن تفرض الأفعال نفسها على المريض ، ويكون مقهوراً وبجبر على أدائها ، ولا يستطيع مقاومتها ، بل يمارسها باستسلام دون عار ، وكثيراً ما يعتبر المريض بأنه لا قيمة لهذه الأفعال ولا معنى لها ، ولا يمتدح مسقطيتها على الرغم من أنه مجبر على الخضوع لسيطرتها ، لأنه يعتقد بأنه إذا لم يمتثل ويعمل به فالعصية سقع عليه وعلى المجتمع .

وهناك بعض الأمراض الأخرى التي تصيب الجنسين ، وهي الشائبة عن اختلال التساو الكهر بائي الحاصل في الجسم ، وهي كما يلي :

١- مرض الصرع

ينتج مرض الصرع عن تهييجات في مجسمه كبيرة من الخلايا العصبية الموجودة في المخ ، وبه نوع الصرع على مكان هذه المجموعات من الخلايا العصبية وكميتها ، مما يؤدي إلى توليد شحن كهربائية تزيد عن الحد الطبيعي، تسبب تشنجه على شكل نوبات صرعية .

٢ - مرض ضعف العضلات :

يتولد مرض ضعف العضلات (ميشينا جرا نتيجة لاضطرابات نظام المواد الكيميائية و

أكثر استعمالاً للمواد البلاستيكية من الرجال . وأستعرض بعضاً من الاضطرابات النفسية التي تزداد نسبة المصابين فيها بين النساء أكثر منها بين الرجال وهي كما يلي :

١- القلق النفسي :

القلق مرض خطير ، وبخاصة في عصرنا الحاضر الذي يطلق عليه بعضهم اسم عصر القلق . والقلق مركب انفعالي من الخوف والاضطرابات المستمرة . يشعر الشخص القلق بتهديد متوقع أو متخيل ، دون مثير ظاهر . وكثيراً ما يعيق القلق الأداء الفعلي للفرد بشكل عام ، والقلق خوف مبهم غامض ، يصعب علاجه ومعرفة سببه إلا بالتحليل النفسي ، ولو أن هناك علاقة وطيدة بين الوراثة والمرض ، إلا أن للبيئة دوراً كبيراً في ظهوره .

المستيريا :

نقد اعتبر أطباء اليونان قديماً بأن مرض المستيريا هو مرض تحرك الرحم في الجسم ، وربما أطلقوا هذا التعبير على المرض لأن الاصابة به أكثر شيوعاً بين النساء عنها بين الرجال ، أما الأطباء المحدثون فقد أرجعوا المستيريا إلى انبعاثات عصبية يعاني منها الفرد ، كالتوتر الناتج عن التوتر ، وكف الاستجابة المبالغ بها من قبل الشخص ، كما تتضمن العمليات الفيزيولوجية للفترة الحملية . ومرض المستيريا هو اضطراب عصبي يتميز بالضعف العقلي Mental Disociation ، والاختلال الواضح في النشاط الجسدي والعقلي . وقد تكون مظاهر المرض عضوية كالعمى المستيري ، أو فقدان الذاكرة ، أو الصمم أو التمتمة . وللمستيريا في الطب العقلي عدة معان منها : تلك الحالات من الذهول ، أو عدم الثبات الانفعالي أو التوهيمات ، وتكون أحياناً قوية جداً .

والانزيمات في الخلايا . تنقبض العضلات وتنشط

وتتحرك نتيجة للاستشارات التي تطلقها الخلية العصبية ، وتتلقى الخلية العصبية تلك الاشارات

عند موضع التقاء الخليتين ، ويسبب ذلك إفراز مادة

كيميائية معينة يطلق عليها اسم (استيل لولين) ، وتبدأ سلسلة من التفاعلات الكيميائية قبل ان تتحلل

وتحتوي بواسطة مواد كيميائية وأنزيمات مضادة لها ، وتؤدي تلك التفاعلات الى انقباض العضلة

بالشكل المطلوب ، وينتهي تأثير الانزيم المضاد ثم يعود « الاستيل لولين » الى جميع عناصره مرة أخرى لتتلى الاشارة العصبية العادة ويحدث أحيانا خلل

في افراس تلك الانزيمات التي تحلل مادة « الاستيل لولين » الى عناصرها الأولية ، مما يؤدي الى استمرار انقباض العضلة وزيادة حجمها ، كما أن « الاستيل

لولين » يستهلك أثناء النهار لكثرة التغيرات التي يمر بها الانسان ، وبمعدل ساعة والنوم

تسير آخر من المرض يردواج لنظر مع ارتحاه في الاحكام ، كما يظهر الضعف انحاء في الجسم ، وخاصة في الرقبة والوجه واللسان يصاب المريض

بالاحكام والتمتد السمع خاصة و البدراعي والقدمين ، إضافة الى اصابته بالاحتقان وصعوبة البلع والعلاج هو النوم مدة ٢٤ ساعة ، مع أخذ

راحة واسترحه كاملين ، كما أن الانسان الذي يعمل طول النهار يحتاج الى راحة واسترخاء في الليل

للتخلص من تلك الظاهرة العضلية الموجودة لكن هناك أفراد لا يتأمنون في اليوم الا ساعتين أو ثلاثا ،

قد يكون نظام « الاستيل لولين » لديهم لا يستهلك أثناء اليقظة الا بكميات قليلة ، ولهذا نجدهم لا

يحتاجون الى نوم فترة طويلة

الاحتياط واجب

هناك طرق عديدة للوقاية من الامراض النفسية وأمراض القلب التي تنتج عن زيادة الكهـ ٧

المدرسة الانطباعية في الفن

في هذا العدد من المجلد الثاني من الرسم بطريق الانطباعية
فانضمت هذه اللوحة اسمها للمدرسة الانطباعية التي ارتبط اسمها
(موتيه) ، و (كايه) ، فما هي الانطباعية ؟ ومن هما هذان الفنانان صاحباً
الاسم الانطباعية ؟

قليلاً لذكرى المصنف له . وتظهر في لوحه
الشارع - عربان : ، عربية « حطوب » ، وعرب
تقل أمتة ، ومن على طرفي الشارع تظهر اليهود
المزودة بالأعلام الحمراء . وقد هي (ماتيه) من
خلال هذه اللوحة بالتعبير عن عمق مشاعره
وأحاسيسه ، أكثر من عنايه بالألوان ، حيث يده
العربان باللون البني الغامق ، وسط جو من الكوال
لساحة زاهية مشرقية . ويرى المشاهد الفني

في هذا العدد من المجلد الثاني من الرسم بطريق الانطباعية
فانضمت هذه اللوحة اسمها للمدرسة الانطباعية التي ارتبط اسمها
(موتيه) ، و (كايه) ، فما هي الانطباعية ؟ ومن هما هذان الفنانان صاحباً
الاسم الانطباعية ؟

كاتبه ومحرره لك لوتيه من المطبع العربي السوي



وقد شجعه هذا الكلام على المضي في الرسم ومتابعة إقامة معارضه الخاصة .

وبعد أن توفي ، طرحت لوحته (أولمبيا) مزاد ، ثم سحبتها السيدة (مانيه) لتهديها الحكومة الفرنسية في احتفال رسمي ، بعد م ١٨٩٠م ، وفي عام ١٩٠٧م أسر (جور كليمينصو) - رئيس وزراء فرنسا في ذلك الحين - بنة لوحة (أولمبيا) من اللوكسمبورغ الى متحف اللو في باريس ، وتعلق مقابل لوحة (الأوداليسك - 'oda' Ingres للفنان المخضرم (انغري Ingres)

(و (مانيه) الذي سخر منه الناس بالأسر يتهاته اليوم على شراء عمل واحد من أعماله بملايه الجنيهات . فمن هو (مانيه) ؟ وما علاقته (مونييه) ؟

زيارة للوثر

لابد من زيارة مدينة باريس العريقة بالعمون ولا بد لكل من يزور تلك المدينة الجميلة أن يمر على متحفها الشهير ، متحف (اللوفر) ، حيه يمضي ساعات طويلة ، يتجول خلالها في ردهاء المتحف وقاعاته الواسعة ، حائرا تارة ، وممبج مذهولا تارة أخرى فهنا روايت قدماء المصريين وهناك نفائس الاغريق ، وأمامه كنوز الأوروبيين وكل واحدة منها تدهش بدقة تسماتها ، وعظ أحداثها ، كأن الناظر إليها أمام وثائق تاريخه لاتدهش .

هذه لوحة لمركة ، وتلك للملك ، أو قائد ، رجل من أسرة عريقة ، أو وجه لأحد وجه المجتمع ، مواضيع مختلفة ، وقصص متنوعة وأحداث شيقه ، تضع المشاهد في دوامة من السه والخيال ، تلك هي أعمال عصر النهضة ممثلة بأعمه (ليونارد دافنشي) ، و (روفائيل) وعصره (الكلاسيكي) الذي تلاه ، فالتخذ من فتاه عصر النهضة روادا ومعلمين ، حين دخلوا القصور

(ريتشارد سن) أن هذه اللوحة تجسد الأجواء الباريسية التي حاول (مانيه) أن يجعلها أكثر قربا الى الطبيعة من (مونييه) .

أما مخطط هذه اللوحة ودراسة معالمها فهو موجود في معهد الفنون في شيكاغو ، في الولايات المتحدة الأمريكية .

امرأتان وقطة

قبل أكثر من مائة وعشرين عاما منذ تاريخ بيع لوحته - الشارع - الذي جرى في صالة كريستي اللندنية قدم (مانيه) في معرض عالمي عام ١٨٦٥ لوحته الشهيرة (أولمبيا) التي تمثل امرأة عارية ، تمحدث على سرير ، ويحانها امرأة زنجية ، تقدم إليها باقة من الورد ، وعلى طرف السرير قطة سوداء صغيرة . وقد منيت هذه اللوحة بفشل ذريع ، وضع جمهور العصر بتقدها نقدا لأذها شديدا ، ولم يكن ذلك بسبب موضوعها الذي كان الفنان (انغري Ingres) قد تناوله من قبل بل بسبب تضارب الألوان ، فمن أصفر فاتح بسبب الضوء الشديد الذي سلطه على المرأة الى لون قاتم بملأجو اللوحة ، ولأن الفن في تلك اللوحة قد انحط الى درجة لا يستحق معها تعليق ، كما ذكر النقاد في ذلك الزمان .

لهذا لم يكن مستغربا أن تطلب لجنة التحكيم رفع اللوحة ، وتعليقها في مكان مرتفع جدا ، حتى لاتبصرها أعين الجمهور .

وقد حزن (مانيه) حزنا عظيما بسبب النتيجة التي آلت إليها لوحته (أولمبيا) ، فكتب الى صديقه الشاعر (بودلير) يشه همومه وأحزانه ، فأجابه بودلير :

هل تعتقد بأنك أكثر ذكاء وعبقريه من (شاتوبريان) ، أو (فاغنز) ؟ لقد سخر الناس منها كثيرا ، الا أن ذلك لم يبط من عزيمتها على مواصلة الكفاح .

● المدرسة الانطباعية في الفن

البحيرات من خلال الضباب الذي يغطيها ،
والأبخرة المتصاعدة منها مع نسائم الصباح ، وقد
ظهرت المدرسة الانطباعية عام ١٨٦٠ ، أي منذ
حوالي قرن وربع من الزمن ، وشهر من يمثلها
حسب ، من عمالقة الفن ، هم (ادوار مانيه
Manet) و (بيسارو Pissarro) ، و (سيسليه
Sisley) ، و (موسيه Monet) ، و
(ماريل Bezzile) ، بالإضافة الى عدد من الفنانين
الانطباعيين الآخرين . من ذوي الأسلوب الخاص ،
والاحتصاص في موضوع معين ، مثل (أوجست
رينوار Renoir) ، و (پول سيران Cezanne) ، و
(ادجار ديجا Degas) ، و (جوحان Gauguin)
الخ .

أما بالنسبة لتاريخ المدرسة الانطباعية فيمكننا
القول ان المؤرخين لم يتناولوا حكايتها بالتفصيل الا
مؤخرا ، لأنها مازالت تحيا في نفوسنا واهماتنا ،
ولذلك لم تصلنا أخبارها الا عن طريق الرواة الذين
يبتوا كيف كان أولئك الفنانون المموروون يترددون
على متحف (اللوفر) باستمرار ، من أجل عرض
أعمالهم الفنية . الا أنهم كثيرا ماكانوا يخلدون ،
برفض لوحاتهم . وقلما كانوا يتجمعون في عرضها
وقد حصصت الدولة فيها بعد جناحها خاصا في متحف
(اللوفر) يضم ثلاثمائة لوحة من أجل لوحات
الانطباعيين ، اختيرت منها مائة لوحة ، كما تكون
مراجع ووثائق تاريخية للمدرسة الفنية الانطباعية ،
ويعتبر (كلود مونيه) خير مثال هؤلاء المبدعين

ولادة مدرسة بلقاه ورجلين

ولدت المدرسة الانطباعية بلقاء رجلين تشابه
اسماهما الى درجة الالتباس ، وهما (ادوار مانيه
١٨٣٢ - ١٨٨٣) ، و(كلود مونيه ١٨٤٠ - ١٩٢٦)
اللذان ساهما بلقائهما الفني في ولادة الفن الحديث فيا
بعد ، إلا أن حدودهما الاجتماعية كانت مختلفة
تماما ، فالأول - مانيه - كان من أثرياء باريس ، وابن
قاضي كبير ، أما الثاني - مونيه - فقد نشأ فقيراً ، ولم

ورسموا الملوك ، والمعارك ، والخيول المطهمة ،
والثياب الفاخرة ، بدقة متناهية ، تصاهي دقة
أفضل عدسات التصوير في عصرنا الحديث
لكن عندما يصل المرء الى الطابق الثالث من ذلك
المسرح ، في جانب من جوانبه ، يشعر أنه عاد الى
نفسه . الى واقعه ، وحياته ، ليعود من عريته التي
شعر بها أمام اللوحات القديمة (الكلاسيكية) .
يرى هه الشجر ، وأوراق الحريق الذهبية ،
والورق العائم فوق مياه رقراقة . فيتعرف على تلك
لقريبة ، وهذه البحيرة اما لوحات الفن
الانطباعي ، بألوانها الراهية ، وسماها الصافية ،
فأذا أخلنا النظر بين هاتين المدرستين - المدرسة
الكلاسيكية) والمدرسة الانطباعية - وحدنا الفرق
شاسما بينهما ، فكيف حصل هذا التطور ؟ وكيف تم
الانتقال بين المرحلتين ؟

مرحلة وسطى

كانت هناك مرحلة وسطى بين المدرسة
(الكلاسيكية) والمدرسة الانطباعية ، كما أن هناك
فنانين قد عاشوا تلك المرحلة ، واستقوا من كل من
المدرستين ، فآثروا فيها ، وتأثروا بها ، ولعل من
أهمهم (تيودور روسو) ، و(كاميل كورو) اللذين
انخذا من الطبيعة حول باريس مرسا لها ، لما يحيط بها
من غابات ، مغطاة بالضباب ، وبحيرات شفاقة ،
وأشجار ضخمة باسقة ، تلهم الفنان ، وتطلق
لريشته ألحان ، فتضج لوحته بالألوان ، والأنوار
الظاهرة حيناً ، والخفية أحياناً ، مما أسبغ على فهم
صفة الانطباعية ، كلوحة (ذكرى مورتفوتين) ،
لكورو

ويعتبر كورو (Corot) ١٧٩٦ - ١٨٧٥ - سلفا
للانطباعيين ، ومبدعاً كبيراً في رسم الطبيعة ، لما في
فته من لمسات رقيقة ، تذكرنا بالمشاعر الفرنسي
الكبير صاحب قصيدة (البحيرة) لامارتين . وقد
كان (كورو) مولعاً بالرسم ، وبخاصة رسم

١٨٣٠ ، مثل (تودور روسو) ، و (دياز) ، و (مينيه) فيما بعد ، الى أن أصبحت أكاديمية للمناظر الطبيعية .

وبينا كان الأقدمون يجدون في هذه الغابة ظلالا وارقة وجد فيها (مونييه) منبعا للنور والضياء ، كما في لوحته الرائعة التي رسم فيها صديقته (كاميليا) في الهواء الطلق ، بشوبيا الأخضر وقد سمى اللوحة (السيدة ذات المظلة) ، وكذلك لوحته (نزهة) التي تقلد مساحتها بشماتية وعشرين مترا مربعا ، والتي وهبها لصاحب المنزل الذي كان يقيم فيه ، وذلك تمويضا عن اقامته لديه ، الا أن هذا الأخير طواها ، ورمها بين مهملاته ، فأصابها التلف ، ولم يبق منها الا القسم المركزي المعروض في متحف (الوفر) ، وتعتبر هذه اللوحة من أبرز خصائص المدرسة الانطباعية ، وهو الرسم في الهواء الطلق ، والرسم بالألوان الزاهية

وكان (مانيه) قد ابتدع - من قبل - هذه الطريقة في بداية عهد الرسم ، بلوحتيه - (أوليبيا) و (خذاء على العشب) اللتين سببتا له فضيحة كبرى في المعرض الذي رفض (أوليبيا) بسبب وجود امرأة عارية في الهواء الطلق ، وليس في رسم كما كانت العادة أيام (الكلاسيكيين) ، ولم يكن (مانيه) يعلق أهمية كبرى على الموضوع بعد ذاته ، فقد طرقه غيره من قبل ، وكل ما كان يهمه هو أن يكون عصريا وصادقا في نقل الحقيقة ، أما اللون المسيطر على لوحة (خذاء فوق العشب) فهو اللون الأخضر ودرجاته القاتمة والزاهية ، وقد جعل من الأوراق شيئا مناسبا لتضاد ضوء خفي قادم من جميع الاتجاهات .

أما خلفية اللوحة فقد جعل منها (مانيه) في ألوان كالأزرق الفاتح والأصفر والأحمر ولون الثوب الأبيض ماسيغ على اللوحة شفافية ضوئية ، تجعل منه رساما انطباعيا فريدا من نوعه .

يرض حاية أحد من الأضياء له كما فعل (مانيه) ، بل شق طريقه بنفسه ، واضعا التجاح نصب عينيه ، الى أن جاء وقت اشتهر فيه هو الزعم الذي قاد المدرسة الانطباعية حتى النهاية .

وقد تحمل (مونييه) بالصدق والوضوح ، وكان يهوى الانطلاق في الطبيعة ، وفي الهواء الطلق على شواطئ البحر الذي استنشق أنفاسه العلية منذ طفولته ، وأصبح منها رثيته ، كما أصبح نظره من منظر البحر الذي طالما جال فوق سطحه اللازوردي مائلا وراء ندائه اللابثاتي .

كان القاسم المشترك بين فناني المدرسة الانطباعية هو رسم وجه الانسان ، ورسم الطبيعة ، فمثلا عندما رسم (كورييه Courbet) لوحة (الدفن في ارنان) لم يكن أسلوبه يختلف كثيرا عن أسلوب (دافيد) في لوحته (توبيج نابليون) .

أما (مانيه) فقد كان الرسم بالألوان عنده لا يعني الانسجام التشكيلي ، ولا ابتكار شكل جديد غير مألوف ، بل يعني ابتكار أسلوب في جديد ، حال من الآثار الرومانسية ، لأنه كان يجرد الرسم بجرأة استثنائية في كل لسة أخلاقية أو فكرية ، مما جعل منه (رائدا) لعصر جديد ، ينسب اليه وهو (عصر مانيه) .

ان فن (مانيه) هو في الألوان ، وليس في الضوء ؛ كما هو الحال في فن (مونييه) ، فهو يحشر الوجوه حشرا ، وأحيانا يمزج الخطوط والأشكال بألوان تفقد مبالغها الأصلية ، وقد احتكف في عام ١٨٦٣ في متحف (الوفر) ، وكرس جهده لرسم روايته الفنية الخالدة ، بينا ظل صاحبها (مونييه) وهما (رونوار) و (سيسييه) في غابة (فوتيتيلو) لكي يرسم مناظرها الساحرة ، وكانت هذه الغاية قد استهوت في الماضي كبار الرسامين والفنانين أمثال (اودري) في عهد لويس الخامس عشر ، كما استهوت أيضا كثيرا من الفنانين في نهاية القرن الثامن عشر ، وأصبحت قبلة الرومانسين بعد عام

فنانون وفنانة

أما أشهر الفنانين الذين ابتكروا علما خاصا بهم فهم (رونوار) الذي الفتن بالصبا فراح يرسم الفتيات والنساء الصغيرات ، ميرزا بسلامتهن وملاعبهن الطفولية ، كالوجنت الوردية ، والشفاة القرمزية ، واستدارة الذقن والأنف والأصابع الخ و (ادجار دوجا) الذي رفض أساليب أصدقائه وزملائه ودخل في عام ١٨٧٢ قاعة الرقص في (الاوبرا) كي يراقب حركات واقصات البالية والأضواء الاصطناعية المنكسرة على أجسادهن وثيابهن الرقيقة ، وحركات أبدين ، لينقلها الى لوحاته

وكذلك (بول سيزان) الذي اتسمت رسومه بالبساطة ، بسبب نشأته الريفية ، والذي كان يصبو الى الكمال ، والى معرفة كل شيء ، وقد ابتكر أسلوبا في الرسم خاصا به ، ثم مالبت أن مال في نهاية حياته نحو الفن التكعبي ، أي أنه أدخل الخطوط المستقيمة والهندسية في أعماله الفنية ، وهذا ما أثر فيها بعد في بيكاسو وماتيس

وظهرت الفنانة (برت موريزو) التي دعت (مانيه) الى نيل اللون القائم في لوحاته وهي وإن لم تكن قد تتلمذت حل يد أحد الا أنها كانت تقرب بفنها من أسلوب (رونوار) وقد استلهمت لوحاتها التي تمثل الأمومة والطفولة من شقيقتها (ادما) التي رسمتها في لوحة رائعة ، تدمي (المهد) ، وهي موجودة الآن في متحف (اللوفر) بألوانها الرقيقة المذبة ، والحرير الرقراق حول طفل رضيع يرقد هائتا في مهده . وهكذا يمكننا القول بأن الفنان كان يرمي دائما - من خلال أعماله - الى أن يحيا عصره ، وأن تترك أعماله أثرا يدل عليه ، ويخلده .

لكن يبقى هناك سؤال مطروح بالخارج : ترى ماذا يمكن لنا أن نرى في هذه اللوحة أو تلك ؟ هل نرى فيها فواتنا ، أم نرى عصرنا ؟ وهل هي للماضي ، أم للحاضر ، أم للمستقبل المجهول ؟ □



● وهو عباء الشمس للسان فان حورح

في يناير ١٨٨٩



● طريق محدد من حارة دي من لـ « انوارد مانيه »

في ١٨٧٨

الحمار

قصة الكاتب الاسترالي : آلان مارشال

ترجمة : حسن يوسف *

خيمة السيرك ، ناهيك عن الفيلة التي كانت تتحرك طليقة قرب العربات المظلية . كان على واحد منهم أن ينتظر الى أن تمتد اليه يداك قويتان لترفعاه فوق رؤوس الناس .

وما هوذا ، مقابلهم تماما ، يقف الحمار الأعجوبة وسط المعر الذي يفضي الى خيمة السيرك .

كانت الخيمة كبيرة للغاية . فالملصقات الزاهية التي تستوقف الناس منذ أسابيع ، أمام جدران القرميد الفلذ في الشوارع الخلفية والأزقة ، تقول انها أكبر خيمة في العالم كله ، وانها تتسع لأربعة آلاف انسان دفعة واحدة .

كان الحمار مربوطا الى وتد بحبل بال في منتصف طريق العابرين بمعلقة نحو صفوف المقاعد التي ترتفع متدرجة حول الحلقة المضاعة . ولهذا كان لا يد لهم جميعا من المرور به بعد شراء البطاقات . وبما أنه تقام كل يوم سبت ثلاثة عروض فهذا يعني أن اثني عشر ألف انسان قد مروا بذلك الحمار خلال يوم واحد . ولا شك في أن ثلاثة أرباعهم على الأقل ربتوا على الحمار أو لمسوه أثناء مرورهم . أي أن تسعة آلاف يد قد قرعت الحمار في مكان ما من جسده في بحر ذلك النهار . وسوف يكون صعبا أن نـ

كان الحمار مجرد حمار حادي رث وذاهل ، يقف مطاطنا رأسه وعيناه نصف مغمضتين أمام مدخل خيمة السيرك التي نصبت على البقعة الخضراء الوحيدة المتبقية حول المدينة الكبيرة .

كان ذلك هو أول سيرك تراه المدينة منذ سنة . ولهذا ازدحمت الطرقات المفضية الى تلك البقعة الحالية بصفوف من السيارات التي تتحرك وتقف ثم تتحرك من جديد .

الناس يتحركون بمعالجة ، يمضون عمرات المشاة ، ويمتازون الحواجز الحجرية الممتدة على جانبي الطريق . انهم يتحركون على شكل جماعات و صفوف تلتقي وتتفرع لتصب في البقعة التي تتقدم عبرها حشود من الناس يسرون رؤوس مرفوعة ليروا ما أمامهم من فوق أكتاف بعضهم بعضا .

تحت هذه الطبقة من الوجوه المرفوعة المترفعة ، نزولا الى حيث الأيدي الكبيرة تمسك بأيدي صغيرة ، ثمة وجوه أخرى متدهشة وملطخة « بالبولطة » ، تتحرك عبر غابة من السياف ، ماضية معها الى حيث تتقدم . كان الأولاد والبسات - أصحاب تلك الوجوه - عاجزين ، في هذا العالم من « البنطونات » والجوارب الخيرية ، عن رؤية

* كاتب و مترجم من القطر العربي السوري .

عدد الهريات الرقيقة التي تلقاها خلال أسبوع .
 كانت التريينات تأخذ أشكالاً مختلفة بعضها
 كان نوعاً من اظهار الفوقية وبعضها كان علامة
 احتياج خائف بعضها كان يدل على حب النفس ،
 وبعضها كان يدل على عبة للحميم .
 عررد تباه مبتدل يقوم به الأباه بقصد التأثير على
 أولادهم ، وبعض آخر منها كان تريينات رقيقة تحولت
 المخيلة الى تجارب سحرية



رجل جرى ، يرتدي بذلة زرقاء ضيقة . توقف أمام الحمار ، ملقيا عليه نظرة نقدية شاملة ، ثم حض على شفته ، هازا رأسه ، وتراجع بضع خطوات كي يتمكن من النظر الى الحمار من الخلف ، ثم استدار الى الجهة الأخرى ليتفحصه من هناك . أخيرا أبهى دوراته حول الحمار بالتأمل في رأسه لوقت طويل . وبعد أن عرف كل ما يريد معرفته عن هذا الحمار استدار ليكمل طريقه ، وهو يهوي بيده الثقيلة ، في الوقت نفسه ، على ظهر الحيوان . وكانت تلك هي التريبة رقم ثمانية آلاف في ذلك اليوم .

كان الحمار نائما ، على ما يبدو ، إلا أن ثقل يد الرجل على ظهره أثر به كما لو أنه إشارة طال انتظاره لها . فرفع رأسه الثقيل بحركة سريعة ، ثم استدار وأطبق فكه على فزاج الرجل بأسنان انطبقت كمصيدة الأرناب .

انطبقت أسنان الحمار على كم معطف الرجل ، فانتزعت منها مزقة من القماش الأزرق ظلت بارزة من فم الحمار ، الذي أدار رأسه جانباً ، مواصلا أحلامه .

ذهل الرجل ، وترنح مترجعا نحو الناس بعينين جافلتين وهم مفتوح . أمسك ذراعه بيده الأخرى ، ونظر الى الناس ليؤكدوا له ذلك الشيء المذهل الذي جرى له . ثم تمعجب بلهجة مرهوبة :

« عضي ! »

وأضاف وهو ينظر الى الحمار كما لو أنه لا يصدق عينيه :

« ياله من بهيم شرير ! » .

توقف المارة جميعا لينظروا الى الرجل والحمار الذي ما يزال يحمل قطعة القماش في فمه . هزوا رؤوسهم موافقين على كلمات الرجل . أجل ، هذا الحمار بهيم شرير ! فقد حض الرجل الجريء في ذراعه رغم أنه لم يرد سوى أن يربت عليه . ياله من مخلوق حاق شرير !

مرت خمس دقائق ، بعد ذلك لم يقم خلالها أحد بالترتيب على الحمار . لا يلد أن تلك هي أول مرة يلدق فيها السلام منذ سنوات . □

الأم التي يجرها ابنها الصغير المحتاج تقف بينا ابنها يحرك يده المرتعشة يرفق على كفف الحمار . والأولاد الصغار الذين يرفقهم آبائهم بافتخار يتحنون ليحكوا ظهر الحمار أو رأسه بأصابعهم القصيرة السمينة ، أو ليشدوه من أذنيه .

أما الأولاد الذين لا يرافقهم من يكبح جماحهم فيستمرضون شجاعتهم المرحلة لتوها بالانكاء على الحمار أو فرك أنفه وهم ينظرون حولهم طلبا للتشجيع .

بعض الناس اللطفاء يحاولون ، أحيانا ، ادخال حبات الفستق والحلوى بالقوة بين شفتي الحمار ، إلا أن ذلك كان صعبا نظرا لأنه كان يطبق أسنانه بأحكام ، ويميز رأسه عندما يشعر بأيديهم في فمه . كل عشر دقائق يصل رجل من يفهمون الحمير ، ويقول بلهجة غير متكلفة : « آه ، حور ! »

كما يعمل المرتبين يسحبون أيديهم وينظرون اليه . عندئذ يقوم الرجل الذي يفهم الحمير بتمرير ذراعه حول رقبته الحمار ، ويخاطبه بلهجة تضمه في مكانة المسؤول : « اذن الى هنا آلت أسورك يا صاحبي العجوز ، إيه ! لاسرهد من العمل الشاق لك حسنا ، هكذا هي الأحوال اذن » .

ثم يغير الرجل لهجته ، ويوضح للناس الذين يستمعون اليه :

« في الشرق يحمل الحمار أكثر من وزنه . . فهو كما تعلمون من حيوانات حمل الأثقال » . فيتمتع الناس علامة على الفهم ، ويعطون الحمار تريبة أخيرة ، دليلا على تعاطفهم ، قبل أن يدخلوا ويتركوه .

كان الحمار يقبل اهتمام ذلك الحشد من البشر بخضوع ، مما جعله يوطن نفسه على حياة من التريبة . صحيح أنه كان يشعر بارهاصات التمرد في داخله ، أحيانا ، إلا أنه لم يكن يظهر ذلك قط . كان يقف على ثلاث أرجل مدليا إحدى فخذيه ، وشمرة الأشعث قد ازداد تشوشا بسبب الأيدي التي فشلت في انتزاعه من الحلم الذي كان نائما فيه .

في آخر أيام السيرك تقدم ، بثقة ، حبر المدخل ،

السيد العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

نشاط الطفل

التشغيلي

كيف نتعامل

مع الطفل

بطيئ التعلم؟





نشاط الطفل التمثيلي

اعداد : محمد بسام ملص*

كانت رائدة نشاط الطفل التمثيلي ومسرح الأطفال تراقب بعض الفتيان وهم يؤدون مشهداً تمثيلياً من خيالهم . المكان الذي وقف فيه الفتيان كان مجرد محشى عادي ، إلا أن خيالهم الخصب قد حوله إلى غابة خضراء ، انتشر فيها الفتيان في مغامرة فما أهمية النشاط التمثيلي للطفل ، وما قيمته في التربية ؟

هو طريقته في التفكير والتجربة والاسترخاء والعمل والتذكر والاقدام والابداع والاهماك . وجانب من جوانب لعب الطفل هو النشاط التمثيلي الذي يسمى « دراما الطفل » . يلاحظ المهتم بسلوك الطفل ظهور لحظات تشخيص يؤدي فيها الطفل دور الأب أو الطبيب أو عامل التنظيفات ، وهذه تبرز في سنوات الطفل الأولى التي غالباً ما تسمى بمرحلة ما قبل المدرسة . وقد تلاحظ الأم - مثلاً - أن ابنتها

لا يختلف اثنان في أن اللعب بالنسبة للطفل هو الحياة نفسها . ولا بد للأم والمهتمين بتربية الطفل أن يمتنوا به في مجال هذا النشاط ، ليشأ طفلاً سليماً قوياً قادراً على مواجهة التحديات ، فهو أمل هذه الأمة ومستقبلها .

لا يبالغ علماء النفس عندما يؤكدون على حقيقة أن الطفل ينمو ويتعلم باللعب . يقول بيتر سليد ، أحد رواد النشاط التمثيلي في بريطانيا : إن لعب الطفل

* كاتب من القطر الأردني ، صدر له كتاب من ثقافة الطفل سنة ١٩٨٦م .



فالأصوات المختلفة الصادرة عن ألعاب وأدوات تشد الطفل ، وبخاصة في السنتين الأوليين . أهم ما يراعيه البيت في مجال الأصوات إدخال كلمات حقيقية ، وإعادتها أكثر من مرة على مسمع الطفل الذي سيستخدمها فيما بعد ، فإن هذه التجربة الصوتية تبني لديه أساساً متيناً للغة .

يتعرض الطفل إلى مشاكل عديدة ، وبخاصة داخل بيته ، فقد تولّد هذه المشاكل عنده توقراً وصراعاً ، وتترك في نفسه مخاوف عديدة ، وإذا ما بقيت هذه داخله دون أن تجد لها أي متنفس ، فإنها لا شك تؤثر على تكوينه العاطفي والنفسي ، بل إنها تؤثر على مسار حياته . هكذا يبرز النشاط التمثيلي كمحاولة لتفريغ الشحنات السلبية داخل الطفل .

وقد نلاحظ الأم ظهور العنف أثناء هذا النشاط ، فقد يؤدي الطفل دور لص أو رئيس عصابة ، وهذا يجب ألا يقلقها أبداً ، لأن محاولات كهذه تتيح للطفل أن يعبر بها في داخله من أمور غير شرعية بطريقة مشروعة ، إنه يلعب ويمارس النشاط التمثيلي . وبذكرنا هذا الأمر بمصطلح « النشاط التمثيلي العلاجي » ، الذي يطلق على نشاط يحاول أن يمنع الكثير من الأمراض النفسية ، فهو يتيح للطاقات الكامنة والتوتر والصراع والنوايا الشريرة أن تخرج بطريقة طبيعية .

يشارك الطفل الأطفال الآخرين في هذا اللعب ، وإن تشجيع الأم لطفلها على أن يلعب مع الآخرين يعلمه أن يكون متسامحاً ، ويساعد في تضجعه اجتماعياً وعاطفياً .

يحدّر بيتر سليد في كتابه « مقدمة لتمثيلات الأطفال ، الأسرة من أن تتفاخر أمام الآخرين بنشاط طفلها ، لأن ما يقوم به الطفل ليس استمراراً أو عرضاً مسرحياً ، وإنما هو نشاط يمثل جزءاً لا يتجزأ من حياة الطفل .

الصغيرة تعامل دميته بعنف ، لأنها رفضت أن تشرب الحليب .

الارتجال ... والمسرح

ويوضح بعض المختصين بأن هذا النشاط ما هو إلا نشاط تمثيلي غير رسمي ويكون من أجل متعة من يمارسونه وفائدتهم .

لا بد من توضيح نقطة ذات أساس في هذا النشاط ، وهي أن المهتمين بتربية الطفل مطالبون أن يميزوا بين نشاط الطفل التمثيلي وبين مسرح الأطفال . تين آن فيولا - إحدى التخصصات في هذا المجال - بأن مسرح الأطفال يعني مسرحية يكتبها أو يمدّها مؤلف ولها خصائص معينة ، يقدمها ممثلون - كبار أو صغار - للأطفال . وتستخدم المناظر والملابس والموسيقى وغيرها من لوازم المسرح الضرورية . أما في النشاط التمثيلي فإن الطفل يقدم مواقف ومشاهد « مرتجلة » ، مع التركيز على أن أحد أهم أهداف هذا النشاط هو التطور الشخصي للطفل ، وليس تسليّة جمهور الأطفال وإرضاءهم . من هذا المنطلق الأساسي يظهر النشاط التمثيلي فناً قائماً بذاته ، فهو ليس نشاطاً اخترعه شخص ، وإنما هو السلوك الحقيقي للإنسان .

دور البيت

يسهم البيت مساهمة غنية في النشاط التمثيلي وينميّه ، ومن ذلك أن يهتم البيت بالأصوات ،

في المدرسة

وحيث يدخل الطفل المدرسة فإنه يتابع ممارسته هذا النشاط ، ويميز هنا دور المشرف والمُشرفة في توجيه هذا النشاط ، لكن ليس بإدراوته من خلال تعليمات صارمة . ولأن الأطفال يحبون الأصوات يمكن للمُشرف أن يُسمعهم بعض الأصوات ، ويطلب منهم أن يتخللوا مواقف مختلفة ، لكنه لا يقترح عليهم أي موقف ، إلا في حالات نادرة جداً ، بل ينتظر اقتراحاتهم ، ويقبلها برحابة صدر ، فالهم أن يترك المشرف الأطفال يقدمون اقتراحاتهم تخيلاً دون أن يتدخل في كيفية التقديم ، لأن تدخله يعني تقييد إبداعهم .

يتيح المشرف الفرصة للأطفال ليقدموا اقتراحاتهم حول قصص يحبون أن يؤدوها ، ومع نمو الأطفال يراهم المشرف أن تكون القصة بتشخيص أكثر وضوحاً ، مع زيادة عدد الشخصيات ، ويتم المشرف أيضاً بارتجال الحوار ، لأن هذا من شأنه أن يسهم مساهمة مؤثرة في تطور اللغة عند الأطفال ، كما حرص المشرف أشد الحرص أن تكون اللغة هي اللغة الفصحى ، وقد يخلط الأطفال بين الفصحى والعامية ، وهذا أمر يتقبله المشرف .

وعندما يصبح الأطفال في سن الثامنة أو التاسعة يشجعهم المشرف على أداء المشاهد الطويلة ، ويتم بالتقليل من إعطاء التعليمات ، ولا يفاجأ المشرف وهو يرى الأطفال يشاركون في تكوين أحداث القصة ، وفي إضافة أحداث ، كما أنهم يقترحون كيفية تقديم المناظر ، فعل المشرف هنا أن ينمي عند الأطفال حرية التفكير والتعبير عن الرأي ، وإذا ما لاحظ أن الأطفال لم يحسنوا التصرف في موقف ، فإن عليه أن يشعرهم أنه يمكن جعل الموقف أكثر اهتماماً وإثارة .

وقد يغلب الخجل على الأداء الأول للأطفال ، إلا أن الكلمات التشجيعية التي من شأنها أن تعزز ثقة

الأطفال بأنفسهم وبما يؤدونه في النشاط التمثيلي تعني أن المشرف سيحصل على محاولة ثانية ، قد تكون مذهلة . وربما يغيثون أبعاداً جديدة إليها .

وفي السن من ٩ إلى ١١ يبدأ اهتمام الأطفال بالأدب وهنا يمكن للمُشرف أن يستفيد من الأساطير والحرفات . وتنمو القصة بتشخيص أكثر تعقيداً ومواقف أكثر عمقاً عندما تمكس النمو الفكري والعاطفي والنفسى للأطفال . ومن الأفضل عدم الاعتماد على نص مكتوب في هذه المرحلة . والأفضل أن يشجع المشرف الأطفال على كتابة القصة التي يريدون تأديتها في النشاط التمثيلي ، ولا يدمش وهو يرى في النصوص عبارات مباشرة قد صيغت على شكل حوار .

بعد هذه المرحلة تأتي مرحلة الانتقال من الارتجال إلى استخدام النص ، وهنا يُشجع الأطفال (من سن ١١ - ١٥) على أن يكتبوا النصوص ويتناوروا الحوار المباشر والحبكة ، والمهم ألا يفرض المشرف عليهم أي نص أدبي قد يراه جيداً ، فهذا الأمر لا يتم إلا تدريجياً ، إذ أن الهدف هو تقديم المسرحية البسيطة التي تتسم بالتشخيص القوي .

وإذا لاحظ المشرف الارتباك عند الأطفال وهم يقدمون النص ، فإن عليه أن يطلب منهم أن يتركوا النص ويرتجلوا الموقف كما يبدو لهم ، فهذا يتيح لهم فرصة الإبداع ، وبعد ذلك يمكن استخدام النص بكفاءة .

في مجال التربية والتعليم

لا تقتصر الاستفادة من هذا النشاط على هذا الجانب المتصل بنمو الطفل جسمياً وعقلياً ولغوياً واجتماعياً ، بل تمتد إلى مجال التربية والتعليم ، وبخاصة ما يتعلق بتدريس الموضوعات . يعرف المعلم الذي يمارس تلاميذه الأطفال النشاط التمثيلي خلال الحصة المدرسية أن الموضوع التعليمي يأخذ

والاستفادة من عدة كتب تظهر صور الفقر والأمراض التي تعكس ظروف الأطفال والنساء العاملين في المناجم ، وعرض عدة مراجع جغرافية علمية توضح مواقع المناجم وكيفية تكوين الفحم ، والاستعانة بقصاصات الصحف والأشرطة السينمائية المتوافرة حول الموضوع نفسه .

بعد أن ناقشت المعلمة مع الفتيات حياة العمال في المناجم تركتهن لتأدية مشهد تمثيلي ، ظهر فيه الاهتمام والانسجام وروح التعاون والاقتراحات العديدة .

يبين هذا المثال طريقة المعلمة الناجحة في إضفاء الحيوية والحركة على تلقى الطلاب للمادة عن طريق التعلم والتعليم معا ، كما يظهر أهمية النشاط التمثيلي في تشجيع الطلاب على متابعة الموضوعات الدراسية بحماسة وجدية .

هذا ويمكن القول بأن المجال التربوي بمفهومه الواسع في وطننا العربي ما زال بحاجة ملحة إلى النشاط التمثيلي ، ليحقق الأهداف التربوية المرجوة .

□

بعدا جديدا ، فالطفل يؤدي المادة التعليمية أداء تمثيلا ، ويقترب من المادة بطريقة تختلف تماما عن تعامل المعلم مع المادة نفسها بالأسلوب التقليدي الذي يعتمد على الالقاء والتلقين ، إن الطفل يتفاعل مع الموضوع . وفي حالات كثيرة قد تكون الكلمة المطبوعة جافة ، أو قد يصعب على الطفل تقبلها ، وخاصة إذا كانت تحمل فكرة مجردة وليست ملموسة ، فتأتي الحركة في النشاط التمثيلي لتمنح الكلمة معنى أقوى وتأكيذا ورسوخا أكثر ، فالطفل هنا يواجه الموضوع مواجهة مباشرة .

يذكر ماكجريجور لين في كتابه « التطوير في التعليم التمثيلي » هذه الحادثة ، وهي استعمال نموذج واقعي لاستخدام النشاط التمثيلي من أجل ترسيخ الوعي الاجتماعي ، فقد رأت معلمة أن تتصرف الفتيات إلى موضوع التعدين ، وما يحيط به من مشاكل تخص العاملين فيه عن طريق هذا النشاط في البداية بينت المعلمة الموضوع للفتيات بعدة وسائل ، منها التمهيد للموضوع بتقديم فكرة عن إضراب عمال المناجم في بريطانيا عام ١٩٧٢ ،

ميكي ماوس فرعوني !

● يقول العلامة الأثري البلجيكي جان كابر : إن المصريين القدماء مع تمسكهم بالرسم الدينية وتعلقهم بالشعائر المقدسة كانوا يمزجون فنونهم الرصينة ونقوشهم المقدسة بالفكاهة ، فقد اتخذوا الحيوانات رموزا لتمثيل الأفكار الفكاهية والسخرية الانسانية ، على نحو ما يبدو في الأفلام التي اتخذ أبطالها من الحيوانات ، وهي المعروفة بأفلام « ميكي ماوس » ، ففي متحف بروكسل الملكي صورة للملكة الفرعونية « مائيت » ، ترى فيها وهي تتناول طعامها ، وأمامها قطة تقوم بخدشها ، كما يوجد في متحف تورينو لوحة من ورق البردي ، صورت عليها جوقة موسيقية من عدة حيوانات ، حمار بيده معزف ، وأسد ينفخ في مزمار ، وغنم بيده قيثارة ، وقرد يقود الفرقة بحركاته . وهذه الصورة تمثل شريطا من نوع أشرطة « ميكي ماوس » المعروفة في السينما الآن .



نق
نتعامل

الطفل

بطيء التعلم؟

بقلم : الدكتور عبد الكريم أبو شويرب

يتخلف كل سنة - لأسباب عديدة - مجموعة من الطلبة عن زملائهم في الدراسة ، ونسبة كبيرة من هؤلاء مصابون بصعوبة التعلم ، وهذا يعني مجرد بطء في تطور القدرة فما هي أسباب هذا التخلف ؟ وهل في الأمر ظاهرة مرضية ؟

ونوع المادة التي سيتعلمها ، وهو مثل بقية خطوات نمو الطفل ، يتراوح بين المكر والمادي والمتأخر ، وقد يكرر طفل في مجال الحركة ، ويتأخر في مجال الكلام ، ولكل مجال معدل ، إذا تأخر عنه الطفل عد متخلفا ، ولكل أسباب وهوامل معينة . ويحتل السنم الدراسي مراحل دراسية ، وحواجر على الطالب أن يجتازها ، ليبدأ المرحلة التي تليها ، وفي كل مرحلة يكتسب الجديده من المعلومات والخبرات التي تضاف إلى حصيلته السابقة ، فضلا

يقدر عدد الأطفال المصابين بصعوبة التعلم بحوالي ١٠٪ من بين كل الطلبة في أي مدرسة ، وهم ربما لا يشكون من أي مرض عضوي أو عقلي ، وإذا لم يتم تشخيصهم وعلاجهم مبكرا فقد يتسبب الإهمال في رسوبهم وتعرضهم لبعض الأمراض النفسية ، لذا تقع المسؤولية على المعلم والطبيب في التعرف على هذه الحالات ، وتقديم العلاج اللازم في وقت مبكر مناسب . تعلم الأطفال أمر تدريجي ، يحدده عمر الطفل

بالنسبة لأعمارهم ؛ وأنه من الممكن أن نكتشف هذه الحالات مبكراً ، ويقدم لها العلاج المناسب .
ليلحقوا بزملائهم ويتابعوا دراستهم .

وفي الولايات المتحدة يتخرج ٧٦٪ فقط من طلبة المدارس الابتدائية ، ومن هؤلاء يداوم ٤٤٪ فقط في المعاهد والثانويات ، ويتخرج منهم ٢١٪ فقط ، ويدخل ٦٪ الجامعات ، ويحصل على درجة الدكتوراة ١٪ فقط من هؤلاء .

ولسنا بصدد أين يذهب الطلبة أو لم يرسبون ، لكن حينما معرفة كم من هؤلاء المتخلفين مصابون بصعوبة التعلم ، وكـم منهم كان يمكن تشخيصه وإنقاذه ومد يد المساعدة له .

أسباب صعوبة التعلم :

هناك عوامل جانبية يدهية تسهم في صعوبة التعلم لدى الطالب ، ومنها الفصل المكتظ بالطلبة ، والمقاعد الخلفية ، وتوقيت الحصة ، وشخصية المعلم ، وغيرها . وما نود أن نناقشه هنا هو سبب فروق الاستيعاب بين الطلبة مع تكافؤ الظروف المحيطة وتساوي درجة الذكاء والعمر وسلامة الجسم .

مستويات الذكاء :

تختلف مستويات الذكاء من طفل لآخر ، وفي كل مجموعة نجد الفوارق الفردية واضحة ، وتقتل نسبة توزيع الذكاء بين الطلبة على شكل هرم ، أوله قليل من الأطفال النجباء ذوي المستوي العالي من الذكاء ، وتقتل قمة الهرم الأخيلية والمعدل العادي للأطفال في نفس العمر، وآخر المتحنى يمثل القلة بطيحي الفهم ، وأخيراً المتخلفين بصورة واضحة .

الأمراض الجسدية والتنفسية :

ولهذه أيضاً أثر كبير على درجة استيعاب الطفل لدروسه ، أو من المعلوم أن الأطفال ذوي الأمراض

عما يصل له عقله وجسمه من تطور وتبدل مستمر عضوي ووظيفي ، إلى أن يصل إلى مرحلة الاكتمال .

التحدي الكبير

وخلال هذه المراحل يتعرض الطالب لثق التفاعلات مع زملائه ومع معلميه من جهة ، ومع المنزل والمجتمع من جهة أخرى ، ويكتشف أن عليه أن يبذل جهداً أكثر ، ويفكر وقتاً أطول ويدفع إبداعاً أحسن ، لينافس زملاءه ، ويسبقهم لكي يستمر في هذا السلم الدراسي ، ويصاب الطالب بفترات من السعادة ، وإطراء من الرضا ، وغيرها من خيبة الأسفل في أداء بعض الواجبات والامتحانات ، أو حتى خلال احتكاكه اليومي وتعامله مع زملائه .

وبينما يتوالى صعود الطالب على هذا السلم يجد بعضهم أنهم غير قادرين على المتابعة أو اللحاق بالأخيلية في الفصل ، أو أنهم يتأخرون أكثر في كل مرحلة ، وعليهم بذل جهد أكثر ، وأهم يستوعبون بصعوبة ، ويدركون النتائج والفرضيات في وقت يكون فيه رفاقهم قد اجتازوا إلى نظريات وفرضيات أصعب وأبعد ، وهكذا يتراكم هذا التخلف سنة بعد سنة ، ونتيجة لذلك :

١ - إما أن يكمل الطالب دراسته بشكل ضعيف .

٢ - وإما أن يحاول تغيير الفصل أو المدرسة أو نوع الدراسة .

٣ - أو يتقطع عن الدراسة ويتجه نحو الأعمال البدوية .

وفي كل الحالات الثلاث تتولد لدى الطالب دوافع نفسية سلبية تجاه زملائه ومجتمعه ، قد تظهر في مراحل المراهقة ، كانهراف أو نوع من أنواع الجنوح أو العنف ، مما يجعل المجتمع ينظر له نظرة خاصة مريبة .

ومن الثابت أن ذكاء هؤلاء الطلبة هو في المعدل

المزمنة كأمراض القلب أو الرئة نتيجة لكثرة تغيبهم لا يستطيعون متابعة الدروس والحقاق بزملائهم ، إلا إذا كانوا منتظمين في مدارس خاصة لهذا الغرض تراعى ظروفهم وتعوض أيام غيابهم .

شخصية الطفل :

يحمل بعض الأطفال بطبيعتهم إلى بعض الدروس ، أو الهوايات ، ويأتفون من أخرى ، لذا لا ريب أن نجدهم متفوقين في مادة أو درس ، ومتخلفين في أخرى ، ولا يعني ذلك تخلفا عقليا أو ضعفا في الذاكرة .

ضعف بعض الحواس :

تشترك كل الحواس خلال فترات التركيز والاستيعاب كي توصل المعلومات نقية سهلة ، بما في ذلك النظر والسمع والتفكير ، لكن في بعض الحالات التي تكون فيها هذه الحواس سليمة فإن الطفل يصاب بصعوبة التعلم ، نظرا لضعف سماع بعض الموجات الصوتية ، أو لصعوبة نطق بعض الحروف ، أو عدم إحساس ببعض الألوان أو الأضواء .

أسباب تعود للمدرسة :

بالإضافة لكان الطفل في الفصل ومعاملة زملائه له فإن درجة التفاعل مع المعلم وشخصيته وطريقة التدريس لها أثر في توصيل المعلومات إلى الطفل وانطباعها في ذاكرته .

وكثيرا ما يتهم المعلم نفسه بالفشل ، لكن سرعان ما يدرك فيما بعد أن الأمر يتعدى موضوع الفروق الفردية في المستوى ، وأن عليه تحويل الطفل لأخصائي والاستعانة برأيه ، سواء طبيب الأطفال أو الطبيب النفسي أو غيرها .

وطبعا قد يؤدي إلى تخلف طفل عن الدراسة إذا حاول المعلم تخفيره أو إهانته أو عقابه ، أو قد يجعل المعلم الطفل لسبب أو لآخر ، مما يجعل الطفل معزولا منبوذا بين زملائه .

على أي حال فالمعلم هو المحور الذي يدور حوله كثير من أهم علاقة بهذه المشكلة ، وتقع المسؤولية على المعلم للتعرف على هذه الحالة ، وتحولها ، ومتابعة علاجها ، وعليه يعتمد مستقبل الطفل وشفاؤه أو تفسير دراسته ، وذلك من خلال ملاحظة المعلم المستمرة ، وهو الذي سيقوم ذكاء الطفل ، وحركاته ، ودرجة فهمه ، ومدى الفرق بينه وبين زملائه .

ومع تتابع السنة الدراسية يشعر الطفل أنه يختلف عن زملائه في ادراك بعض الدروس وفهمها ، وهذا يدفعه إلى اختيار المقاعد الخلفية بعيدا عن مواجهة المعلم وأستلته ، ولكي لا يتعرض لسخرية زملائه إذا أجاب خطأ ، فضلا عن أن موضعه هذا يحمي من تعنيف المعلم إذا أحمل الطالب التمام واجباته المتولية .

المنزل :

للمنزل دور مهم في تعليم الطفل لغته وأدبه وقرائه وتنمية معلوماته وشحذ ذكائه وقواه العقلية ، وللأبوين أكبر الأثر في توجيه الطفل وتعليمه ومتابعته واجباته المنزلية ، والتأكد من أنه يفهمها ويتقنها بشكل مرض ، ولابد من أن نشير إلى درجة ثقافة الأبوين ، ووجود المواد التعليمية بالمنزل ، من قصص وكتب وصور ولعب ، بما يتناسب وسنه ، ولكل ذلك أكبر الأثر لدفع الطفل للاستفادة بما حوله ، وتنمية ملكاته وهواياته الخاصة .

الأعراض والظواهر العامة :

لا يصعب الأمر على المعلم المهتم بتخصصه الذي يلاحظ الطالب يوميا عن قرب ويقيم سلوكه وانتاجه مقارنة بزملائه ، وللمعلم أيضا طرقه الخاصة للتعرف على هذه الحالات أو اكتشافها ، وبالتالي إحالتها للاستشارة ، وما يثير انتباه المعلم إلى صعوبة التعليم لدى أحد الطلبة واحد من الأعراض التالية :

- يمسك الطالب القلم بطريقة غريبة بين الأصابع .

- سوء الخط وميل الأسطر إلى أعلى أو أسفل .

الأطفال إذا ما تأكد أن الطفل يصبر على أخطائه ، أو عند عدم اعتدال سلوكه مع زملائه .

ويمكن للمعلم إجراء بعض اختبارات الذكاء البسيطة المعروفة لنفس سن الطفل ، وكذلك التأكد من سلامة النظر والسمع والنطق ، وعدم وجود عيوب أو كسور ظاهرة .

وعلى المعلم أيضا تقع مهمة العلاج ، ومتابعة الحالة خلال السنوات المقبلة ، وأن يكون على صلة مباشرة مع الأبوين والطبيب وشرح الطريقة التي سيتم بها لعلاج الطفل .

دور طبيب الأطفال :

وتتخصص مسئولية طبيب الأطفال في وضع التشخيص الدقيق ، وتحديد نوع العيوب التي يشكو منها الطفل ، ثم المتابعة في المستقبل بالتعاون مع الأبوين والمعلم .

فإذا تم تشخيص مرض عضوي (كالربو أو داء السكري أو ضعف إحدى الحواس أو غيرها) جرى علاج ذلك حسبما يقتضيه نوع المرض ودرجته ، أما إذا لم نثر على مرض مع ثبوت الأمراض السابقة فعلى الطبيب أن يوضح للأبوين أن الطفل سليم عضويا وعقليا ونفسيا ، لكنه يشكو من صعوبة التعلم لبطء تضيغ حواسه وأعضائه ، وهذا يدفعه لإدراك الأبوين لحالة الطفل ، وزيادة الاهتمام به ، وبذلك بعض وقتها للمساعدة في تقويمه وإرشاده ، وطبعا من المهم بمكان إقناع الأبوين بأن الطفل سليم عقليا ، وأنه قابل للشفاء ، واللاحق بزملائه .

العلاج :

يمكن نجاح العلاج في التشخيص المبكر وتكاتف الأبوين والمعلم والطبيب ، ومناقشة حالة الطفل ، والتعاون فيما بينهم لإرشاده ومتابعته ، ومن المهم أن يتم التشخيص والعلاج في مراحل الدراسة الابتدائية ، قبل أن يتخلف الطفل عن زملائه ، وقبل أن يصاب بالعقد النفسية ، وقيل أن يوصف بالإهمال أو الغباء ... الخ . □

- كبر الكلمات واتساع المسافة بينها .

- صعوبة في تنظيم واجباته المدرسية وانحماها .

- صعوبة الحفظ وضمف الذاكرة .

- صعوبة التعامل مع الأرقام والعمليات العددية .

- تقديم وتأخير في بعض الحروف داخل الكلمة .

- بطيء في القراءة والتهجى والانشاء .

أما التغيرات التي يلاحظها المعلم على سلوك الطالب فتشمل :

- شروء الذهن أثناء الشرح (أحلام اليقظة) .

- السلوك غير الطبيعي في معاملة المعلم أو زملائه

في الفصل .

- قصر فترة التركيز والاصفاء .

- زيادة الحركة دون لزوم أو هدف معين .

- سريع التوتر والتهيج لأبسط الأسباب .

- مشاغب ومثير للنزاع في البيت والمدرسة .

- يصني لكنه لا يسمع ما يقال له .

- يظهر عليه القلق والضبجر خلال فترات الانتظار .

دور المعلم :

كما سبق يتضح أن للمعلم دوراً فعالاً ومهما في تشخيص حالات صعوبة التعلم لدى الطلبة بخاصة في الفصول الدراسية الأولية ، وكلما كان المعلم على صلة مباشرة مع الطفل (معلم واحد لكل المواد الدراسية) ومتبعها تطوره يوما بيوم ، أمكن تشخيص الحالة بشكل مبكر وتقديم العلاج في وقت مناسب .

وبعد أن يشتبه المعلم في حالة ما - مع منح الطفل الوقت والفرص اللازمة ومع قياس الفارق الفردي في الفرق بين الطلبة حتى في نفس الأعمار - عليه محاولة تصديق أداء الطفل وتوجيهه وتصويب أخطائه ومتابعته عن قرب ، ومنحه شيئا من الاهتمام ، كتغيير مقعده إلى الصفوف الأمامية ، أو تقديم المكافآت أو الجوائز التشجيعية .

وبعد ذلك على المعلم أن يطلب رأي طبيب

هو.. هي..

«وهو كظيم»

وهس . لكنني أريد ذكرًا . ودعشت ، فلم أكن أتصور أن رجلا في زماننا هذا يفكر هذه الطريقة ، وجاء وقت حدي ، فقلت له : إن الأبوة تتحقق بغض النظر عن نوع المولود ، وهؤلاء الأناث يملأن البيت حنانا ورحمة ومودة ، وهن بلا حدال أكثر عطفًا على والديهن من الذكور ، والولد فرحة تذهب إلى أسرة أخرى ، والبنت فرحة تجم ، وابن جديد ينضم للأسرة . وقلت له : لم يعد في عصرنا هذا فرق بين الرجل والمرأة ، ولا بين الذكر والأنثى . وحتى بحساب ذاتي محض ، فانا أرى أن البنات أكثر راحة لنا ، فهن الصدر الذي يضمنا حين تكبر ، وهن الشجرة الوارغة التي تمتد فظلنا ، وهن الصغيرات المدللّات الحبيبات مهما كبرن ، فهس لي بحزن . أريد أن يبقى ذكري واسمي ضحكك ساخرة وقلت : ومادا لو جاء ولد عاق ؟ ومادا يعنيك ذكرك إذا كنت أنت قد خادرت الدنيا ؟ إن أبني الذكر السيرة الطيبة والعمل الصالح ، والمودة بين الناس . نظر إلي برجاء وقال : دعينا نحاول مرة أخرى أخيرة ، قلت له . لن أعرض صحي للخطر ، وأعرض بناتي للخوف من أن أفقد حياتي في هذه المحاولة الأخيرة التي لن تحقق شيئا إلا بقية جاهلية ما زالت في أعماقك ، وأنا والحمدلة راضية قاتمة بما رزقني به الله ، أما أنت فخلص نفسك من أوهامك وارض واشكر .

هي..

تخبيء خلف جدران البيوت مشكلة كمشكلتي ، وداعل العلاقات الانسانية يكس جرم من عقل الرجل الشرقي تزوجنا منذ عشر سنوات ، رزقنا الله خلافا ثلاث بنات ، يملأن حياتي بهجة وحنانا ، ولأن ظروفي الصحية ليست طيبة ، وخاصة أن ولادتي ليست أمرا سهلا فقد اقترحت على زوجي أن أجري عملية لوقف الانجاب فترة ، لكن زوجي ما أن سمع هذا الاقتراح الذي نقلته له عن طبيبي المعالج ، حتى ثار وأرغى وهدد ، وبعدما راحت ثورته حاولت أن أعاطب عقله ، ففوجئت أن خلف ثورته وغضبه يخبيء عقل شرقي قسح ، يتحكم في سلوكه وتصرفاته . قلت له : لقد رزقنا الله البنات ، وقرت أحييتنا بهن ، والحمدلة أن وسع علينا في رزقنا ، لكن الطبيب نصحي بأنه من الأفضل لي أن أكف عن الانجاب ، خشية أن أتعرض لشاب صحية ، وأعتقد أن الاستجابة لهذا أمر لا يغضب الله ، ولا يتناق مع العرف ولا التقاليد . نظر إلى طويلا



«خلود»



أؤمن بالله إيماناً لا يداخله شك ، ومغثلي .
نفسي رضا وتسلياً بمشيئته ، وأعرف معرفة
عقلية وقلبية معنى حكمته في أن يرزق من يشاء ذكورا
ومن يشاء إناثا ، ويعمل من يشاء عقيلا ، لكنني
أحلم ، وأتمنى أن يكون لي ذكر يحمل اسمي ،
وأصطحبه معي ، وعندما يكبر أشركه في أمري ،
وأسر إليه بخواطري ، وأسمع منه ، وبصير لي ابنا
وأخا وصديقا .

لكن زوجتي ساعها الله تنصر لبنات جنسها ،
وتزعم أن البنات أكثر حننا ، وأكثر رعاية لأهلهن ،
وتقول لي : انظر إلى البيوت التي تفقد رجلها ،
فتصبح الأم هي الأب والأم ، وذلك بعكس حالات
فقدان الأم . فسرعان ما يأتي الأب لأبنائه يزوجه
جديدة . إنها تريد أن تدلل بذلك على أن الأنثى
بطبعها وفطرتها أقدر على حماية البيت من الولد ،
وعندما قلت لها : إن هناك حالات لأباء منحوا
أبنائهم حياتهم بعد فقد الأم ، تقول لي : إن هذا هو
الاستثناء وليس القاعدة .

لكنني بعيدا عن كل منطق أقول : أليس من حفي
أن أفرح بصبي ، وأن أسعد بأن يتردد اسمي أجيالا
ممتدة ؟ فتقول : إن هذه أنانية ضيقة الأفق ، فماذا
يفيدني اسمي ؟ أو ماذا تعني الدنيا كلها بعد أن
أموت ؟ أليس فينا كلنا حب الحياة ، والتعلق بها ؟
وهل يقوى منطقها على الصمود أمام دعوة نبي الله
زكريا عليه السلام عندما سأل ربه أن يهبه وليا ، يرث

منه ومن ال يعقوب ؟ تصرخ في وجهي متهمه إياي
بالخروج عن العقل ، قائلة : إنه لا يجوز لنا ما يجوز
للأنبياء ، وأن ظروف نبي الله الكريم غير ظروفنا ،
وأن نحن من هذا المستوى الطاهر بين التخاطب بين
النبي وربه ، وتطبيق على الحقائق . أقول لها : لكن
ابنتي الملك لير اتفقتا عليه ، وأهدرتا دمه ،
وضيعته . . تضحك مني وتقول : أليس عينا أن
نحتمي بقصص من الخيال لنبرر أنانيتنا ، وضيق
أفقتنا ؟ ثم تنقلب حواء زوجتي إلى حية رقطاء وهي
تهمس لي : ولا تنس عزيزي أننا نثمر ما نزرعون
أنتم أيها الرجال ، فالرجل هو الذي يتحكم في نوع
الوليد . وأصرخ في وجهها قائلة : أهرف ، أنسم
برأس أبي أنني أهرف ، لكنني أحلم بولد يرثني ،
ويقسم برأسي ، ويعمل اسمي ، ويكون وسيلة
خلودي . وهذا هو حلم البشر

هو



طبيب الأسرة

قضايا
مزلية

أخطر ما نسيناه من الطعام

الألياف

إعداد : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

ربما وجد فيها بعضهم عشا ثقيلًا على الجهاز الهضمي ، لذا عملوا على تنقية الطعام منها على حد زعمهم ، فحملت إلينا هذه القناعة قائمة من الأغذية ، أطلقوا عليها اسم (الأطعمة النقية) ، تصدرها السكر النقي والدقيق الأبيض ، بعد أن غلصوها من الألياف التي اعتبروها من الشوائب ، ليقدموها حلقًا للحيوانات . لهذا لا غرابة أن يكون محتوى طعام الانسان الغربي المتحضر من الألياف الخام يتراوح بين أربعة إلى ستة جرامات فقط في يومه الواحد ، فيما يقدرون الألياف في طعام أهل العالم الثالث في بلدان أفريقيا وآسيا بما قد يتجاوز الخمسة والعشرين جراما يوميا . فماذا كانت النتيجة بما ترى ؟

الملاحظة الأولى أن الكتلة البرازية عند الانسان الغربي المتحضر تتراوح ما بين مائة ومائة وخمسين جراما فقط في كل يوم ، وهي كتلة قاسية القوام ، أقرب إلى الجفاف والصلابة منها إلى اللينة ، وهذه هي مقومات الغائط لاسان يعاني من الإمساك . بينما الفضلات عند الانسان الأفريقي الذي يتمايش مع الطبيعة بكل أبعادها قد تصل إلى أربعمئة جرام يوميا ، وهي ذات قوام لين لزج ،

هناك منعطفات في تاريخ العلوم الغذائية تعتبر علامات للطريق على درب الصحة والمرض ، لا يمكن للفكر الطبي أن يتجاوزها عند الحديث من سلامة الطعام .

ولعل من أهم هذه المنعطفات :

أولا : اكتشاف الميكروبات التي تلوث الطعام ، ومعرفة أسرارها على يد حشد من العلماء ، تصدرهم (كوخ) الألماني و (باستير) الفرنسي .
ثانيا : الكشف عن المخاطر الكامنة في بعض عناصر الطعام ، والضرر من تجاوز الاعتدال فيها إلى حدود الاسراف ، وأبرزها ملح الطعام والسكريات والدهون الحيوانية ، إلخ .

ثالثا : اكتشاف القيتامينات في الطعام ، ومعرفة الأمراض التي يسببها نقصها . أما ختام هذه المنعطفات وربما أعطرها فكان الكشف عن دور الألياف في الطعام ، وارتباطها بالصحة والمرض . فيها مضى كثيرون يظنون بالألياف عنصرا زائدا عن الحاجة ، وأن دورها يتحيز بالسلبية ، لهذا عرفوها بقدر ما وسعهم الإدراك بأنها ذلك الجزء من الطعام الذي يعبر القناة الهضمية دون أن يهضم ، لهذا لم تنل الألياف حظها من الاهتمام والدراسة الكافيين ، بل

قوام الكتلة البرازية هو ماء ، فيما تشكل البقية الباقية منه ميكروبات مع مواد خشبية مناصفة ، وهذا هو ما يعطي الكتلة البرازية حجمها المطلوب لتنظام حركة الأمعاء وخروج الغائط ، حيث أن البراز الذي يتجمع ويتراكم في قولون الحوض لا بد له من حجم لا يقل عن مائتي جرام ، حتى يمكنه أن يثير جدران القولون لكي يتمكس شموذاً بالأخراج ورغبة في التبرز وإلا كانت النتيجة هي الإمساك .

الآليات - حل - ما وجدوا مؤخرًا - لها دور - أبعد من مجرد الامتلاء ، وأكثر إيجابية ، إذ أنها أيضا تخفف وتعامل المواد المسرطة في الطعام التي تسبب سرطان القولون إذا ما تراكمت فيه .

لقد وجدوا أيضا في مادة البكتين معطلا لأحاض الصفراء مما تفرزه الكبد ، ومن هنا ينخفض منسوب الكوليسترول في الدم ، كما تقل احتمالات ترسبه في الشرايين ، أو تكون الحصى في الكيس المراري .

هذه بعض نماذج لما خلفه غياب الآليات من الطعام الحضاري المزيف ، غير أن القائمة ما زالت طويلة تعد بالعشرات . نذكر منها أهمها وهي :

أولا : الإمساك : حيث أن حركة الطعام في أمعاء الإنسان الغربي في شبة الآليات تصير إلى الإبطاء إلى درجة يصبح معها الإخراج متعذرا بصورة طبيعية في كل يوم ، وهذا أمر قد يتطلب معاناة وزيادة ضغط داخل البطن في محاولة التغلب على الإمساك مما يؤدي بدوره إلى حلقة مفرغة من المعاناة ، تخلف وراءها أمراضا عديدة لا يعاني منها الناس البسطاء في العالم القديم أو العالم الثالث الحديث إلا إذا تفرنجوا وتحضروا وقلدوا حضارة الغرب في نبذ آليات الطعام . وهنا تكون المعاناة على صور شتى منها :

أولا :

أ - البواسير .

ب - تجمعات الأمعاء .

ج - دوالي الساقين .

د - شرخ الشرج .

متنظم الإخراج في كل يوم . وهذه هي دلائل سلامة الهضم والإخراج الطبيعيين ، وانتظام عمل القناة الهضمية .

منذ أن تسريت مفاهيم الحضارة الخطاطنة عن الطعام ، وغابت الآليات بتحضير (الأطعمة النقية) خلال سنوات القرن العشرين ، تزايدت أمراض عديدة ، لم تكن موجودة عند الإنسان القديم إلا فيما ندر ، بل وبقي أهل العالم الثالث الذين لم تصلهم مفاهيم الحضارة الحديثة عن نقاوة الطعام يئنون عن مثل هذه الأمراض ، لهذا لا عجب أن تكتسب قائمة هذه الأمراض اسم أمراض المدنية ، وكان أخرى بها أن تسمى أمراض المدينة ، نسبة إلى المدينة لا المدنية .

قبل أن نخوض في الحديث عن أمراض حوز الآليات كما يحلو لبعضهم أن يسميها ، بديلا عن اسم أمراض المدنية والحضارة ، لا بد لنا أن نتعرف على هذه الآليات ، ونستطلع كنهها ، ونستكشف دورها .

فيما مضى كانوا يظنون أن (السليولوز) هو قوام هذه الآليات . وقد ارتبطت التخلالة في أذهان الناس بالسليولوز ، غير أن البحث العلمي والتفتيش قد قلبا المفاهيم رأسا على عقب ، فالآليات هي هيكل الحلية النباتية وغلافها ، وعندما نفذ العلماء في الماضي إلى أعماق الحلية بحثا عن عناصر الغذاء فيها من نشويات وزلاليات ودهنيات نسوا أو أنهم تناسوا هيكلها ، وأغفلوا غلافها ؟

وعندما فرغوا من بحثهم استداروا يتطلعون إلى الهيكل والغلاف ، فإذا بالأمير يتعدى مادة السليولوز إلى مجموعة مواد ، منها ما يذوب في الماء ، ومنها ما لا يذوب ، وتضم قائمة ما يذوب في الماء مواد البكتين والاصماغ والشعور ، أما الذي لا يذوب فتضم قائمته مواد السليولوز وشبيه السليولوز والخشنيين . ولعل من أهم خواص هذه المواد أنها تعمل عمل الاسفنج في امتصاص الماء ، لهذا نجد أن ٨٠٪ من

جمال العربية

□ صفحة ١٧٦

ألفاظ مُعَرَّبَة

بقلم : الدكتور حسن عباس

وإذا كانت قد استضافت من لغات الأمم ما استضافت فما ذلك الا الأقل الأندر ، الذي لا يكاد يذكر في جانب الأغلب الأكثر ، وعلى الرغم مما أطبق علينا من ألفاظ الحضارة المصرية في يومنا الحاضر فإن الفصحى استطاعت أن توقف زحف الدخيل ، وأن تستبدل به ألفاظا عربية مخرجة في ميادين شتى وفروع متعددة من العلوم والفنون والآداب ، هل أن السعي الى إيجاد بدائل فصيحة للألفاظ الدخيلة لا يمي فرض ذلك على ألسنة العامة ، بل إلزام الخاصة ممن يكتبون ، فإن دوران الألفاظ المخرجة أو بدائلها في الصحافة والدوريات والكتب المتداولة ونشرها في مجالات الاذاعة الفصيحة على اختلاف منابرها ومتنصاتها في حياتنا التعليمية والاجتماعية سيتيح للجماهير أن يستخدم هذه الكلمات ، فإن الجماهرة العامة تستمد من لغة الكتابة ما يهذب لسانها . ويرفع مستواها التمييزي » من هذه الكلمات الفعل . يستر ^(١) وهي طريقة في التعميق تنسب الى صاحب هذه الطريقة

هناك ألفاظ طارئة على اللغة العربية لم يكن لها وجود سابق في لغتنا ولم يكن لنا عهد بها قبل بضعة عقود . لقد جاءت بها - وبغيرها من ألفاظ الحضارة - مدينة القرن العشرين ، فدخلت مجال التداول والاستعمال بغير استئذان ولا حرج على العامة ان تداولتها على النحو الذي سمعتها ، ولكن علماء العربية وأدباءها - وخاصة المجتمعيين منهم - يهضون بمعبء تدبرها وتصريفها واخضاعها لنظام اللغة العربية وقواعدها أو إبدالها بغيرها مما يناسبها من ألفاظ عربية .

فإذا كان صدر اللغة قد اتسع قديما لأساء جديدة فإن هذه اللغة لن تقف موقف التسليم إزاء كل ما يطرأ عليها من جديد وتأخذ على حاله ، أو تصده دون النظر فيه ، بل تنفذ فيه أمرها ، وتترك عليه بصماتها يقول محمود تيمور في هذا الصدد . « لقد تعاقبت عليها أي على اللغة العربية في عصورها الغواهر حضارات أمم ، وثقافات عهود ، فلم تقصر بالتمييز عنها من جوهر الفصحى ومن صميمها ،

● يقصد بالمجتمعيين اعضاء جماع اللغة في عدد من المدن العربية

(١) لايصح اطلاق الفعل « عقم » محل الفعل « ستر » لاختلاف بينهما فالتعقيم يقضى على الميكروبات في درجة حرارة ١٠٠ مئوية في حين تمس السترة رفع درجة الحرارة الى ٧٠١ لمدة ٢٠ دقيقة

المعجم العربي لصلتها الوثيقة بالمعلوم الحديثة والحاجة الماسة الى تداولها نطقا وكتابة . يؤكد لنا ذلك أن هناك كلمات كانت قد شاعت في عدد من الأقطار شيوعا لم يجاوز العامة ، ولم ترق الى لغة الكتابة على السرفس من طول المعهد بها ، ومن هذه الكلمات : كاز : أخذت عن التركية من أصل فارسي ومعناها صنعت ، مهنة عمل ، كشك : تركية وتدعى (كوشك) وهى من أصل فارسي وتعني القصر أو البيت الصغير المعد للاصطياف .

أما في اللهجتين الشامية والمصرية فهى تعني البناء الخشبي أو المعدن الذي يقام على الأرضة لبيع علب الدخان أو الطوايح ، أو غير ذلك .

كرباج : تركية ، تعني السوط المصنوع من الجلد .

كويري : تركية ولا تستعمل الا في اللهجة المصرية بمعنى جسر .

المطعم ، والنزل (الفندق) . أما المعنى الاول فهو شائع في بعض بلاد الشام وأما المعنى الثانى فهو شائع في البعض الآخر من بلاد الشام وفي مصر .

كبشة : تركية عرفة فهى تدعى هناك (كفجة) ومعناها مغرفة الطعام ، وتستعمل في بعض بلاد الشام وفي بلدان الخليج العربى .

وعلى الرغم من طول العهد بهذه الكلمات ، فقد ظلت في مستوى متدن من الاستعمال ، ولم تعرب لفقدانها شرط التعريب .

العالم الكيميائي الفرنسي « لويس باستور » ولكن قبول الكلمة - أي كلمة - وإدخالها بمعجم الألفاظ العربية لا يتم الا اذا خضعت لطرائق العرب في التعريب . وقد أكد هذا المبدأ يجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الاولى . اما الالفاظ المشتقة من كلمات أعجمية كالفعل « بستر » فلا يصح الأخذ بها الا اذا صحت صياغتها صياغة عربية وساحت في اللوق .

وقد توافرت لهذا الفعل وللأفعال الأخرى التي سنأتي على ذكرها شروط التعريب وجاء اشتقاقها على وزن عربي صحيح . نقول : بستر ، يستر ، بستره وهى على وزن فعلل - الرباعي - يفعل ، فعللة .

ومن هذه الأفعال : بلور ، من البلور ، وقد عربت قديما ، ودرجت على ألسنة الناس وشاعت في الكتابة ، ومنها أيضا الفعل يبلشف ، المشتق من (البلشفية) وهى مذهب سياسي . ومنها كذلك تلفن ، يتلفن وهى تعريب للفظ الأجنبي « تلفون » ومنه : فبرك يفسرك ، وهى تعنى صنع الشيء بالآلة ، اما اذا استعملت استعمالا مجازيا فتعني حيثل : التزوير . والفعل جيس ، من الجيس وهو من مواد البناء ، وقد عرب قديما . ومنها - أخيرا - كهرب ، من الكهرباء . على أن يجمع اللغة العربية في القاهرة قد أقر هذه الأفعال دون الفعل كهرب حيث أقر الاسم فقط .

وقد حفز المجامع العربية على النظر في هذه الأفعال وأشبابها واتخاذ القرارات بإضافتها الى

العقاد والقصة القصيرة

● في سؤال وجه إلى الأستاذ العقاد عن رأيه في القصة القصيرة أجاب قائلا : القصة القصيرة تدور حول موقف أو مسلك ، وأنها قد لا تنتهي إلى ختام ، فهي تصور لنا حادثا أو شخصا في حالة معينة . والقصة القصيرة هي تخطيط لا تفصيل ، فقد تدور حول شخصين جالسين إلى مائدة ، تنصفهما وحسب ، أولا ضرورة للمقدمة ، وقد كانت المقدمات والنتائج ضرورية أيام كان الخيال قاصرا وحاجزا . ويرى العقاد أن القصة القصيرة أصعب من الرواية أو القصة الطويلة ، فالقصة القصيرة تعتمد على الملاحظة الشخصية ، وعلى التركيز بينا الطويلة فيها متسع من الوقت والمكان .



جمال العربيّة

□ صفحة شعر □
□ هكذا غسّى الأنبياء □

الحناء

للشاعر ايليا أبي ماضي


التجارة ، ثم في الصحافة لفترة قصيرة وأصدر في مصر ديوانه الاول « تذكّار الماضي » واختار هجرة أخرى الى الولايات المتحدة الامريكية .

شارك في تأسيس الرابطة القلمية مع كل من جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وغيرهما ، وأصدر صحيفة أطلق عليها اسم « السير » أصدرها اسبوعية في نيويورك ، ثم تحولت الى صحيفة يومية في بروكلن وليست مهنة الصحافة هي التي قدمت أبا ماضي وأحلتها المكاة الأدبية المرموقة التي يحتلها ، بل هو شعره .

صدر لأبي ماضي أربعة دواوين شعرية كان آخرها « الحمايل » ، وقد توفي الشاعر في عام ١٩٥٧ .
اما القصيدة التي وقع عليها اختيارنا فهي تمثل موقفا فلسفيا يحسم المسألة في الذات الانسانية وليس خارجها .

وعلى الرغم من قدم الموضوع فإن القصيدة تحفل بالحديد مختلفا ، بلق الجبرية الشعورية . وفي اللغة الرشقة ، وفي الحركة الدالة المعبرة عن قلق مبدع .

فتشت حبيب الفجر عنها والسُدجى
ومددت حتى للملك اكب أصبعي

لو قدر لك أن تضرب في أقطار الأرض ارحمالأ 
وسياحة لوجدت في كل بلد تطؤه قدماك
مهاجرين من لبنان ، وما كل ذلك حبا في السفر ،
ولا رغبة في ارتياد الأفاق ، بل يعدد عن الوطن عندما
تملو فيه السنة الذهب ويصطلي ابتلاء بنار الحرب
الاهلية ويمانون بما تستبعمه تلك الحرب من الانبياء
الاقتصادي .. والجوع !

ما أشبه اليوم بالأمس ، ففي عام ١٨٦٠ نشبت
حرب أهلية كالتني نرى ، وتضامنت طائفتي كالتني
نرى ، وكان للدول الكبرى آنذاك يد في كل ما كان
يجري على أرض لبنان ، لكن زمن الحرب لم يطل فقد
اتفق الباب العالي في اسطنبول وعدد من الدول
الاوروبية سنة ١٨٦١ على أن يكون للجبل نوع من
الاستقلال الذاتي ، وأحبب هذا الاتفاق هدوءه
واستمراره . ولكن الأجانب استغلوا هذا
الاستقرار ، وجنوا فوائده ، فضاعت سبل العيش
بأبناء البلد ، فلم يجدوا بدا من الهجرة ، فكان أن
هاجر البعض منهم الى مصر ، وهاجر آخرون الى
أوروبا والأمريكتين .

اما ايليا أبو ماضي فقد هاجر - في باديء الأمر -
الى مصر ، وكانت بدايته فيها متواضعة . عمل في



إيليا أبو ماضي

وتقطعت امراسي آمالي بها
وهي التي من قبل لم تشق
عصر الأسى ورحى فسالت آدمي
فلمحتها ولمسها في آدمي
وعلمت حين العلم لا يجدي الفتي
أن التي ضيمنتها كانت معي
على هذا التحويضي الشاعر - الانسان - عمره في
البحث عنها جادا دائما ، بل مهموما حائرا . أتدري
ما هي ؟ انها السعادة ثم يجدها بعد طول عناء ..
ولكن في ذاته !

يتأخذ البحث عنها أشكالا متعددة من النشاط
المحموم ، فهو يبحث عنها في مظاهر الطبيعة لعله
يلقاها في الفجر ، أو في الدجى أو في البحر ، فإذا
أحبه الحيلة مد يده للكواكب ، لعالم غير هذا العالم
الذي يمشي فيه ، ولا يجد لدى الطبيعة بمظاهرها

لذا هما متحيران كلامها
في عاشق متحير متفهم
وإذا التجوّم لعلها أو جهلها
مُترجرات في الفضاء الأوسع
رقت أشعتها على سطح النجى
وعلى رجاء في غير مُفهم
والبحر كمْ ساءلته فتضاحكت
أمواجه من صوت المتقطع
فرجعت مُترعش الخواطر والمنى
كحمامة تحمولة في زرع
وكأن أشباح الدهور نالت
في الشط تضحك كلها من مرجي
نواذت أفراحي وطلقت المني
ونسخت آيات الهوى من أضلعي
وحطنت أقداحي ولما ارتوي
وهفت عن زادي ولما أنبع
وحسبني أدنو اليها مُسرعا
فوجدت أن قد ذنوت لمصرعي
فكأنني البستان جرة نفس
من زهره المتنوع المتفوق
ليجس نور الشمس في قراته
ويقابل النسمات غير مفتح
فمسي عليه من الخريف سراق
كالليل غيم في المكان البلق
وكانني المصفور عرى جسني
من ريشه المتناسق المتلعب
ليخف حيلة فخر الى الفري
وسطا عليه النمل غير مروّع
لما حملت حملت بزهرة
لأنجني وينجمة لم تطلع
ثم انتهيت فلم أجد في مخدعي
الا ظلال والفراش ومخدعي
من كان يشرب من جداول وقه
فقطع الحياة بغلة لم تنفع
حتى اذا نشر القنوط ضبابه
فوقى وصيني وغيب موضعي

حباب سمعاه فيها عدها تجملت له في الحلم زهرة لا تجتني ، ونجمة لم يرها أحد ، فلما أفاق ادرك أنه ضال فقد عول كثيرا على الوهم ، وما كان ينبغي له .

أين يبعدها بعد أن أخفق في العثور عليها في عالمي اليقظة والحلم ؟ لم يبق أمامه الا انتظار مرور الزمن فانتظر وطال انتظاره حتى داخله القنوط ، ورائت على صدره غيبة الأمل بكل ما تحمله من أسى لم يفرج عنه الا الدمع .. حيثئذ لمحها .. لمس السعادة في أدمعه ، وعلم بعد ضياع العمر أن التي كان يبحث عنها لم تبحر ذاته قط .

لم يتحدث أبو ماضي عن السعادة حديثا مباشرا ، ولم يتوجه إليها بالخطاب ، ولم يلتفت كثيرا إلى البحث في كتبها على طريقة الفلاسفة بل عمد إلى وصف تجربته في البحث عنها والبسبب إليها ، وكانت تجربة صادقة مريرة ذهب فيها إلى البعيد .. وتطرف . لقد أسرف في الأمانى حين كان طموحه لا يرضى بأقل من النجوم وأسرف في التواضع حين تحول إلى طائر يخر على الأرض صريعا . لقد صور الفلق بمعناه العميق ، وجند لذلك لغة وثيقة سهلة وصورا موحية معبرة . □

المختلفة أو لدى الكواكب الا الحيرة .. حيرة من هذا العاشق الباحث .

إن القصيدة تحمل بالحركة القلقة المضطربة وتلك سمة من سمات البحث ، ولم يترك الشاعر مظهرا من مظاهر الطبيعة دون توظيفه في التعبير عن تلك الحركة القلقة المضطربة ، فهي ماثلة في رجرجة النجوم ، ورقص الأشعة ، وتضاحك أمواج البحر ، وارتعاش الخواطر ، .. وكلها في حركتها واضطرابها تسخر من سميه العابت . لقد بدد جهوده دون بلوغ الغاية لذا تراه يني النفس في العثور عليها في مظاهر الغنى كالقصور المشيدة والرياش وفي حياة الرخاء والنعيم ، فإذا عز متالفا في هذا الجانب من جوانب العيش انتقل إلى التقيض .. إلى الزهد .

فقدما قبل الفتاة كنز لا يفي ، فماذا أصاب ؟ جرد نفسه - كالبلستان - من الزهر الذي يزهو به ومن الأوراق التي تقيه ريح الحريف ، فقدما كالصغفور وقد جرى جسمه ليخف وزنه ، فما كان منه الا أن خر صريعا ، فتكاثرت عليه النمل وتبدد .

يهجر عالم اليقظة مدام قد خرج منه خالي الوفاض ، ويتجه إلى الحلم لعله يجد فيه ما كان قد

الحب والزواج

● يقول الروائي الأمريكي آرنست همنغواي : الحب هو أعظم تجربة في حياة الناس ، والقلب هو أكثر نواحي الطبيعة البشرية نبلا ، والمواطف هي أسوأ عناصر الطبيعة الانسانية ، والانسان الحكيم لا يتزوج من أجل الجمال وحده ، فقد يكون للجمال جانبية قوية في البداية ، ثم يثبت بعد ذلك عدم أهميته النسبية . والزواج من شخص وسيم بلا شخصية لا تزينة العاطفة ولا طبيعة طيبة خطأ جدير بالرائة ، فكما يجمل التعمد المنظر الطبيعي الجميل إلى شيء ممل ، كذلك يتحول الوجه الجميل إلى شيء ممل ، إلا إذا كانت هناك طبيعة تشرق من خلاله ، فجمال اليوم يصبح شيئا عاديا ، أما الطبيعة التي تكمن في الملامح العادية فهي جميلة إلى الأبد ، وهذا النوع من الجمال يتطور مع مرور الوقت ، والزمن لا يدمره ، بل ينضجه ، ولا يجب على الرجل أبدا أن ينضج امرأة لتحليل العميق ، فالتساءل أجهزة حساسة ، يثقت الرجال عواطفهم من خلالها ، والصمت يكون أحيانا أفضل زينة للمرأة .

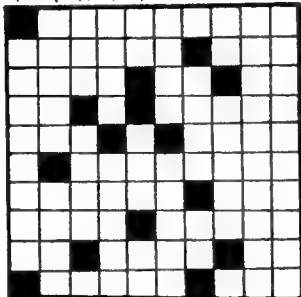


آرنست همنغواي

الكلمات المتقاطعة



١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١



يهدف هذا اللغز الى
تسلّيك وامتاعك بالاضافة الى
إثراء معلوماتك وربطك
بتراثك الفكري والحضاري
عن طريق البحث الجاد المثمر
في المصاحم والموسوعات
وغيرها من المراجع الهامة .
والمطلوب منك الاجابة على
أسئلة هذا اللغز ومقارنتها
بالحل الصحيح الذي سينشر في
العدد القادم .

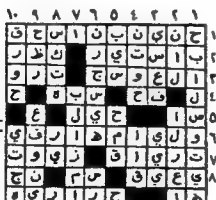
كلمات رأسية

- ١ - تصميم سبق على ارتكاب الجرم
- ٢ - مال يدفعه الزوج لاهالة مطلقة .
- ٣ - قادم ، لسان في محل نصب .
- ٤ - رجال كبار السن ، حرفان من تلقى .
- ٥ - سلامة ، صندوق من خشب مقلوبة .
- ٦ - غدا معكوسة ، أنبي ، إله فرعوني
- ٧ - بلغ سن الرشد ، الشخص الذي يوكل إليه رعاية شئون القاصر .
- ٨ - طعام مبثرة ، لذعة .
- ٩ - مال يدفع لضمان عودة المتهم للمحاكمة ،
- فرّقن وضمتن (أموالهن مثلا) .
- ١٠ - من أشهر الأطباء الأقدمين .

كلمات أفقية

- ١ - السن التي يتبيّن فيها الحدث اتجاه ميوله .
- ٢ - قماش ناصع البياض ، أصفر وأخف من
الجنحة .
- ٣ - حرفان متشابهان ، وجّه هجوماً ، شكاية غير
مكتملة .
- ٤ - توافر الصفات القانونية ، خالص الشيء .
- ٥ - بلد مستقل في الهند الصينية مبثرة ، مرجح .
- ٦ - التلاعب بأموال الغير وبخاصة الدولة .
- ٧ - صان بابدال عينها بحرف الزاى ، غير مُعرّفة
ومضافة .
- ٨ - أجور ، وهاد مبثرة .
- ٩ - تمجدها في هاج ، متفص ومؤلّم ، تمجدها في
طؤد .
- ١٠ - تصرف في مال أو عقار ضماناً لدين ،
تحميد .

حل مسابقة العدد الماضى ابريل ١٩٨٨





العربي الصغير

صدر العدد الجديد
من مجلته :
مايو ١٩٨٨



العربي الصغير

مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير : د. محمد الزميتي

يشترك في تحريره مع الفتيان والفتيات العرب
مجموعة من كبار الفتيان والفتيات والكتاب المتخصصين

في هذا العدد :



١) ساعة الصادق النبوي في الكويت .. فن شعبي عربي

٢) مدينت علي بابا .. قصة من ألف ليلة وليلة

٣) استطلاع بالصورة والقلم عن فن "الأكروبات"

٤) الفأر القارض للشعر .. قصة عربية حديثة

٥) الفسطاط .. أول عاصمة لـ مصر الإسلامية

٦) قصة علمية عن التحول العظيم ليرقة الفراشة



■ دامتة معارف العربي الصغير
■ إسلاميات ■ اصنع بنفسك
■ صفحات الكمبيوتر
■ صفحات لأخيك الصغير
■ وأختك الصغيرة



نتيجة مسابقة العدد الخامس والعشرين
ومسابقة جديدة و ٥٠ جائزة

بدأ د. دافيس كتابه بالتاريخ للحركة الصهيونية ، ويصل إلى استنتاج رئيسي هو أن الحركة الصهيونية كانت وليدة التحولات الصناعية والرأسمالية في أوروبا وخاصة في القرن التاسع عشر . فمن نتائج التحولات الرأسمالية خلق النظام الاجتماعي وسياسي أوروبي جديد ، يختلف في أسسه السياسية . وفي مطلقه الأيديولوجي عن النظام الإقطاعي البائد . اعتمد النظام الجديد على مبدأ علمانية العقل والأخلاق . ولكن النظام الجديد كان نتاج ترائين نقيضين في الفكر الغربي الحديث : هما التويرر والمصريرة . ففكرة التويرر شجعت الجاليات اليهودية المنتشرة في دول أوروبا على الانخراط الكلي في أطر النظام السياسي والاجتماعي الجديد ، وهذا ما أحدث للطبقة اليهودية الغنية التي رأت من مصلحتها أن تكون جزءاً من النظام الجديد ، وذلك عن طريق نسيان هويتها اليهودية . ونشر مبادئ النظام الجديد من عقلانية واقتصاد حرة دون تدخل الدولة . مما لا شك فيه أن الأغلبية العظمى من اليهود غير الأغنياء لم يستطيعوا الاندماج كلياً في النظام الجديد ، وذلك بسبب العنصرية الموجهة ضدهم كيهود . وعندما تكونت الحركة الصهيونية رسمياً بعد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا في سنة ١٨٩٧ ، صرح مؤسسها ثيودور هرتل أن هدف الصهيونية هو القضاء على النظام الأوروبي الجديد عن طريق خلق كيان سياسي لليهود خارج أوروبا . ومن هذا المنطلق فإن هرتل لم يكن يمه أن يكون مكان الدولة الصهيونية الخروخا ما دامت تحطم هدف الصهيونية الأصل في ذلك الوقت ، وهو وضع حد للمشكلة اليهودية في أوروبا . ومن هنا فإن أحد المبادئ الأيديولوجية للحركة الصهيونية منذ تكوينها حتى الآن هو الفصل بين المجتمع اليهودي وغير اليهودي . وهذا واضح في تاريخ الصهيونية الحديث ، إذ أن الصهيونية ، كما يذكر

د. دافيس بالتصميم ، قد تعاملت مع أعداء اليهود بهدف إجبارهم على اتباع سياسات الحركة الصهيونية . فموقف الصهيونية هو أنه بغض النظر عن ليرالية غير اليهود نحو اليهود ، فيشير اليهود دائما أنهم شعب مغيوض ، وأن الطريق الوحيد هو إقامة دولة مستقلة لليهود . من هذا المنطلق استغلت الحركة الصهيونية الحالة الحسنة النسبية التي كانت الجالية اليهودية تتمتع بها في العالم العربي وخاصة في العراق ومصر ، وبنت الرعب في قلوب هذه الجالية عن طريق نفس المحلات التجارية اليهودية وذلك لإجبار الحالة اليهودية على الهجرة إلى إسرائيل .

الصهيونية والسكان الفلسطينيين

انطلاقاً من مبدأ الصهيونية المشار إليه سابقاً، وهو الفصل بين اليهود وغيرهم، فإنه مع إقامة دولة «إسرائيل» باشرت الصهيونية عملياً في تطبيق مبدأها هذا عن طريق تدبير المذابح الجماعية للشعب الفلسطيني، وذلك لإخلاء فلسطين من سكانها العرب وتوحيدها كلياً.

٥. دافيس يشير الى هذه النقطة بقوله « ان الصهيونية تدعي أنها تقدم الحل النهائي للمسألة اليهودية من طريق استعمار فلسطين وإنشاء دولة يهودية لليهود مثلاً أن أمريكا دولة للأمريكيين » .

مع نجاح الإستراتيجية الصهيونية في إنشاء كيان سياسي، وفي التوسع عمليا على حساب الشعب الفلسطيني وشعوب عربية أخرى، ظهرت مبادئ جديدة مكملة للمبادئ الأولى للصهيونية. هذه المبادئ الجديدة التي ظهرت خاصة بعد حرب ١٩٤٧ تركزت على ثلاث مشاكل رئيسية: ١- الإحضاظ بالتفوق العسكري والإستراتيجي الإسرائيلي، ٢- الحفاظ على تفوق سكان إسرائيل، ٣- إيجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين في إطار

التسهيلات الممكنة . والقانون الثاني سمي بقانون الأملاك الغائبة الذي بموجبه يكون للدولة الحق في الاستيلاء على أراضي وأموال الفلسطينيين الذين طردوا من موطنهم ، بحجة أنهم غائبون عن أملاكهم . فعمليا هؤلاء الفلسطينيون أصبحوا لاجئين خارج فلسطين وحق الذين أصبحوا لاجئين داخل فلسطين ، لا يحق لهم العودة إلى أراضيهم وأملاكهم ، بينما يحق لأي إنسان لم يولد في فلسطين أن يهاجر إلى هناك ، وأن يمتلك ويصبح مواطنا . يعلق د . دافيس على هذا الوضع المكموس بسخرية مرة قائلا إن لكل يهودي - فيما يسمى الآن بإسرائيل - هناك ظل ملازم ، إنه ظل الفلسطيني الذي طرد من أرضه .

ويعمل د . دافيس العنصرية القانونية لإسرائيل عن طريق مقارنتها مع عنصرية الدولة في جنوب أفريقيا فيقول إن الدولتين قد أوجدتا أطرا قانونية للفصل بين السكان . ففي حالة جنوب أفريقيا يجري الفصل على أسس اللون ، فكان جنوب أفريقيا الأصليين (الذين يملكون على الأقل ٧٥٪ من عدد السكان الحاليين) لا يحق لهم التصويت ، ولا يملأوا عمليا مواطنين ذوي جنسية في الدولة . أما في حالة العنصرية في إسرائيل فمعظم السكان الفلسطينيين الذين أجبروا على ترك فلسطين قد صنفوا تحت قانون الأملاك الغائبة وهذا يجرّد الفلسطينيين من أبسط الحقوق الطبيعية لأي إنسان ، وهي حق الميث على أرضه وفي وطنه . وتبعاً لقانون الأملاك الغائبة لا يحق لغير اليهود (أي السكان العرب الباقين في الداخل) من شراء أي أرض أو أملاك يملكها القانون يهودية . فكل الأراضي العربية التي استولت عليها إسرائيل تعد قانوناً من أملاك المؤسسة الصهيونية المسماة بـ "كيبت" التي أسسها المؤتمر الصهيوني الثاني في ١٩٠٦ . إن الكيبتين كيبت استولت على معظم الأراضي العربية بالقوة ، وهذا يهدد الإدهاء الصهيوني القاتل أن السكان العرب رحلوا بالمستوطنين الصهاينة وبأحوالهم الأراضي بأبخس الأثمان . فمن أحد الأساليب الفعالة التي

العالم العربي . يقول د . دافيس انه « من غير الممكن تطبيق المبدأين الثاني والثالث للحركة الصهيونية بدون تدبير مذابيح جماعية جديدة للفلسطينيين الذين يرحلون تحت الاحتلال الإسرائيلي » الذين يبلغ عددهم مليون نسمة ، وهذا العدد يجري على الأقل ستمئة ألف فلسطيني بقوا في أرضهم بعد حرب ١٩٤٨ وأجبروا على حل الجنسية الإسرائيلية .

يستشهد د . دافيس بأقوال أهارون ياريف أحد كبار قادة الحركة الصهيونية الحالية بقوله انه في حالة وقوع حرب جديدة بين العرب وإسرائيل فإن هذا سوف يهدم مصلحة دولة إسرائيل ، ذلك لأن هذه الحرب سوف تستخدم في طرد ما لا يقل عن مليون فلسطيني من الداخل ، وأن الحركة الصهيونية قد حضرت نفسها عمليا لثل هذه الإمكانيات . من هنا نستطيع أن نستنتج أن هناك أصواتاً كثيرة في المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة التي تشجع العنف ضد الفلسطينيين كوسيلة لطردهم ، وذلك للمحافظة على التفوق (السكاني) اليهودي . بمعنى أن الأقوال العنصرية للحاخام مئير كاهانا الذي يصرح دائماً عن حزمه على طرد الفلسطينيين ليست أقوالاً « شاذة » أو متطرفة في الشارع الإسرائيلي ، وإنما تعبر عن أفكار مجموعة مهمة من القيادة الإسرائيلية ، وأن كاهانا أكثر صراحة من بقية القادة الإسرائيليين في التعبير عن آرائه .

« إسرائيل والرجوع الفلسطيني »

يقول د . دافيس إن إسرائيل أسست كدولة يهودية على الرغم من أن الصهيونية هي حركة علمانية تقوم على الفصل التام بين أمور الدين وأمور الدنيا . فمتما تأسست الدولة واجهت الحكومة الجديدة مشكلة الجنسية . ولكن الكنيست الإسرائيلي حل هذه المشكلة عن طريق الموافقة على قانونين في سنة ١٩٥٠ يحددان مستقبل الدولة السكان . الأول سمي بقانون العودة الذي ما زال ساري المفعول ، والذي يسمح لأي يهودي في أي بقعة من العالم بالهجرة إلى إسرائيل مع إعطائه جميع



الجيش والسياسة

يذكر د . دافيس أن إسرائيل دولة محكومة بواسطة قانونين : قانون مدني وآخر عسكري .
فالمناطق الفلسطينية التي احتلتها الحركة الصهيونية سنة ١٩٤٨ كانت خاضعة للحكم العسكري حتى نشوب حرب ١٩٦٧ ، عندما أخضعت إسرائيل المناطق الفلسطينية الجديدة للقانون العسكري .
وطبقا لهذا القانون تخضع الضفة الغربية لاشرف عسكري مباشر ويحكمها حكام عسكريون يعينون من قبل وزارة الدفاع . إن معظم الحكام العسكريين يتكلمون اللغة العربية بطلاقة ، وكثير من مستشاريم السياسيين يعملون درجات جامعية عليا في مجالات اللغة العربية والشرق الأوسط والدراسات الاسلامية . وهذا يبين مدى الانسجام بين طبقة المثقفين والطبقة العسكرية في إسرائيل .
فهذا التطابق في المصالح بين الفئتين يوضح الهيمنة الفعلية للعسكريين على المجالات المهمة من الحياة المدنية والسياسية لإسرائيل ، وهذه الطبقة العسكرية تجد لها تبريراً عقلانياً وثقافياً من قبل طبقة المثقفين .
بمعنى أن إسرائيل هي دولة عسكرية بطلاة ديموقراطية .

ويجمل د . دافيس نتائج حرب ١٩٦٧ فيقول ان هذه الحرب قد أدت إلى ظاهرتين متناقضتين في حياة الحركة الصهيونية المعاصرة : أولاً ظاهرة تفوق الصهيونية ، ثانياً ظاهرة اضمحلال الصهيونية .
فالصهيونية في نجاحها العسكري ضد ثلاثة دول عربية ، استطاعت أن تحصل على بلايين الدولارات من الجاليات اليهودية في العالم الغربي ، إلى جانب المساعدات الطائلة من دول أوروبا الغربية ومن أمريكا ، ولكن من ناحية أخرى ، فإن حرب سنة ١٩٦٧ لم تؤد إلى إخلاء أكثر من جزء بسيط من السكان العرب ، وهو عكس ما حدث في حرب سنة

تستعملها إسرائيل في سلب الأراضي الفلسطينية (وهنا لفرق بين الأراضي الفلسطينية في الجليل أو في الضفة الغربية) إعلان الأراضي العربية أراضي مغلقة بحجة أهميتها للدولة . ففي هذا المجال يزودنا د . دافيس بقائمة كاملة للقوانين الإسرائيلية الخاصة بالاستيلاء على الأراضي العربية . من هذه القوانين قانون الأمن ، وقانون إحياء الأرض البوار . وفي الوقت الحالي هناك ألوف الدوغمات العربية المغلفة باسم الأمن في الجليل والمثلث والضفة الغربية ولا يسمح لأهلها بفلاحتها . في هذا المجال لا يجمل د . دافيس النتائج العملية لثل هذه القوانين . فالسؤال هنا هو : ما أثر هذه القوانين على المليون فلسطيني الموجودين في الداخل ؟

ومن أهم النتائج العملية في رأيي هو وقوف فلسطيني الجليل والضفة في صف واحد لمواجهة المخططات الصهيونية لاستلاب الأراضي الفلسطينية . ووحدة الصف هذه تظهر واضحة كل سنة في ٣٠ آذار - مارس ، وهو يوم الأرض الفلسطيني الذي يعبر عن مواجهة صلبة للمتصرفة الصهيونية في محاولاتها لسلب العرب من أراضيهم .

ومن ناحية أخرى فإن من النتائج السلبية لمصادرة الأراضي العربية ، حصر السكان الفلسطينيين في مناطق معينة ، وهذا معناه تجميع الاثنيان السكاني الفلسطيني يث المستعمرات اليهودية في قلب المناطق العربية كوسيلة لحلق واقع سكاني وقانوني جديد . إلى جانب ذلك فإن التضييق الاقتصادي والمالي التي تفرضه إسرائيل على السكان الفلسطينيين قد يؤدي بالدرجة النهائية إلى هجرة الكفالات الفلسطينية إلى الخارج ، وهذا ما يحدث بشكل أو بآخر مع كثير من الفلسطينيين الذين يفقدون حثهم بالرجوع إلى وطنهم بعد مدة من الزمن .

الستمارة ألف فلسطيني الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية لأسباب شرحناها سابقاً ، منظمة التحرير الفلسطينية ، إما عن طريق رفع شعارات ، أو القيام بأعمال عسكرية وسياسية معادية للدولة ، أو تسلم نفوذ من المنظمة ، فكل هذه الحالات تمد أسباباً ملائمة لنزع الجنسية عن هذا المواطن . إن هذا القانون وإن لم يطبق حتى الآن قد يؤدي في المستقبل إلى طرد جميع الفلسطينيين من حملة الجنسية الإسرائيلية ، ذلك لأن معظم هؤلاء الفلسطينيين ذوو ولاء قومي ووطني لقضيتهم .

إسرائيل : مجتمع يحكمه العسكريون

بالمقارنة مع كتاب دافيس المنشعب النواحي فإن كتاب جانتس يحلل موضوعاً معيناً بشكل تفصيلي ، ألا وهو التاريخ العسكري لإسرائيل منذ قيامها حتى الأحداث التي تلت حرب لبنان سنة ١٩٨٢ ومذابح صبرا وشاتيلا . تقول الكاتبة إن هدف الكتاب هو شرح الحالة السياسية الراهنة في إسرائيل ، وتقييم إمكانيات احتمال السلام في المنطقة . من هنا فإن الكتاب يركز على الاعتبارات المختلفة لحرب سنة ١٩٨٢ ، ومنها التناقضات الأيديولوجية في الحركة الصهيونية ، والتي - برأي الكاتبة - قد عصفت من الانقسامات الثقافية والاجتماعية في المجتمع الإسرائيلي . لذا يجب ألا ننظر إلى حرب لبنان كظاهرة شاذة ، وإنما هي ظاهرة مكملة للحركة الصهيونية بخاصة جناحها العسكري .

خلال تحليلها للتاريخ العسكري لإسرائيل ، تركز (جانتس) على تقسيم فلسطين وإنشاء إسرائيل في ١٩٤٨ . وتقول إن قوات الهاغاناة والأرجون التي كونت ما يدعى الآن « جيش الدفاع الإسرائيلي » ، كان بمقدورها أن تزج بـ ٢٠٠ ألف جندي وجندي إلى المعركة ضد الجيوش العربية ، مزودين بأحدث العتاد الحربي . بينما كل الجيوش العربية مجتمعة لم تكن تستطيع أن تزج إلى المعركة بأكثر من مليون جندي مزودين بعتاد خير متطور . فكان معروفاً من قبل الهاغاناة قبل التقسيم انه سيكون بإمكانها أن تقيم

١٩٤٨ عندما أدخل السكان العرب من أراضيهم . من جهة نظر الحركة الصهيونية التي أرادت إخلاء الأرض من السكان العرب فإن بقاء العرب في بلدهم كان فشلاً للصهيونية . وهذا ما أدى إلى تقليص فعالية إسرائيل على رسم خطط واضحة لمواجهة الزيادة السكانية العربية في الداخل . فحسب الإحصائيات يبلغ معدل الولادة لدى العرب في الداخل ٢٠,٥ ٪ ، بينما معدل الولادة عند السكان اليهود لا يتجاوز ٢,٠٠ ٪ وهو الذي يعني عملياً أن عدد السكان العرب في الداخل سوف يعادل إن لم يتفوق على عدد السكان اليهود في أقل من عشرين سنة من الآن . فالحرب السكانية التي يشنها السكان العرب في الداخل سوف تؤثر على المستقبل السياسي والقانوني للدولة اليهودية وبعثت في الحركة القادمة التي سوف تنشأ إسرائيل بتراسة ، بعد إحراز هدوء نسبي على الحدود مع سوريا ولبنان ، وسوف تكون موجّهة ضد السكان العرب في الداخل ، وبخاصة في الضفة الغربية ، وهذا الذي يحدث الآن وتتصاعد حدته يوماً بعد يوم كالاخلاق المتواصل للجامعات الفلسطينية في الداخل ، والتضييق المستمر على المؤسسات الوطنية ، ووضع الوجوه الوطنية تحت الإقامة الجبرية ، أو طردهم من بلدهم في كثير من الأحيان ، كل هذا يحدث تحت إبطار الدعوة إلى إنعقاد مؤتمر دولي ، تدعو إليه شفهياً بعض قيادات حزب العمل الإسرائيلي . وما هذا برأيي إلا لعبة سياسية إسرائيلية لكسب الوقت إذ أن الرأي العام والسياسي في إسرائيل يدعو إلى الإحفاظ بالجزء الأكبر من الضفة الغربية بحجة أهميتها للأمن .

من أهم النتائج السياسية للسيطرة الصهيونية هي فقدان الحرية السياسية للفلسطينيين . وفي هذا المجال يذكر د . دافيس أن الكتيبت الإسرائيلية قد وافق على قانون في سنة ١٩٨٠ يحق بموجبيه لوزير الداخلية الإسرائيلي أن ينزع الجنسية الإسرائيلية عن أي شخص يقوم بعمل يهدد شرعية الدولة . فمثلاً ، إذا أبد أي مواطن إسرائيلي (وهنا المقصود بالذات

المحتلة . كما شجع ملسون «روابط القرى» ، وحاول إيراها كبدل سياسي على حساب المنظمة . والخطوة الثالثة كانت مسرحية إخلاء المستوطنين اليهود من سيناء .

وكما تقول الكاتبة فإن الحكومة الإسرائيلية اتفقت مع المستوطنين على أن يرفضوا الخروج من سيناء قبل تسليمها لمصر حسب اتفاقية كامب دافيد . ولكن الحكومة أخرجت المستوطنين بالقوة ، ذلك حتى تبرهن للرأي العام العالمي صدق رغبتها في السلام . والخطوة الرابعة والأخيرة كانت طبعاً الهجوم على لبنان . وقد استغلت إسرائيل «استغلالاً كبيراً» حادثة الهجوم على السفير الإسرائيلي في لندن من قبل جماعة أبو نضال ، ونجحت في إثارة الرأي العام الغربي إلى جانبها مع أنها وكما رأينا كانت تعد المدة لشن هجوم عسكري على لبنان منذ زمن بعيد ، وإن السبب الحقيقي كان القضاء على أي وجود فلسطيني في لبنان

الثلاثي الراهبي

كان هدف الثلاثي - بينغ وشارون وإيتان - ليس فقط القضاء على الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان ، وإنما - كما تلاحظ الكاتبة - هو محو الشعور القومي الفلسطيني . لكن الحرب زادت هذا الشعور القومي ، وخاصة في المناطق المحتلة التي عبرت عن هذا الشعور بالمظاهرات العارمة ضد سياسات الاحتلال .

تقول الكاتبة أنه على الرغم من نجاح إسرائيل في اخراج المنظمة من لبنان إلا أن إسرائيل لم تنجح في خلق نظام سياسي موالي لها هناك ، وأن إسرائيل لم تجد اللعبة السياسية في لبنان ، مما جعلها تخسر خسارة كبيرة ، وأن تعتمد على جيش أنطون لحد افئش والمسمى بجيش لبنان الجنوبي في الدفاع عن حدودها الشمالية . □

الإستراتيجية العسكرية قبل وبعد ١٩٦٧ فقط ، بل وضع حجر الأساس للمستوطنات الإسرائيلية في الضفة والقطاع أيضاً . وكان هدف المستوطنات من منظور ديان هو الوصول إلى تكامل اقتصادي كامل بين الأرض المحتلة وإسرائيل . إن هذين الهدفين - بناء المستوطنات والتكامل الاقتصادي - ما زالا يشكلان حجر السياسة الإسرائيلية نحو الأرض المحتلة .

لكن النجاح العسكري العربي الجزئي ضد إسرائيل في حرب ١٩٧٣ أدى إلى إيهام الدور العسكري لديان لأنه كان مسؤولاً عن فشل إسرائيل بالتنبؤ بالحرب وبعاقبها . هذا الوضع أفصح المجال لينا بعد ، وبالتحديد في سنة ١٩٧٧ ، لمجيء حزب الليكود إلى الحكم بقيادة مناحيم بيغن . وقد أعلن بيغن فور فوزه بالانتخابات عن هدفه في التمسك بالأرض المحتلة بقوله أن ، يهودا والسامرة (أي الضفة الغربية) مما جره حيسوى من دولتنا فهذه هي بلادنا التي حررتها بالقوة في حرب ١٩٦٧ ،

وتعلق الكاتبة على موقف بيغن بالقول « أن بيغن اعتبر نفسه متقدماً وهادياً لليهود . فهو أراد أن يتقدم من الفلسطينيين ولهذا السبب شن حرباً عسكرياً على الفلسطينيين في لبنان ، وأخرى نفسية وسياسية في الأرض المحتلة » . وبينغ وشارون هما اللذان جهزا هذه الحرب على الجبهتين الداخلية والخارجية بأربع خطوات رئيسية . الخطوة الأولى كانت تعيين رفايل إيتان ، وهو أحد أصحاب الفكر التوسعي ، رئيساً للأركان . والخطوة الثانية كانت « تمهلة » الأرض المحتلة عن طريق تعيين مناحيم ملسون ، وهو أحد المستشرقين الإسرائيليين المشهورين ، مسؤولاً عما يسمى بالإدارة المدنية في الضفة . كان الهدف المرسوم لملسون هو القضاء على القوة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية في الضفة من طريق الإغراق المستمر للمؤسسات الوطنية . وخاصة الجامعات ، وأيضاً زج الشخصيات الوطنية في السجن ، أو حتى إبعادها إلى خاراج الأرض

عن العربيات



المسؤولية

في عصر

تأليف : سمیر غریب / عرض و تقدیم : جمیل حتمل'

في نهاية ثلاثينيات هذا القرن وبداية أربعينياته كانت القاهرة تمور بالأحداث المنبثقة بتغيرات قادمة ، وكانت إرهابياتها تأخذ أشكالا جنينية لتيارات فكرية وتنظيمات سياسية ومدارس أدبية وفنية ، وكانت الحركة السريالية محصلة لجميع تلك الإرهابيات

المؤسسون أولا :

يقسم المؤلف كتابه الى عدد كبير من الأقسام التي يفتتحها بتسابعة حياة اثنين ، يعتبران مؤسسي السرايالية في مصر ، أحدهما (رمسيس يونان) الذي ولد في مدينة (النيا) الصغيرة في مصر عام (١٩٣١) ، والآخر (جورج حنين) الذي ولد عام (١٩١٤) لأب يعمل في الحقل الدبلوماسي .

ويتابع المؤلف في هذا القسم تفاصيل حياة هذين المؤسسين وانتقالاتها الفكرية والجغرافية التي أتاحت لكل واحد منهما الاطلاع على دقائق مهمة في الثقافة

بين المقدمة والفصل الذي يكشف فيه المؤلف عن غايته من وضع كتابه «السريالية في مصر» الصادر عام (١٩٨٦) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة ، يوضح سمير غريب موقفه مما يسميه الانحطاط في الوضع الثقافي الراهن ، مستندا الى ذلك الازدهار الذي شهدته الثقافة في مصر ، منذ ثلاثينيات وأربعينيات هذا القرن ، الأخذ حاليا بالذبول . ولهذا يضع المؤلف عنواناً (طعناً في الحاضر) لمقتضاه الغاضبة والمحقة الى حد كبير ، منطقاً فيما بعد الى متابعة أوضاع الحركة السريالية ورموزها في مصر ، والتأريخ لها .

هموم الوطن

يظهر الرصد الدقيق الذي يقدمه الكتاب لفاعليات السرياليين في مصر أن الهموم المصرية الوطنية احتلت القسم الأكبر من اهتماماتهم ، حيث لم يكن الموقع العالمي الذي احتلته حركة مصر في إطار السريالية العالمية شاغلا يبعدها عن انتمائها ولومها الخاص ، بل إن موقف (رمسيس يونان) يبدو أكبر مثال على ذلك ، حين رفض إذاعة بيانات ضد النظام المصري من الاذاعة الفرنسية حيث كان يعمل ، وذلك أثناء العدوان الثلاثي على مصر ، مما سبب



طرده من العمل مع ثلاثة من زملائه ، وليعود على أثرها مباشرة للعيش والعمل في مصر . وقد سبق مثل هذا الموقف الفردي الشجاع موقف عام للحركة ، حيث رفضت موقف بعض السرياليين الغربيين من إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين ، بل وقد شجبت هذه المواقف في العديد من نشاطاتها .

أصوات طليعية

إن فصول الكتاب وأقسامه المتتالية فيها بعد ، توضح بالتفصيل طليعية سريالي مصر ، ومدى

الغريبة المعاصرة ، وذلك من خلال تمكنها من اللغة الفرنسية تحديدا ، مما أتاح لها فيما بعد التعرف على الحركة السريالية في فرنسا وغيرها ، والانغماس فيها . وقد كتب (جورج حنين) في عام (١٩٣٥) أول رسائله الى مؤسس السريالية (اندريه بريتون) الذي قام بعد أشهر بالرد على هذه الرسالة يحماس بالغ ، فقال في أحد مقاطع هذه الرسالة : « يبدو لي أن للشيطان جناحا هنا ، وآخر في مصر » وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التراسل أن يتم التعارف بين الاثنين ، وأن تعقد صداقة بينهما ، ويبدو أنها أجيحت حماس (حنين) الذي قام عام (١٩٣٧) بتنظيم جماعة للسريالية في مصر ، بعد تقديمه محاضرة عنها قبل ذلك ، وليصبح (رمسيس يونان) أحد رموز هذه الجماعة ، مقدما إسهاماته في نشاطها الفكري ، وه مدشنا ، ذلك عمليا بكتابه « غاية الرسام المصري » ، ومساهما في نفس العام بإصدار بيان جريء للجماعة بعنوان « نحي الفن المنحط » وقد وقع عليه مع أكثر من أربعين شخصا

ويكمل المؤلف - سمير غريب - رصد نشاطات واتجاهات هذه الجماعة السريالية ، مبينا بشكل خاص إسهامات رموزها ، ومتابعا الاصدارات التي قدمتها ، كنشرة « دون كيشوت » التي صدرت عام (١٩٤٠ م) بالفرنسية ، ثم مجلة (التطور) التي كانت أول مجلة تصدر بالعربية للحركة ، والتي لم تعكس موقفا من الفن فقط ، بل قدمت أساسا توجهها اجتماعيا واضحا ، قد يكون ميز الجماعة في مصر عن الحركة السريالية العالمية ، وربطها بهموم الواقع .

وعلى الرغم من تعرض نشرات ودوريات سريالي مصر للتوقف أكثر من مرة ، وللمصدر بأكثر من اسم ، إلا أن ذلك لم يوقف - كما يوضح الكتاب - نشاطهم التحلي بفعاليات مختلفة ، أبرزها إقامة المعارض الفنية فضلا عن الكتابة . هذه النشاطات التي أهلت أحد رموز السرياليين المصريين وهو (جورج حنين) ليكون أحد ثلاثة يديرون السكرتارية الدولية للسريالية (كوز) .

ضمن هذا الاطار ، يتعلق بمجال النقد التشكيلي الذي صب بعض رواد الحركة جهدهم عليه ، ولذا لا يجد المؤلف أمام الجانب التوثيقي التاريخي للكتاب بدا من نشر نصوص كاملة في هذا المجال ، وقبل أن يتنقل لتوثيق نصوص أخرى في مجالات إبداعية مختلفة يتخلص الى مجموعة نتائج مهمة ، يمكن تلخيصها بالشكل التالي ..

- ١ - أن السريالية وحركاتها في مصر أدخلت الفن والثقافة المصريين في الإطار العالمي بما يتبع ذلك من إدخال عوالم وقضايا ومصطلحات جديدة إليها .
- ٢ - مشاركة هذه الحركة في الحيوية الثقافية في مصر .
- ٣ - تأثيرها على عدة مجموعات ثقافية شابة .
- ٤ - تأثيرها في أجيال فنية لاحقة
- ٥ - ملاحظة أن تأثيرها على المستوى الأدبي كان أقل منه على مستوى الفن التشكيلي .
- ٦ - مشاركتها في النضال السياسي والاجتماعي ضمن حدودها

وبعد هذه الخلاصات المدعمة بشرح مستفيض يعتمد الكاتب الى إشغال أكثر من ثلث صفحات الكتاب باللفة (٢٤٠) صفحة بمجموعة من النصوص والوثائق المختارة ، كبيانات الحركة الأولى ، وبعض مقالات أفرادها ، وبعض نصوصهم الإبداعية ، وإن كان ثقل هذه النصوص التوثيقية لصالح اختيارات لجورج حين إلا أنها تبدو بحجمها طبيعية قياسا الى دوره الفاعل الرائد .

السريالية المختلفة

إن كتاب « السريالية في مصر » يحمل جهدا واضحا ، ودأبا يبدو أكثر ما يبدو في صليبة جمع مادته وتفصيله ، هذه العملية التي بدت على الرغم من عدم التدخل الكبير للكاتب في الشرح شديدة الأهمية ، نظرا للقيمة التاريخية التي يعينها هذا العمل في رصد حركة كانت تستغل مجهولة بشكل أو بآخر ، على الرغم من طبيعتها واسبقيتها وجديتها . هذا عدا عن أن الكتاب حاول أن يصحح صورة مشوهة ، قدمت مرارا لهذه الحركة ، واعتمدت

جديتهم والتزاماتهم ، وبخاصة ضمن الاطار الاجتماعي السياسي ، وكان من نتيجة فلك مشاركتهم معا - أو كأفراد - في العديد من المناسبات والمواقف التي يوردها هذا الكتاب ، كالتمارك البرلمانية والنقد والمعارضة ، رابطين بين موقف سياسي متقدم ، وموقف فكري مواز ومماثل ، ومقدمين شروحاتهم ونظرياتهم فيه ، بما يتعلق بمعظم أنشطة الفن ، كالتشكيل والشعر والنقد والقصة والدراسة ، ومساهمين في ميدان الترجمة ، حيث قام بعضهم بنقل العديد من النصوص الطليعية الى العربية ، كما فعل (رمسيس يونان) مثلا عندما ترجم أعمالا للشاعر الفرنسي (رامبو) .

ويقول الكتاب إن الحركة السريالية عموما في مصر قد ربطت ما بين النظري والعمل حين أردت مواقفها الفكرية بمجموعة من المعالجات والتحركات الاجتماعية في أطر مختلفة ، تجدد في الصفحات العديد من أمثلتها .

أسماء أخرى

ضمن التبع الدقيق للكتاب ستجد أسماء عديدة أخرى ، ألفت بإبداعها نشاط الحركة السريالية المصرية ، كالفنان « كامل التلمساني » ، والفنان « فؤاد كامل » ، إضافة الى عدد آخر . سينو ثقلهم الأساسي متركزا في مجال المطاء الفني التشكيلي . وهذا ما توضحه نشاطات الحركة في مجال إقامة المعارض المتلاحقة ، ولعل من أبرز ما يوضحه الكتاب أن الحركة السريالية التي تحدثت اسما أكثر تعبيرا هو « جماعة الفن والحرية » لم تفرق أو تميز بين أعضائها حسب انتهاء أي مهم ، بل تجاوزت ذلك نحو صهر توحيدي ، يعتمد على الموقف الفكري المتقارب .

وفي عودة الى إطار الفن ، ستجد فصول الكتاب نفسها مجبرة على متابعة فاعليات أعضاء الحركة في المجال التشكيلي كرمسيس يونان ، وفؤاد كامل ، وإبراهيم فارس ، وكامل التلمساني وغيرهم . كذلك يلقي الكتاب ضوءا على جانب آخر ،

وحملت اسم « سوريال » ، وكانت من المجموعات الشعرية السباق في مجال قصيدة النثر ، أي أنها في المحصلة لم تكن كتابا نظريا كما يظهر من مقدمة المؤلف .

أخيرا لعل العطاء الإبداعي السريالي في مصر يوضح أن الفن التشكيلي ذا المنحى السريالي قد قدم نتاجا يبدو مختلفا عن نتاج السريالية الغربي في هذا الإطار . من جانب آخر فإن اعتماد الحركة السريالية في مصر على اللغة الفرنسية سرعان ما تحول إلى اللغة العربية ، حاملا معالجات مرتبطة بروح اللغة ، أي بتخليتها الاجتماعية ، من هنا فإن السريالية العربية - إن صح التعبير - بدت مختلفة متميزة . كما أنها قدمت وجهها الخاص ، أي وجه مصر أيضا .

ولعل ميزة الكتاب أنه يسمح باستخلاص ذلك ، وإن لم يقف باستمرار عند معالجة نقطة الاختلاف هذه بين سريالية الغرب وشكل عطانها ، وبين شكل عطاء سريالي مصر . □

موقفا مسبقا حين عاملتها كحركة « تروتسكية » فقط .

كذلك فإن الكتاب يعمل بشكل مباشر الكثير من الايضاحات عن الموقف الوطني لها ، كما يوضح بشكل غير مباشر الوجه الخاص للعطاء السريالي في مصر الذي ظل مرتبطا بهمم الاجتماعي الداخلي ، فاصلا بشكل أو بآخر بين التعريف الاصطلاحي للسريالية بأنها تستخدم العمليات الآلية اللاواعية والحلم في نتاجها ، ثم المتحررة من رقابة العقل . فاصلا بين هذا التعريف وبين الممارسة العملية ذات الإطار الملتنصق بالواقع المصري والمشاكل التي تعصف به .

لكن المؤلف - في طنا - يقع في الخطأ فيما يتعلق بإبداعات السرياليين خارج مصر ، فهو يقول في مقدمة كتابه إنه قرأ عن صدور كتاب في سوريا عن السريالية في الأربعينيات لكنه شديد السذاجة ، ويبدو أن الكتاب المقصود هو مجموعة شعرية لأورغان ميسر التي صدرت في مثل هذا الوقت ،

الأدب النقدي

● في استفتاء وجهته إحدى المجلات الأدبية حول (هل هناك أدب تقدمي ، وما هو مفهومه ، وما هي خصائصه ، ومن هم الكتاب الذين يمثلون هذا النوع من الأدب ؟) قال الدكتور عبدالعزیز الدوري : « إن الأدب التقدمي هو الأدب الحر الذي يجعل نصب عينيه هذه الحقيقة الكبرى : حقيقة تطور المجتمع تطورا علميا ، بكل ما في هذه الكلمة من مفهوم ، أما ما يعنيه بعض الناس بالأدب التقدمي الذي يرون أن يتقيد بفلسفة خاصة ، ويتحدد بحدودها ، ويتمسك بمفاهيمها ، فأمر أظن أنه يفتقر إلى الدقة افتقارا واضحا ، وأن كلمة تقدمية لا تزال مبهمة الحدود ، غير واضحة المعالم في اللغة العربية ، لأنها حديثة الاستعمال ، وإن كان البعض يعطي هذه الكلمة مدلولاً خاصاً مستمرا من مفاهيم والمجاهات خاصة ، إلا أنه بعيد عن الدقة والوضوح ، وذلك لأن الأدب يجب أن يكون مرآة تمكس أحداث الحياة بمفاهيمها وآرائها المختلفة ، وأن يعبر عن أساني الأفراد والمجتمعات ، ويبين مدى ما فيها من حيوية وركود » .



مكتبة العربي

مختارات

الكتاب / قامات الزبد - رواية

المؤلف / الياس هركوح

الناشر / دار منارات - عمان - الأردن

عدد الصفحات / ٢٦٦ من القطع الكبير

سنة النشر / ١٩٨٧م

الكتاب الثالث لسليمان الشيخ ، ومجموعه القصصية الثانية ، يواصل فيها الكاتب رصد للتطويعات المختلفة من حياة المخيم ، فما تزال هناك تحديات ، وما يزال هناك فقراء ومضطهدون ، وهناك من يحفظ بالأوراق الرسمية ليثبت أنه كان يملك في فلسطين أرضاً .

قَسَمَ سليمان الشيخ مجموعته إلى ثلاثة أقسام هي : من أوراق المخيم ، ملحق لأوراق المخيم ، مساحة للأطفال . وقد ضم القسم الأخير عددا من قصص الأطفال ، أما القسم الأول والثاني فقد ضما قصص المخيم التي تبرز بينها القصة التي حملت المجموعة القصصية اسمها ، والتي تقدم فيها شخصية حذلة المتمرّد النائر ، البسيط التواضع ، من خلال قصة تروى للأطفال الذين يساعدون في الوقت نفسه برؤيتها

115

الكتاب / السينما المؤجلة

المؤلف / محمد سعيد

الناشر / مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت

عدد الصفحات / ٢٠٠ من القطع المتوسط

سنة النشر / ١٩٨٦م

□ □

الكتاب / من سيرة حنظلة الشجراوي - قصص

المؤلف / سليمان الشيخ

الناشر / دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع -
قبرص

عدد الصفحات / ١٢٥ من القطع الصغير

سنة النشر / ١٩٨٨م

أول وهلة يبدو طموح هذا الكتاب متواضعا ، فهو يؤرخ للسنيّا اللبنانية خلال عشرة أعوام (١٩٧٥ - ١٩٨٥) ، وهي فترة زمنية قصيرة نسبيا ، لكن القارئ يدرك صعوبة المهمة عندما يتعرف من خلال الكتاب على التعقيدات الكبيرة المحيطة بالأعمال السينمائية والتلفازية التي تتراوح بين الفيلم الروائي

العدد ٣٥٤ - مايو ١٩٨٨ م

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٥٤
مايو ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاحاطة عن عشرة أسئلة من الأسئلة
المنشورة ، برسل الاحابات على العنوان
التالي
مخلة العربي صندوق مريد ٧٤٨ -
الزمر الريدي 13008 الكويت ، مسابقة
العربي العدد ٣٥٤ ، واحر سوجد
لوصول الاحابات اليها هو ١٥ يونيو
١٩٨٨

أرفق المستمع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي

العدد ٣٥٤

١ - بلغت نسبة الزيادة السكانية في العالم
ككل ٢ / وذلك في سنة ١٩٥٨ -
١٩٦٢ ، ترى كم تبلغ هذه النسبة حسب
اخر الاحصاءات (١٩٧٥ - ١٩٨٠) ؟
• حوالي ١٠٧٥ /
• حوالي ٢٠٧٥ /

٢ - أي الدول التالية هي الأولى في العالم
من حيث ارتفاع نسبة الزيادة السكانية
فيها -
• الهند
• البرازيل
• كينيا

٣ - في أي البلدان التالية تبيط كثافة
السكان الى أدنى مستوى لها في العالم ؟
• جرينلند
• ايسلندة
• الأسكا

٤ - في أي الدول التالية تبلغ الكثافة
السكانية حدها الأقصى في العالم ؟
• بنجلادش
• اليابان
• ج . م . ع

٥ - في سنة ١٩٦١ أقامت سلطات ألمانيا الشرقية جداراً يفصل غرب برلين عن شرقها . ما هو طول هذا الجدار ؟

- * حوالي ١٥٠٠ كم
- * حوالي ١٠٠٠ كم
- * حوالي ٥٠٠ كم

٦ - أي الدول التالية تملك حدوداً مشتركة مع أكبر عدد من الدول الأخرى ؟

- * الصين
- * تشيكوسلوفاكيا
- * كندا

٧ - ترى كم بلغ مجموع سكان العالم في سنة (١) ميلادية ؟

- * حوالي ٢٥ مليون نسمة
- * حوالي ٢٥٠ مليون نسمة
- * حوالي ٢٥٠ ألف نسمة

٨ - ما هو في تقديرك مجموع سكان العالم الكلي . أي كافة من عاش على سطح هذه الكرة ، ثم مات على مدى الأربعين ألف سنة الماضية ؟

- * حوالي ٦٠٠٠ مليون
- * حوالي ٦٠,٠٠٠ مليون
- * حوالي ٦٠٠ ألف مليون

٩ - بلغ عدد سكان العالم في منتصف السنة الماضية (٥٠٠٠) مليون نسمة ، ترى كم سيبلغ هذا المجموع بعد نحو قرن من الزمان حسب تقدير العلماء ؟

- * حوالي ١٠,٠٠٠ مليون نسمة
- * حوالي ٨٠٠٠ مليون نسمة
- * حوالي ١٢٠٠٠ مليون نسمة

١٠ - أي الجزر التالية هي أكبر جزيرة في العالم من حيث المساحة ؟

- * كالاليت نونات
- * مدغشقر
- * بورنيو

١١ - ما هو عدد الدول المستقلة ذات السيادة في العالم ؟

- * ١٧٠ دولة
- * ١٦٠ دولة
- * ١٥٠ دولة

١٢ - أي الدول التالية هي أصغر الدول المستقلة في العالم من حيث المساحة ، وأيها هي الصغرى من حيث عدد السكان ؟

- * الفاتيكان
- * موناكو
- * نورو

جلباقفة

العدد ٣٥٠

يناير ١٩٨٨

وبين العقيدة الإسلامية ، وقد غلب الطابع العسكري السياسي على جماعة الشيخ في وقت لاحق ، وتسعى لهم إقامة ولاية خاصة بهم ، واحتلال المناطق المجاورة لولاية البنجاب . وهم يسعون في الوقت الحاضر إلى الحصول على الاستقلال الذاتي في ولايتهم .

يكون الدخان أبيض اللون إذا تم اختيار أو انتخاب البابا الجديد ، ويكون رمادي اللون إذا لم يتفق الكردينالات ولم يتم انتخاب البابا الجديد ، وعندئذ يعيد الناخبون الكرة المرة بعد المرة حتى يتم الانتخاب .

متساويان تقريبا (مجموع البوذيين = ٢٥٦ مليون نسمة ، ومجموع الكونفوشييين = ٢٧٥ مليون نسمة) .

متساويان تقريبا وقد بلغ عددهم ، كما جاء في الإحصاءات الغربية (المسيحية) كالتالي :
المسيحيون = ١٢٠٠ مليون نسمة .
المسلمون = ١١٠٠ مليون نسمة .

هو مذهب العلم المسيحي ، وقد أسسته امرأة تعرف باسم ماري بيكر ، وذلك في الولايات المتحدة ، قبل حوالي مائة عام (سنة ١٨٧٩ على وجه التحديد) . والجدير بالذكر أن هذا المذهب يقوم على الاعتقاد بأن الشفاء من الأمراض يمكن بالدعاء دون تناول دواء .

الكونفوشية هي الديانة التي أسسها « كونج زي » أو كونفوشيوس كما

آية « والضحي » هي من أقصر آيات القرآن الكريم ، وهي مكونة من (٦) أحرف . وكذلك آية « والمصر » ، وآية « والفجر » .

مذهب المورمون هو المذهب المسيحي الذي يبيع تعدد الزوجات ، غير أن كهنة المذهب قرروا إلغاء مبدأ تعدد الزوجات في اجتماع شامل عقدوه في بواته سنة ١٨٩٠ . ويعود تأسيس مذهب المورمون إلى النصف الأول من القرن الماضي ، وقد أسسه جوزيف سميث (١٨٠٥ - ١٨٤٤) ، وذلك بناء على الدعوة التي تلقاها لهذا الغرض سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٢٧ (وهي دعوة ربانية كما يعتقد المورمون ...) .

إن المذهب المسيحي الذي أسسه نناك (١٤٦٩ - ١٥٣٩) في بلاد الهند ، والذي يعتبر المذهب السائد في ولاية البنجاب يقوم على وحدة الله عز وجل ، وعلى الإخاء بين الناس ، وكان الهدف من تأسيسه التفتت به العقائد الهندية

الفائزون في مسابقة

العدد ٣٥٠

يناير ١٩٨٨

• إيمان الزحبي / دمشق - الجمهورية العربية السورية .

• أكرم طه عبدالسلام / عاقلة المتولية / مدينة الباجور - جمهورية مصر العربية .

• الهادي بن الطاهر بن ابراهيم / تزنور - تونس .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١- سلوى عوي / بيروت - لبنان .

٢- محمد الطهي / تايركت / سلا - المملكة المغربية .

٣- عادل عبدالرحيم النور / ام درمان - السودان .

٤- محمد قاسم سومرو / جنهال / باكستان
٥- قاسم حوية علفور / القبة الخضراء - المملكة العربية السعودية .

٦- سبغت بن أحمد / نواكشوط - موريتانيا .

٧- سلوى محمود حسن / الوحدات - المملكة الأردنية الهاشمية .

٨- أحمد عارف الفلي / بيروت - لبنان .

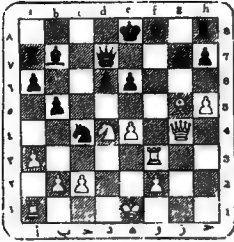
يسميه أهل الغرب ، وقد عاش كوتفوشويوس نحو ٧٢ سنة (من سنة ٥٥١ - ٤٧٩ ق.م) ، وقد عمل موظفا بسيطا في الحكومة ، ومارس التعليم ، ودعا إلى الأمانة والإخلاص والتعلم ، كما دعا إلى الاعتدال وعدم التطرف

الديانة الشنطوية هي الديانة التي انتشرت في اليابان منذ أقدم الأزمان وقد جاءت حصيلة الدمج بين الكونفوشية والبوذية ، أما الاعتقاد بالوهية الأميراطور فقد أخذت من الديانة الشنطوية منذ القرن السادس الميلادي . لكن هذه العقيدة أُلغيت رسميا بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٦

يوجد معبد (كراي ما) في مدينة بيكانار في ولاية راجستان الهندية ، والخدير بالذكر أن المعبد المذكور مكرس للالهة (كراي ما) ، وهي في الوقت نفسه الهة شعراء الشاران . ويعتقد عبدة هذه الآلهة أن روح الشاعر الشاران إذا مات تعود لتتقمص أحد الفيران .

الزرادشتيون يتركبون جثث موتاهم فوق أبراج خاصة ، يسمونها أبراج الصمت ، وذلك لكي تأكلها النور ، فهم لا يدفنون جثث موتاهم في التراب ، ذلك أن الزرادشتيين يقدسون التراب كما يقدسون النار . وتجدر الإشارة إلى أن الزرادشتية هي دين الفرس القديم .

نعم ، ترجموه إلى الاسبرانتو في لندن سنة ١٩١٤ . وكان المترجم هو المسلم الانكليزي خالد شلدريك .



معركة بلاسلاخ



ومع أن للسوفيت باعاً طويلاً في الشطرنج بالمراسلة إلا أنهم لا يسيطرون عليه كما هو الحال في الشطرنج فوق الرقعة . وهناك أولمبياد للشطرنج بالمراسلة يجري حالياً ، ونهايته وشيكة ، وهي تبدو في صالح البريطانيين هذه المرة .

ومن المزايا الهامة للشطرنج بالمراسلة أن الافتتاحيات تكون عادة دقيقة وصحيحة ، فاحتمال الخطأ والنسيان بوجود عشرات المراجع بين أيدي اللاعبين الكبار يكاد يكون معدوماً . ومن أجل أدوار بطولة العالم العاشرة للشطرنج بالمراسلة الدور التالي من الافتتاح الصقلي الذي فاز به اللاعب الفنلندي ر . كارونين على بطل العالم السابق للشطرنج بالمراسلة ج . استرين .

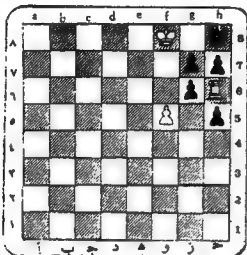
إذا جاز لنا أن نشبه مباريات الدقائق الخمس ونقلات التواني العشر بسباق المسافات القصيرة ، والمباريات السريعة بسباق الأربعمائة متر ، والمسابقات الدولية بسباق خمسة آلاف متر حق لنا عندئذ أن نشبه الشطرنج بالمراسلة بالمراثون ، فالنجاح في مباريات الشطرنج بالمراسلة كما هو الحال في المراثون يحتاج إلى نفس طويل وطاقة هائلة وقدرة لا تحمد من الصبر والأناة ، وبالإضافة إلى ذلك كله فإنه يستهلك قدراً لا يستهان به من عمر المتسابق .

ففي بطولة العالم الأخيرة للشطرنج بالمراسلة التي بدأت عام ١٩٧٣ استغرق تأهيل اللاعبين الستة عشر للتصفيات النهائية خمس سنوات ، واستمرت مباريات التصفية التي بدأت عام ١٩٧٨ حتى عام ١٩٨٤ عندما أعلن الاتحاد الدولي فوز الأمريكي فكتور بلاسكياس ببطولة العالم بالمراسلة ، وبذلك تكون هذه المباراة قد استغرقت عشر سنوات غير منقوصة .

ومن الجدير بالذكر أن بطولة العالم الأخيرة للشطرنج بالمراسلة كانت تحلوا من الانسحابات والأخطاء المكتبة . وقد قبل بلاسكياس الجاهليت المفضل لديه والمعروف بجهاميت يفتاز من بطل العالم السابق بالمراسلة ج . استرين وفاز في ٣١ نقلة .

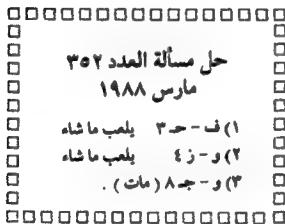
| | |
|-------------------------------|---------------------|
| ج . استرين (روسيا) | ر . كارنين (فنلندا) |
| ج ٦ | هـ ٤ |
| هـ ٦ | ج ٣ - |
| ج ٤ × ٤ | د ٣ |
| ج ٦ - | ج ٤ × ٤ |
| د ٦ | ج ٥ - ج ٣ |
| أ ٦ | ز ٤ |
| (ج ٦ أفضل لمرحلة هجوم الأبيض) | |
| ج (٣) - ٧ | ز ٥ |

مسألة العدد ٣٥٤ مايو ٩٨٨



(مات ٢)

من إهداء القارة حجيرة نوفل (المغرب)



- (٨) ح- ٤
(٩) أ- ٣
(١٠) ف- ٣
(١١) ح- ٥
(١٢) ر- ٣
(١٣) ز- ٦
ب- ٥
ح- ب- ٣
ح (١)- د- ٢
ف- ب- ٢
ح- ه- ٥
ح (٣)- ج- ٤؟ (رديئة)

(ملك الأسود مكشوف والأفضل ح- ز ٦ والمبادلات التالية لا تشكل خطورة تذكر) .

- (١٤) ف- ج- ٤
(١٥) ز- و- ٧
(١٦) ز- ٤
ح- ج- ٤
م- و- ٧
ه- ه- ٧
(معرضا نفسه للكش دون مير) .
(١٧) ف- ز- ٥
و- د- ٧

(١٨) ح- د- ٥ (لاستغلال التسمير ثم الاعداد لكشة مزدوجة) .

- (١٨)
(١٩) ر- و- ٣
(لوم- ز- ٨)
(٢٠) ح- ج- ٧ (الشكل) يستلم
لأنه لو و- ج- ٧
بالوزير أو ينتهي الدور إذا أخذ بالرخ .
ر- و- ٨
و- ج- ٦ (مات)

الفائزون في حل مسألة الشطرنج العدد ٣٥١ - ليناير ١٩٨٨

الفائزون بالترتيب ستة أشهر :

الفائزون بالترتيب ستة أشهر :

- ١- محمد عبد الوهاب / تونس
- ٢- عمرو سليم / القاهرة / الكويت
- ٣- أسامة صليحة / القاهرة / ج- ٢٠ ح
- ٤- أحمد محمد أحمد / دمن / العراق
- ٥- عصام رمضان محمد / عمان / الأردن

- ١- رالف حبرا / جدة / السعودية
- ٢- الحسن محمد الطل / جدة / سوريا
- ٣- محمد العيسوي / طرابلس / ج- ٢٠ ح
- ٤- طارق البكري / كشمير / الهند
- ٥- هيثم عبد الله حاسم / بابل / العراق

حوار القراء

العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصنفانة - الكويت

مواقع تاريخية

في الوطن العربي

● قرأت في العدد ٣٥٠ من مجلة « العربي » - يناير ١٩٨٨ - تساؤلا من القارئ محمد طريف فرعون من دمشق بالجمهورية العربية السورية يتضمن طلبه من جهات الاختصاص في الوطن العربي أن يسعوا جامدين للكشف عن الأماكن الأثرية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم .

وأضمت صوتي من خلال مجلة « العربي » الى هذا الصوت العربي ، وبالنسبة لأذكر بعض ماله صلة بهذا الصدد مما قرأته في بعض المراجع والمصادر التاريخية التي تتفق على وجود أماكن أثرية تاريخية كثيرة في مناطق عديدة من الوطن العربي ، وإن كان ذلك من خلال روايات بينها بعض الاختلاف .

ومن أهم تلك الأماكن في اليمن (جنوبه وشماله) مثلا الآتي :-

(١) قوم عاد :

هم بنو عاد بن عوض بن ارم بن سام من العرب العاربة أو البائدة ، وهم القوم الذين أرسل الله اليهم نبيه هودا . سكن قوم عاد الأحقاف ، وهي أرض بين عمان وحضرموت والشحر كما جاء في سيرة ابن هشام . قال الإمام علي بن أبي طالب : الأحقاف واد بحضرموت ، يدعى برهوت ، وتشتهر الجهة الشرقية من هذا الوادي بوجود قبر النبي هود ، وما زال أبناء المنطقة يتوجهون لزيارة القبر في شهر شعبان من كل عام . ذكر المحدثان في صفة الجزيرة : ان الأحقاف شرقي حضرموت ، كما أن برهوت عبارة عن حفرة عميقة في جبل من الجبال الشرقية بحضرموت .

(٢) بنو ثمود :

في اليمن خاصة بحضرموت مواقع لقرى بعضها اندثرت والأخرى هامة ، كلها تحمل اسم ثمود . ولم يعرف لأهل ثمود مملكة ولادولة ولا حضارة ، بيد أنهم اشتهروا برعي الابل ، واشتغلوا كأدلاء للقوافل المخترقة لبلاد العرب من جنوبها الى شمالها ، أما الموقع فهو واضح (شبه الجزيرة العربية) . ويعتقد أن مساكن ثمود في شمال حضرموت ، إذ أن الروايات تقول ان نبي الله صالح قد دفن في هذه المنطقة وما يزال موقع القبر يزوره الأهلالي ويعتقدون أنه لنبي الله صالح في قرية حوخب يواي سر أحد الوديان التي تتصل بالوادي الكبير لحضرموت . كما أن الكتابات التمودية وجدت في جمهورية اليمن الديمقراطية خاصة في حضرموت ، ووجدت كتابات ثمودية أخرى بمدائن صالح والطائف بالعربية السعودية ، وكذا في مناطق بشرق الأردن وجمهورية مصر العربية .

هذه الصفحات .. ترحبُ "العزري" بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الاعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

(٣) قوم تبع :

سمى ملوك حير بالتبابعة وقيل : كان ملك اليمن لا يسمى تبعا حتى يملك حضرموت وسبأ وحير ، وذلك قبل أن يحكم اليمن الحارث بن الرايش ، وهو تبع الأول ، وكان يحكم اليمن قبله ملكان ملك سبأ وملك بحضرموت ، وكان اليمنيون لا يجتمعون كلهم عليهما ، إلى أن جاء ملك الرايش فاجتمعوا عليه وتبعوه فسمى تبعا . تقول كثير من الكتابات ان المقصود بالتبابعة هم أهل حير الذين يملكون سبأ وحير وحضرموت ، وما بين عامي ٢٦٠م - ٤٥٠م خضعت بلاد اليمن كلها للملك حير .
(٤) أصحاب الأخدود :

اعتق في القرن الرابع الميلادي أحد ملوك حير المسيحية فبنى كنيسة في حير والأعري في عدن . ودخل أحد الملوك التبابعة (حير) في اليهودية في القرن الخامس الميلادي .

ويقال ان الملك الحميري يوسف ذو نواس الذي تهود سار الى نصارى نجران بحملة من جنوده بحمير الى نجران ، ليدعو أهلها الى اليهودية ، وقد خيرهم بين ذلك وبين القتل فأبوا ، فقاتلهم ، ومثل بهم حرقا بالنار وقتلا بالسيف ، وقد قتل منهم آلافا . والأخدود هو الشق العظيم المستطيل في الأرض كالتنق ، وقد وجد نقش في نجران عليه اسم الملك الحميري ذي نواس ، ونقش آخر في رمال الربع الخالي مؤرخا بسنة ٥٢٤م ، وفيها قصص وأخبار حملة الملك الحميري المذكور .

(٥) أصحاب الرس :

في حضرموت منطقة اسمها بور ، كان يسكنها بنو حارثة بن الأشرس من كندة ، وبنو هذيل من حير ، وكانت مدينة عامرة . وفي عهد نبهم حنظلة بن صفوان كانت تسمى الرس ، وهو اسم نهر عظيم ضفافه دفتها الأثرية فاستحال الى مسيل وما تزال آثاره باقية الى اليوم . وفي هذا النهر قتل أصحاب الرس نبهم حنظلة في النهر غرقا . ويوجد بيور حاليا بعض المعادين او يتابع الماء المتضجرة في الشمام المحيطة بها (شعب الغيل / جبل حلحل / بانجار) . كما أن بيور قديمة يستعمل ترابها سمادا . ولقد ذكر أبو الحسن الكسائي في كتابه مبدأ الخلق أن أصحاب الرس بحضرموت .

علوي عبد الله ،

شباب - حضرموت - جمهورية اليمن الديمقراطية

حبار القراء

للتواصل الثقافي

العربي

● نحية عطرة تحملها النسمات الى أرض الأمان والمحبة ، أرض الكويت .
أقول لكم بصدق دون مجاملة ان هذه المجلة من أمتع المجلات وأكثرها فائدة .
حيذا لو تكثرت بنبرة عن تاريخ اصدار المجلة والفرض من اصدارها .
نبيل وهيب حيدر / طرطوس / سوريا

- مجلة شهرية ثقافية بدأت بالصنوبر عام ١٩٥٨ م من وزارة الاعلام الكويتية ،
والهدف من صدورها أن تكون واسطة ثقافية بين أبناء الأمة العربية ، وجسرا ثقافيا
يصل أبناء المجتمع العربي الحديث بترائهم الثقافي الواسع ، كما أنها تشكل نافذة
واسعة ، يستطلع القارئ العربي من المحيط الى الخليج من خلالها ما توصل اليه العقل
الانساني من نتاج أدبي وعلمي وفني . ويسهم في تحرير هذه المجلة نخبة من المفكرين
والكتاب العرب عمليا وخارجيا . وقد نشرت المجلة خلال السنوات الماضية موضوعات
شقي ، في مختلف مجالات الفكر والفنون والأدب والتربية والعلوم الطبية والعلوم
التقنية ، والحضارة العربية الاسلامية ، وما يتعلق بشؤون الأسرة والمجتمع ، وغير
ذلك من الموضوعات ، هذا بالإضافة الى ما تقدمه مجلة « العربي » من خدمات مهمة
للقارئ العربي ، تتمثل في عرض أحدث الكتب العلمية والأدبية ، وتحليلها ، ونقدها
بأسلوب فكري سليم ، اضافة الى ذلك يصدر عن المجلة مجلة « العربي الصغير » ،
مجلة الفتيان ، وسلسلة كتاب العربي التي صدر الكتاب الأول منها عام ١٩٨٤ ، وهي
سلسلة فصلية ، محورها الأساسي تقديم مجموعة من الموضوعات لكاتب واحد ، أو
موضوع واحد لعدة كتاب . وقد ارتفع توزيع مجلة « العربي » خلال الفترة (١٩٦٠ -
١٩٨٨) من (٣٥) ألف نسخة الى (٣٥٠) ألف نسخة ، أي ما يصادل عشرة
أضعاف . وما يجدر الاشارة اليه في هذا المجال هو أن هذه المجلة تباع بسعر أقل من
سعر التكلفة ، لكي تكون في متناول الجميع في الكويت والأقطار العربية ، فهذه المجلة
بانتشارها الواسع لا تهدف الى الربح المادي ، وانما تهدف الى نشر الثقافة بين أبناء الأمة
العربية وتنمية الوعي الفكري والعلمي لدى الناشئة على امتداد الوطن العربي ،
باعتبارهم الدعامات الأساسية التي يبني عليها الصرح الشامخ للأمة العربية .



● نحية طيبة ،

قرأت مقالة الدكتور أحمد كمال أبو المجد في العدد / ٣٥٠ / من « العربي »
فخرجت منها بحمد الله على وجود مجلة على هذا المستوى وكتاب على المستوى نفسه من
الاستنارة والعطاء الفكري الفذ ، وإلا لأصبح الانسان العربي في غياهب بأس مطبق .
كان عنوان المقال « المسلمون وعبور الفجوة » والواضح من العنوان وماوراءه أن

القودة الصالحة

المقصود بعبور الفجوة هي تجاوز الواقع الحالي للأمة ، والانتقال بها عبر بوابة الإصلاح الى واقع جديد مختلف ، يبدو اذا وصفناه كالحلم العجيب لطول ما انتظرناه والتسناه وسلكنا اليه سبلا بلا طائل . وإذا كان التشخيص في عالم الطب أهم من العلاج فلقد أجاد الدكتور أبو المجد التشخيص أيما أجادة ، لاسيا عندما تحدث عن الكيثر الأربع التي تلخص بانفقاد العقل المدبر المجاهد المجتهد ، وقلة الاحتفاء بحرية الانسان ، وإسقاط قيمة العمل والانتاج ، وفسادات الميين .

هذه هي رموس الكيثر التي تركبها الأمم يحق نفسها ومستقبلها وأجبالها ، ولو سلمنا بها دون زيادة أو نقصان لبقى علينا أن نصف العلاج لهذه الأدواء الخطيرة . وقد جاءت المحاولة في المقال نفسه تحت عنوان « الحشد للإصلاح » ، وذلك في المقطع الأخير الذي تسامل فيه الكاتب المفكر قائلا : « فهل يرتفع بعض أولى الأمر وأولي الرأي فينا الى حيث يستطيعون التذكير بهذه الحقائق الكبرى ؟ »
وهنا أقول لماذا التذكير بعد ما ذكر مرارا وتكرارا ؟ ألم يأت علينا ضحي الغد الذي نستين به الرشد ؟ ألم يفتنا الفوت ألف مرة ؟

ان الواجب المتحتم في رأيي هو أن تبدأ بصرف الدواء فورا من أقرب صيدلية ، وهي صيدلية محاسبة النفس ، واسم الدواء « القدوة الصالحة » . وهو دواء مر الطعم لكنه ناجع ، مركب من ثلاثة عناصر هي : جهاد النفس بالنفس ، والجهر بالحق أمام محب له وكاره ، ومعرفة المرء قدر نفسه سائلا ومسؤولا ، فيقدر ما يكون له يكون عليه .

ان مناهل الوحي مبنولة متوافرة لأبناء هذا العصر ، ولاسيا أبناء أمة ذات ثراث حضاري كأمنا العربية ، شيد جسر العبور لها رواد في الفكر والعقيدة والتضحية .
عبد القادر محمد مايو / حلب / سوريا



● رئيس مجلة « العربي »

منذ خمسة وعشرين عاما وأنا أطلع مجلة « العربي » ، وأود أن أقدم اقتراحا بتصنيف فهرس للمجلة يسترشد به للاطلاع على الموضوعات التي نشرت في الأعوام الماضية ، مما يساعد القارئ في الاطلاع على مقاله المنشور في المجلة في أعداد سابقة ، ويسهل عليه أن يحصل على العدد المطلوب ، كما أن الموضوعات المنشورة في مجلتكم قد أصبحت مصدرا للقارئ . أتمنى أن يؤخذ اقتراحي هذا بعين الاعتبار .

يعقوب حقو

حي السريان - سوريا

- لقد تم اصدار الكشاف التحليلي لمجلة العربي ، وهو يغطي الفترة من ديسمبر ١٩٥٨ الى نوفمبر ١٩٨٣ ، ويضم الكشاف أربعة أجزاء ، جزءان للموضوعات ، وجزءان للمؤلفين ، وهو يشمل كل ماقتترحه في رسالتك المعبرة عن حرصك على تقدم هذه المجلة وتطورها ، كما أن « العربي » تنشر كشافا سنويا في عدد ديسمبر من نهاية كل عام للموضوعات التي احتوتها أعدادها خلال العام المنصرم . والفهرس يوزع في جميع

فهرس خاص

بمجلة « العربي »

العربي

جواهر القراء

المكتبات ، ويمكن لكل راغب في الحصول عليه أن يطلبه من الموزع المختص بتوزيع « المريي » .



● نشر تعليق للقارئ جمال أحمد العيسى في العدد ٣٤٨ نوفمبر ١٩٨٧ على مقال « حقيقة الأقليات اليهودية في العالم » في العدد رقم ٣٤٦ سبتمبر ١٩٨٧ ، وقد ذكر بعض المعلومات القيمة فنشكره عليها . وقد أثار قضية في غاية الخطورة والأهمية وهي ترجمة الأسماء ، فقد ورد اسم « شبتاني تسفي » في مقال ، ورأى هو أن صحته « شابيتاني تسفي » ، ولا يمكن أن أقبل أو أرفض تصحيحه ، لأن القضية ماثزال خلافية ، إذ لم يستقر الرأي بعد على طريق ترجمة الأسماء ، وتتفاقم المسألة أكثر حينما ترد هذه الأسماء في سياق يهودي ، فشبتاني تسفي « كان يعيش في سالونيك وكانت جزءا من الدولة العثمانية ، ولذا كان ينطق اسمه باللغات التالية : اللادينو وهي لغة السفارد ، واليدين وهي لغة الاشكناز ، العبرية وهي لغة العبادة اليهودية وايضا والتركية العثمانية وهي لغة الدولة الحاكمة ، ولعل هناك لغات أخرى كان ينطق اسمه بها بطريقة أخرى ، ولاشك أن النطق يختلف من لغة لأخرى . ضمن أي اللغات تترجم الأسماء إذن ؟

الدكتور عبد الوهاب المسيري

رد من الدكتور

عبد الوهاب

المسيري

● من حق قرائنا أن يعرفوا نبذة قصيرة عن حياة الأديب على أحمد باكثير الذي ولد في اندونيسيا عام ١٩١٠ لأب من حضرموت وأم اندونيسية . ومن المعروف أن العديد من الحضرميين وسكان عدن والساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية كانوا يرحلون الى اندونيسيا وغيرها من مناطق شرق آسيا ويستغلون بالتجارة . وهكذا كان والد الأديب على أحمد باكثير ، لكن المقام لم يطل به في اندونيسيا إذ أرسله والده على عادة الحضرميين الى حضرموت ، وهناك اشتد هوده وبدأ تعليمه ، ومن هناك رحل باكثير الى السودان ليقضى فيها فترة ، ومنها سافر الى مصر عام ١٩٣٤ فاستقر بها ، حيث التحق بقسم اللغة الانجليزية وآدابها بكلية آداب جامعة القاهرة ، حيث تخرج عام ١٩٣٩ ، وعمل مدرسا بعض الوقت ، ثم التحق بوزارة الثقافة والاعلام بمصر ، ومنع الجنسية المصرية ، وبقي عاملا في حفل الاعلام والأدب حتى وفاته عام ١٩٦٩ م . أعظم ما أنتج على أحمد باكثير في باب القصة والمسرح إنتاج له أهميته في تطور المجتمع العربي المعاصر ، وقد نشرت له قصص كثيرة من أشهرها « سلامة القس » ، و«اسلاماه ، وسيرة الشجاع .

سميد محمد صالح

صنعاء / الجمهورية العربية اليمنية

على أحمد باكثير

● القاريء محمد غزل من جمهورية مصر العربية محافظة الدقهلية يسأل اذا كانت المجلة تفتح صفحاتها لنشر قصص من انتاج القراء ومجلة العربي ، ترحب بكل انتاج يرد اليها من داخل الوطن العربي وخارجه اذا كان يلتزم بأصول وقواعد النشر المعمول بها في المجلة ضمن غطة النشر الموضوعية ، واذا كان الانتاج غير منشور مسبقا ، وغير مرسل للنشر في جهات اخرى .

● القاريء محمد علي حبيب بوشهري - النامة - البحرين ، والقاريء عبد الرزاق السيد محمد من كلية العلوم - جامعة طنطا بجمهورية مصر العربية يسألان عن كتاب « اللخائر والتحف » الذي ورد ذكره في افتتاحية العدد ٣٥١ - فبراير ١٩٨٨ بقلم رئيس التحرير . والكتاب هو من ضمن المطبوعات التي تقوم وزارة الاعلام الكويتية باصدارها من أجل دفع عجلة المعرفة والثقافة في الوطن العربي ، وقد صدر ضمن سلسلة التراث العربي سنة ١٩٥٩ للقاضي الرشيد بن الزبير ، وراجعه الدكتور صلاح الدين المنجد ، أما عنوان السلسلة فهو وزارة الاعلام - الكويت - سلسلة التراث العربي .

● القاريء طلال عبد الكريم خليل لديه الأعداد التالية من مجلة « العربي » وهي زائلة عن حاجته ، ويرغب في اهدائها لمن يرغب ، والأعداد هي : ١٧٩ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ومن يرغب في الحصول على عدد منها عليه مراسلة القاريء المذكور وعنوانه : سوريا - حمص الحميدية ، شارع بطرس كرامة رقم الدار ٤٨ - ص. ب. ١٤٩٢ .

الثقافة العالمية

مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة

- تعتمد فيما تنشر على الترجمة من مختلف الدوريات العالمية .
- هدفها إقامة الصلة بين الفكر العربي وبين الأجنواء المتطورة للثقافة العالمية المعاصرة .
- ميزانها الأساسي في اختيار الترجمات هو الجديد والهام .

• تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

قائب رئيس التحرير
د. سليمان الزامل

رئيس التحرير
د. محمد بناري

مايو ١٩٨٨ م

طبيع الجبال

تأليف: فرانسيس كريك
ترجمة: د. أحمد مستجير
مراجعة: د. عبد الحافظ عامر

٥٠٠
فلس

الكتاب ١٩٥

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب • جامعة الكويت

رئيس هيئة التحرير: د. عبد المحسن مارجي المدعج

دورية علمية محكمة، تتضمن مجموعة من الرسائل التي تعالج بأصالة موضوعات وقضايا ومشكلات علمية تدخل ضمن تخصصات كلية الآداب

- تقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية بشرط ألا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ
- أن يمثل البحث إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه الخاص وألا يسكنون قد سبق نشره.

توجه المراسلات إلى: رئيس هيئة تحرير حوليات كلية الآداب ص.ب ١٧٣٧٠ نخالة - الكويت

رئيس تحرير

د. بدر حامد المصطفى



مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر من جامعة الكويت

- عقد الندوات التي تهم المنطقة أو المساهمة فيها وإصدارها في كتاب
- يعطي دوريتها ما يريد على ٣٠ دولة في جميع أنحاء العالم

• الاشتراك السنوي ملحق

- (أ) داخل الكويت ٦ دول ١٠ دول ١٢ دول
- (ب) الدول العربية ٢٠٠ دول ٢٠٠ دول ١٢ دول
- (ج) الدول النامية ١٥ دولاً ١٠ دولاً ١٠ دولاً

- مجلة علمية فصلية محكمة تصدر ٤ مرات في السنة
- تغطي مشلون منطقة الخليج والعربية العربية السياسية الاقتصادية الثقافية والطبية
- صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٥

- تقوم المجلة بإصدار ما يلي
- (أ) مجموعة من المنشورات المتخصصة في منطقة الخليج والعربية العربية
- (ب) مجموعة من الإصدارات الخاصة والمنطقة منطقة الخليج والجزيرة العربية
- (ج) سلسلة كتب وثائق الخليج والجزيرة العربية

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير على العنوان الآتي
ص.ب ١٧٠٧٣ - النخالة - الكويت - الرمز البريدي ٧٣٥١

إدارة التحرير
الكويت
١٩٧٥

من المسرح العالمي

سلسلة لترتقا فنيّة
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢٢٤ أول مايو ١٩٨٨

شرف الشمران

تأليف: قساويوي

ترجمة وتقديم: عبد العزيز حمدي

مراجعة: د. تشاويوش

الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

١
 اَلَمْ يَذَرِكْ اَلْعَبْدُ لَا رَيْبَ فِيهِ
 اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاَلْقَيْدِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 يُنْفِقُونَ ٢ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ
 قَبْلَهُ وَبِآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٣ اُولَئِكَ عَلَى رَحْمَةٍ

من ربهم
 مكتبة القرآن الكريم

تسبيح

Al-Hamidi



الطبعة

الطبعة الأولى: ١٩٧٩
 الطبعة الثانية: ١٩٨٠
 الطبعة الثالثة: ١٩٨١
 الطبعة الرابعة: ١٩٨٢

الطبعة الأولى: ١٩٧٩
 الطبعة الثانية: ١٩٨٠
 الطبعة الثالثة: ١٩٨١
 الطبعة الرابعة: ١٩٨٢

الطبعة الأولى: ١٩٧٩
 الطبعة الثانية: ١٩٨٠
 الطبعة الثالثة: ١٩٨١
 الطبعة الرابعة: ١٩٨٢

